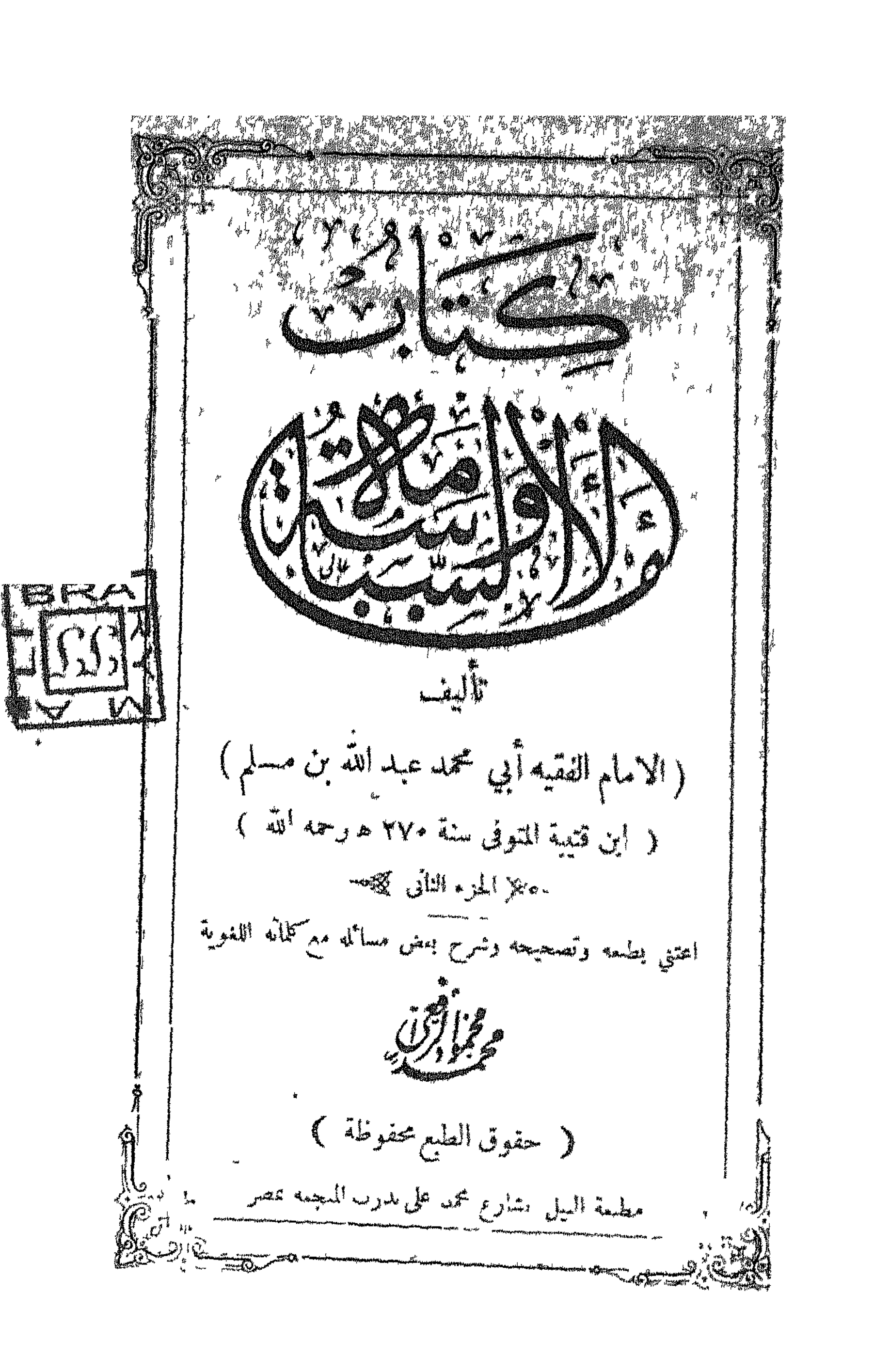


كتاب

الإمامة والسياسة

تأليف

(الامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

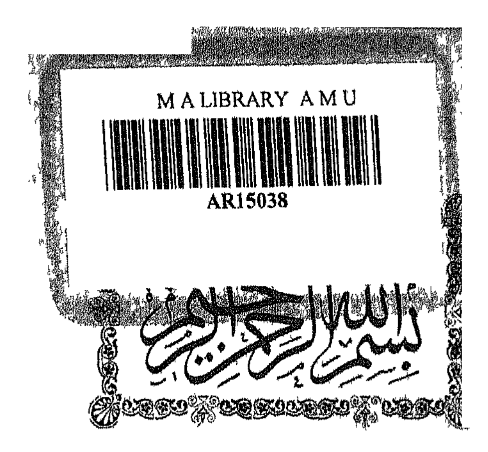
الجزء الثاني

اعتني بطبعه وتصحيحه وشرح بعض مسائله مع كلماته اللغوية

محمد محمود الرافعي

مطبعة النيل بشارع محمد علي بدرب المهجه بمصر

عوناً ومحمداً ليردا الحسين فابى أن يرجع وخرج الحسين بابني
عبد الله بن جعفر معه ورجع عمرو بن سعيد بن العاص الى
المدينة فارسل الى ابن الزبير فابي ان يأتيه وامتنع برجال معه
من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة
يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على أهل الديوان البعث الى مكة ٨٦
وهم كارهون للخروج فقال لهم إما ان تأتوا ببدل واما ان تخرجوا.
قال فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة
درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلي فقال الحارث
للرجل الذي استأجره هل لك ان أزيدك خمسمائة أخرى وتنكح
أمك فقال له أما تستحي فقال انما حرمت عليك أمك في مكان
واحد وحرمت عليك الكعبة في كذا وكذا مكان من القرآن
قال فجاء به الى عمرو بن سعيد قال قد جئتك برجل لو أمرته
ان ينكح أمه لنكحها فقال له عمرو لعنك الله من شيخ قال فبعثهم
الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو وابن الزبير وبعث يزيد بن
معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري يخطب الناس بالمدينة فقال
في خطبته: أهل الشام جند الله الاعظم وأهل الشام خير الخلق
فقال الحارث بن مالك أئذن لي اكلمه فقال اجلس لا أجلسك



 الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ ذكر اختلاف الرواة في وقعة الحرة وخبر يزيد ﴾

قال وذكروا انه لما بويع يزيد بن معاوية خرج الحسين حتى قدم المدينة فأقام هو وابن الزبير . قال وقدم عمرو بن سعيد ابن العاص في رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابي مستقبله مه جاءنا والله بالدم فتلقاه بعمامته فقال مه عمّ والله الناس . ثم قام يخطب فناوله عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج الى مكة فقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج . فلما انصرف عمرو بلغه ان الحسين خرج فقال : اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فكان الناس يعجبون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فارسل عبد الله بن جعفر ابنيه

من الكوفة وألحقناه بالشام . قال فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشير فقال : لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بجدل[1] قال فبلغ ذلك يزيد فاراد ان يعزله فقال لاهل الشام اشيروا عليّ مَن استعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأي معاوية قال نعم قالوا فان الصك بامرة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتبه في الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل ان يقدم الحسين وبايع له مسلم بن عقيل اكثر من ثلاثين الفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبد الله بن زياد فجعلوا كلما اشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتى بقي مسلم في شرذمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عروة المرادي وكان له فيهم رأي فقال له هانئ بن عروة ان لي من ابن زياد مكانا وسوف اتمارض له فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه فقيل لابن زياد ان هانئ شاكٍ يقيء الدم قال وشرب المغرة فجعل يقيؤها قال فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ اذا قلت اسقوني

(١) هو يزيد وبجدل اسم جده لامه وهي ميسون ابنة بجدل أحد بني حارثة

الله قال فتشهد الحارث وقال: لعمر الله لنحن خير من أهل الشام مانقمت من أهل المدينة الا لأنهم قتلوا أباك وهو يسرق لقاح النبي صلى الله عليه وسلم انسيت طعنة أبي قتادة أست أبيك بالرمح نخرج منه جعموص مثل هذا واشار الى ساعده ثم جلس .

﴿ ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن علي ﴾ قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد ابن عقبة وخرج الحسين بن علي الى مكة فمال الناس اليه وكثروا عنده واختلفوا اليه وكان عبدالله بن الزبير فيمن يأتيه . قال فأتاه كتاب أهل الكوفة فيه : بسم الله الرحمن الرحيم للحسين ابن علي من سليمان بن صرد والمسيب ورفاعة بن شداد وشيعته من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي اعتدى على هذه الامة فانتزعها حقوقها واغتصبها أمورها وغابها على فيئها وتأمر عليها على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعداً له كما بعدت ثمود انه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فان النعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه الى عيد ولو قد بلغنا مخرجك أخرجناه

فأخرج اليه فاضرب عنقه فابطؤا عليه فقال ويحكم اسقوني ولو كان
فيه ذهاب نفسي قال فخرج عبيد الله بن زياد ولم يصنع الآخر
شيئاً وكان من أشجع الناس ولكنه أخذته كبوة فقيل لابن زياد
والله ان في البيت رجلا متسلحاً قال فارسل ابن زياد الى هانئ فقال
اني شاك لا أستطيع النهوض فقال ائتوني به وان كان شاكيا قال
فاخرج له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا
ويقف ويقول مالي أذهب الى ابن زياد فما زال كذلك حتى دخل
عليه فقال له عبيد الله بن زياد ياهانئ اما كانت يد زياد عندك بيضاء
قال بلى قال ويدي قال بلى فقال ياهانئ قد كانت لكم عندي
يد بيضاء وقد أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التي كانت
بيد هانئ فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب
عنقه قال وأرسل جماعة الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه
فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر . فلما اسر بعث الرجال فقال
اسقوني ماء قال ومعه رجل من بني معيط ورجل من بني سليم
يقال له شهر بن حوشب فقال له شهر بن حوشب لا أسقيك
الا من البئر فقال المعيطي والله لانسقيه الا من الفرات قال
فامر غلاما له فأتاه بابريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال

فسقاه فتمضمض نخرج الدم فما زال يمسح الدم ولا يسيغ شيئاً
حتي قال اخروه عني . قال فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد
وهو قصير فقدمه لتضرب عنقه فقال دعني حتى أوصي فنظر
في وجوه الناس فقال لعمرو بن سعيد ما أرى هاهنا من
قريش غيرك فادن مني حتى اكلمك فدنا منه فقال له هل لك
ان تكون سيد قريش ماكانت قريش ان الحسين ومن معه
وهم تسعون بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب
اليهم بما أصابني . قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو أعظم
من ذلك فاي شيء هو قال اخبرني ان الحسين ومن معه قد
أقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله اذ
دللت عليه لا يقاتلهم أحد غيرك

﴿ قتال عمر وبن سعيد الحسين وقتله ﴾ قال وذكروا
ان عبيد الله بن زياد بعث جيشاً عليهم عمر وبن سعيد وقد جاء
الحسين الخبر فهم ان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له
أترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به فقال
لبعض أصحابه والله مالي عن هؤلاء من صبر قال فلقيه الحسين
على خيولهم بوادي السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن

بنت رسول الله اسقنا فاخرج لكل فارس صحفة من ماء فسقاهم
بقدر مايمسك برمقهم قالوا ياابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمازالوا يرجونه وأخذوا به على الجرف حتي نزلوا بكر بلاء
فقال الحسين أي أرض هذه قالوا كربلاء قال :هذا كرب وبلاء
قال فنزلوا وبينهم وبين الماء ربوة فاراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا
بينهم وبينه فقال له شهر بن حوشب لاتشربوا منه حتى تشربوا
من الحميم فقال عباس بن علي ياأبا عبد الله نحن على الحق فنقاتل
قال نعم فركب فرسه وحمل بعض أصحابه على الخيول ثم حمل
عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا واسقوا ثم بعث عبيد الله
ابن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم . قال: الحسين ياعمرو اختر مني
ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت فان أبيت هذه
فاخرى سيرني الى الترك اقاتلهم حتى أموت او تسيرني الى
يزيد فاضع يدي فى يده فيحكم في بما يريد . فارسل الى ابن زياد
بذلك فهم ان يسيره الى يزيد فقال له شهر بن حوشب قد
امكنك الله من عدوك وتسيره الى يزيد والله لئن سار الى يزيد
لا رأي مكروها وليكونن من يزيد بالمكان الذي لا تناله انت
منه ولا غيرك من أهل الارض لاتسيره ولا تبلعه ريقه حتى

ينزل على حكمك فارسل اليه لا الا ان تنزل علي حكمي فقال الحسين انزل على حكم من رأيته لا والله لاأفعل الموت دون ذلك وأحلى . قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيد الله بن زياد الى شهر بن حوشب ان تقدم عمرو يقاتل والا فاقتله وكن أنت مكانه قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لاتقبلون واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأي رجل من أهل الكوفة عبد الله بن الحسين بن علي على فرس وكان من أجمل الناس قال لأقتلن هذا الفتى فقيل له ويحك ما تصنع بقتله دعه قال فحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم قتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن علي وعباس بن علي وعثمان بن علي وابو بكر بن علي وجعفر بن علي وأمهم أم البنين بنت حرام الكلابية وابراهيم بن علي وأمه أم ولد وعبدالله ابن علي وخمسة من بني عقيل وابنان لعبدالله بن جعفر عون ومحمد وثلاثة من بني هاشم ونساء من نسائهم وفيهم فاطمة بنت الحسين ابن علي وفيهم محمد بن علي وابنا جعفر ومحمد بن الحسين بن علي .

﴿ قدوم من أسر من آل علي على يزيد ﴾ قال وذكروا

ان أبا معشر قال : حدثني محمد بن الحسين بن علي قال : دخلنا
على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغللين في الحديد وعلينا قميص.
فقال يزيد أخلصتم أنفسكم بعبيد أهل العراق وما علمت بخروج
ابي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل. قال فقال علي بن
الحسين: ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في
كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا
تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال
فخور. قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال: وما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . ياأهل الشام
ماترون في هؤلاء فقال رجل من أهل الشام لاتتخذن من كلب
سوء جرواً. فقال النعمان بن بشير ياأمير المؤمنين اصنع بهم ما كان
يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه الحال
فقالت فاطمة بنت الحسين يايزيد بنات رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض وبكى أهل الشام
حتى علت أصواتهم ثم قال حلوا عنهم واذهبوا بهم الى الحمام
واغسلوهم واضربوا عليهم القباب ففعلوا وأمال عليهم المطبخ

وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الاموال والكسوة
ثم قال لوكان بينهم وبين عاض بطن أمه نسب ما قتلهم ارجعوا
الى المدينة قال فبعث بهم .

﴿ اخراج بني أمية عن المدينة وذكر قتال أهل الحرة ﴾

قال وذكروا في قصة اخراج بني أمية عن المدينة قال بعث
عثمان بن محمد أمير المدينة الى يزيد بقميصه مشقوقا وكتب
اليه: واغوثاه ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة قال أبو
معشر فخرج يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه
وشمعة عن يساره وعليه ممصفرتان وقد نقش جبهته كأنها تدهن
فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل الشام
فانه كتب الي عثمان بن محمد ان أهل المدينة أخرجوا قومنا
من المدينة ووالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب الي من
هذا الخبر . قال وكان معاوية أوصى يزيد فقال له: إن رابك من
قومك ريب او تنقص عليك منهم أحد فعليك باعور بني مرة
فاستشره يعني مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد أين
مسلم بن عقبة فقام فقال ها انا ذا قال عبيء ثلاثين الفا من الخيل
قال وكان معقل بن سنان الاشجعي نازلا على مسلم بن عقبة

فقال له مسلم بن عقبة ان أمير المؤمنين أمرني أن أتوجه الى المدينة في ثلاثين الفا فقال له استعفه قال لا قال : فاركب فيلا أوفيلة وتكون أبا يكسوم(١) فمرض مسلم قبل خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاوية يعوده قال له : قد كنت وجهتك لهذا البعث وكان أمير المؤمنين معاوية قد أوصاني بك وأراك مدنفا ليس فيك سفر . فقال : ياأمير المؤمنين أنشدك الله ان لا تحرمني أجراً ساقه الله الي انما أنا امرؤ وليس بي بأس قال فلم يطق من الوجع ان يركب بعيراً ولا دابة فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم حتى جاؤا مكانا يقال له البتراء فارادوا النزول به فقال لهم ماسم هذا المكان فقيل له البتراء فقال لا تنزلوا به ثم سار حتى حاجزة فنزل به فارسل الى أهل المدينة ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انتم الاصل والعشيرة والاهل فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فان لكم عندي في عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة عطاء في الصيف

---

(١) أبو يكسوم : كنية ابرهة صاحب الفيل . قال طالب بن أبي طالب :

ألم تعلموا ما كان من حرب داحس * وجيش أبي يكسوم اذ ملؤا الشعبا

فلولا دفاع الله لا شئ غيره * لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا

وعطاء في الشتاء ولكم عندي عهد الله وميثاقه ان أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا والحنطة يومئذ سبع أصع بدرهم وأما العطاء الذي ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلى ان أخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد أخذ أعطياتهم فاشترى بها عبيداً لنفسه فقالوا لمسلم نخلعه كما نخلع عمائمنا يعنون يزيد وكما نخلع نعالنا فقاتلوهم فهزم الناس أهل المدينة . قال أبو معشر حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة وسبعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الانصار وقتل من الناس نحواً من أربعة آلاف وقتل ابنان لعبد الله بن جعفر وقتل أربعة أو خمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه فقال مسلم بن عقبة لاهل الشام كفوا أيديكم فخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يريد القتال فقاتلهم فقال مسلم بن عقبة انهبها ثلاثا قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الاموال[1] فلما فرغ مسلم بن عقبة

---

(١) يروى ان مسلما لما فرغ من القتال بعث برؤوس أهل المدينة الى يزيد فلما القيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم أحد :

ليت اشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

لاهلوا واستهلوا فرحاً * ولقالوا ايزيد لا تشل

من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بني عامر بدومة فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة قال فجاء عمرو بن عثمان ابن عفان بيزيد بن عبدالله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لام سلمة ارسلي معي ابن بنتك فجاء به الى مسلم فلما تقدم يزيد قال له تبايع لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على انكم خول له مما أفاء الله عليه باسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق قال يزيد لانا أقرب الى أمير المؤمنين منك قال والله لاتستقبلها أبدا فقال عمرو بن عثمان أنشدك الله فاني أخذته من أم سلمة بعهده وميثاقه ان ارده اليها قال فركضه برجله فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله . ثم أتى محمد بن أبي جهم مغلولا فقال له مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تروا اشرا أبدا . قال: قد قلتها ولكن لا يسمع لقصير أمر . فارسل يدي وقد برئت مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه قال لا والله حتى أقدمك الى النار قال فضرب عنقه وجاء معقل ابن سنان الاشجعي وكان جالساً في بيته فأتاه مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا الى الامير حتى نبايعه فقال لهم اني

قد قلت له قولا وانا أتخوف فقالوا لا والله لا يصل اليك أبدا فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل وحبسوا الآخرين واغلقوا الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبة قال اني أرى شيخاً قد تعب وعطش اسقوه من البلح الذي زودني به أمير المؤمنين قال فخاضوا له بلحاً بعسل فشربه قال له أشربت قال نعم قال والله لاتبولها من مثانتك أبداً أنت القائل اركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يكسوم فقال معقل أما والله لقد تخوفت ذلك منك وانما غلبتني عشيرتي قال فجعل يفري جبة كانت عليه وقال اكره ان يلبسوها فضرب عنقه ثم سار الى مكة حتى اذا بلغ قفا المشلل أدنف فدعا الحصين بن نمير فقال له يا ابن بردعة الحمار والله ماخلق الله أحدا أبغض الي منك ولولا ان أمير المؤمنين أمرني ان استخلفك مااستخلفتك أتسمع قال نعم قال لاتكونن الاعلى الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تمكن قريشا من اذنك . ثم مات مسلم بن عقبة فدفن بقفا المشلل وكانت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة على أثره فخرجت اليه فنبشته من قبره ثم احرقت عليه النار وأخذت اكفانه فشقتها وعلقتها بالشجرة فكل من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتى

جاء مكة فدعاهم الى الطاعة وعبد الله بن الزبير يومئذ بمكة فلم يجبه فقاتله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلا من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن والمسور بن مخرمة

﴿ حرب ابن الزبير رضي الله عنهما ﴾ قال وذكروا ان مسلم بن عقبة لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحرة مضي الى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى اذا كان بقُدَيد حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له: أمير المؤمنين عصاني فيك فأبي الا استخلافك بعدي فلا ترسلن بينك وبين قريش رسولا تمكنه من أذنيك انما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف . وهلك مسلم بن عقبة فدفن بالثنية قال وسمع بهم عبد الله بن الزبير فاحكم مراصد مكة فجعل عليها المقاتلة وجاءه جند أهل المدينة وأقبل ابن نمير حتى نزل على مكة وأرسل خيلا فأخذت أسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظروه لئلا يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل قال عبد الله بن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمرا قدم من الطائف لا تظن ذلك لو كان كافرا بها لعوقب دونها فأما اذا كان مؤمنا بها فسيبتلي فيها فكان

كما قال وحاصروهم لعشر ليال بقين من المحرم سنة أربع وستين فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهري ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فارسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير أن ائذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنكم فقد مات صاحبنا فقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الا مدَرة وكان المجانيق قد أصابت ناحية البيت فهدمته مع الحريق الذي أصابه فمنعهم ان يطوفوا بالبيت . فارتحل الحصين حتى اذا كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم حتى ان كانت الراعية في غنمها لتأتي بالرجل منهم مربوطاً فيبعث بهم الى المدينة وأصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناسا كثيرا فحبسوا بالمدينة حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبد الله بن الزبير فاخرجهم الى الحرة فضرب أعناقهم وكانوا أربع مائة وأكثر وانصرف ذلك الجيش الي الشام مفلولا وبايع أهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن أربعة وسبعين سنة رضي الله عنه

﴿ خلافة معاوية بن يزيد ﴾ قال فلما مات يزيد بن معاوية

استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالي محجوبا لا يرى ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس اني نظرت فيما صار اليّ من امركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي ان اتقدم على قوم وفيهم من هو خير مني واحقهم بذلك وأقوي على ما قلدته فاختاروا مني إحدى خصلتين اما انأخرج منها واستخلف عليكم من أراه لكم رضى ومقنعا ولكم الله على لا آلوكم نصحاً في الدين والدنيا وأما ان تختاروا لانفسكم وتخرجوني منها . قال فانف الناس لذلك من قوله وأبوا من ذلك وخافت بنو أمية ان تزول الخلافة منهم فقالوا ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله فامهلنا قال لكم ذلك وعجلوا علي قال فلم يلبثوا بعدها الا اياما حتي طعن فدخلوا عليه فقالوا له استخلف على الناس من تراه لهم رضى فقال لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لا اتزودها ماسعدت بحلاوتها فكيف اشقي بمرارتها [1] ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحداً فقالوا

---

(١) ويروى انه قال : والله ماذقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرها وتتحلون انتم حلاوتها واتعجل مرارتها . اللهم اني بريء منها متخل عنها

العثمان بن عنبسة تقدم فصل بالناس فابي وقال لا أمالنا فلاحق بخالي عبد الله بن الزبير فقال له ابن زياد ان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسوى عليه وبنو أمية حول قبره قال مروان أما والله يا بني أمية انه لا بو ليلى [1] ثم قال:
*الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا * وماج امر بني امية واختلفوا

﴿ غلبة ابن الزبير رضي الله عنهما وظهوره ﴾ قال وذكروا ان ابا معشر قال حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير قال: لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن أبي عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف في نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت رويحة: والله اني لاجد النصر في هذه الرويحة فاحملوا عليهم قال فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا قال فجاءه

---

(١) وابو ليلى كنية لمعاوية بن يزيد كنى بها حين ولى الخلافة وهذه الكنية تقال للمستضعف من العرب: قال الشاعر:

اني أرى فتنة هاجت مراجلها * والملك بعد ابي ليلى لمن غلبا

رجل من أهل الشام في طرف سنان رمحه نار قال وكان بين
موت يزيد بن معاوية وبين حرق الكعبة إحدى عشر ليلة ثم
التحمت الحرب عند باب بني شيبة فقتل يومئذ المنذر بن الزبير
ورجلان من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف
والمسور بن مخرمة وكان الحصين قد نصب المجانيق على جبل
أبي قبيس وعلى قعيقعان فلم يقدر أحد ان يطوف بالبيت
واسند ابن الزبير الواحاً من الساج الى البيت والقى عليها القطائف
والفرش فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا
يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع
على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة في السماء ثمانية
عشر ذراعا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطاً في ناحية من
المسجد فكلما جرح أحد من الصحابة ادخله ذلك الفسطاط

﴿ حريق الكعبة ﴾ قال فجاء رجل في طرف سنان
رمحه نار فاستعملها في الفسطاط فوقعت النار على الكعبة
فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت
الى الارض قال ثم قاتل أهل الشام اياما بعد حريق الكعبة
واحترقت في ربيع الاول سنة اربع وستين . قال فلما احترقت

جلس أهل مكة في ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام
يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة قال : في هذه خبر
فاخذوها فوجدوا بها مكتوبا : مات يزيد بن معاوية يوم الخميس
رابع عشر ليلة خلت من ربيع . فلما قرأ ذلك ابن الزبير قال يا أهل
الشام يا محرقي بيت الله يا مستحلي حرم الله علىم تقاتلون
وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية فاتاه الحصين بن نمير فقال له
موعدك بالبطحاء الليلة يا أبا بكر فلما كان الليل خرج ابن الزبير
باصحابه وخرج الحصين باصحابه الى البطحاء فتنحى كل واحد
منهما من أصحابه وانفردا فقال الحصين يا أبا بكر قد علمت انى
سيد أهل الشام لا أدافع عن ذلك وان أعنة خيلهم بيدي
فاذا أهل الحجاز قد رضوا بك فابايعك الساعة على ان تهدر
كل شيء أصبناه يوم الحرة وتخرج معي الي الشام فاني لا أحب
ان يكون الملك في الحجاز . قال لا والله لا أفعل لا أومن من
أخاف الناس وأحرق بيته وانهك حرمة الله فقال الحصين بلى
فافعل فعلي الا يختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبير فقال له الحصين
لعنك الله ولعن من زعم انك سيد والله لا تفلح ابداً اركبوا
يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا . قال فحدثني من شهد انصرافهم

قال والله لقد كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع • قال أبو معشر: وذلك ان المنهزم لا فؤاد له • قال فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن وبايع أهل مصر ابن الزبير وغلب على أهل العراق والحجاز واليمن وغلظ أمره وعظم شأنه واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام

﴿ اختلاف أهل الشام على ابن الزبير ﴾ قال وذكروا ان ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام قام اناس من أهل الشام من رؤوس قريش بني أمية واشرافهم وفيهم رَوْح ابن زنباع الجذامي فقال بعضهم ان الملك كان فينا أهل الشام أفينتقل ذلك الى أهل الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تأخذوا رجلا منا فينظر في هذا الامر قالوا نعم • فجاءوا الى خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وانظر فرأى القوم انه ذو ورع عن القيام في ذلك فخرجوا فأتوا عمرو بن سعيد فقالوا له ياأبا أمية ارفع رأسك لهذا الامر فجعل يسب ويقول والله لأفعلن لأفعلن فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديد علق فأتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذاهم يسمعون صوته

بالقرآن .فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا له يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وأسأله ان يختار لامة محمد خيرها وأعدلها ما شاء الله

﴿ بيعة أهل الشام مروان بن الحكم ﴾ قال وذكروا ان روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم ان معي أربعمائة رجل من جذام وسآمرهم ان يتبدروا في المسجد غداً فمر ابنك عبد العزيز ان يخطب ويدعوهم اليك وأنا آمرهم ان يقولوا صدقت فيظن الناس ان أمرهم واحد قال فلما أصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما أحد أولى بهذا الامر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وأفرطها عقلا وكمالا ودينا وفضلا والذي نفسي بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر فقال الجذاميون صدقت فقال خالد بن يزيد: أمر قضى بليل • فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد للضحاك بن قيس أرضيت ان تكون بريداً لابن الزبير وأنت أكبر قريش وسيدها تعال نبايعك فخرج به الى مرج راهط فلما دعاه الى البيعة اقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس فقال عمرو بن سعيد لاهل الشام ما صارت أيديكم

الامناديل من جاءكم مسح يده بها ان مروان سيد قريش وأكبرهم سنا فبايعوا مروان بن الحكم وقتل الضحاك بن قيس وهزم أصحابه وكانت قيس مع الضحاك وكان اليمن مع عمرو بن سعيد فمكث مروان ماشاء الله ان يمكث ثم قال له أصحابه والله ماتخوف الاخالد بن يزيد بن معاوية وانك ان تزوجت أمه كسرته وأمه ابنة أبي هاشم بن عقبة بن ربيعة فخطبها مروان ابن الحكم فتزوجها وأقام بالشام ثم أراد ان يخرج الى مصر قال لخالد أعرني سلاحا ان كان عندك قال فأعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل أهل مصر وسبا ناسا كثيرا فافتدوا منه ثم قدم الشام

﴿ موت مروان بن الحكم ﴾ قال وذكروا ان مروان ابن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد بن يزيد بن معاوية أردد الي سلاحي فأبى عليه مروان فألح عليه وكان مروان فاحشا سبابا وقال له ياابن الرّبوخ[1] ياأهل الشام ان أم هذا ربوخ يا ابن الرطبة قال فجاء ابنها اليها قال هذا ماصنعت بي سبني مروان على رؤوس أهل الشام وقال هذا ابن الربوخ . قال وكان مروان استخلف حين خرج الى مصر ابنه عبد الملك

---

(١) الربوخ المرأة التي يغشي عليها عند الجماع .

وعبد العزيز انهما يكونا بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ليالي بعد ماقال لخالد بن يزيد ماقال ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطوين عليه الشواذك ثم غطته حتى قتلته ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهن ياأمير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعد عمرو بن سعيد ان يستخلفه فبايعه وأقاموا بالشام

﴿ بيعة عبد الملك بن مروان وولايته ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه بالشام ووعد الناس خيراً ودعاهم الى إحياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم لايختلف في دينه ولا ينازع في ورعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الاشدق فوعده عبد الملك ان يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه ان لايقطع شيئاً دونه ولا ينفذ أمرا الا بحضره فاعطاه ذلك ثم ان عبد الملك بعث حبيش بن دجلة الي المدينة في سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعى بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أوتى بماء فتوضأ على المنبر

قال أبو معشر فحدثني رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة
قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد أرسل الى جابر ابن
عبد الله الانصاري فدعاه فقال تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين
بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه واعظم ماأخذ الله على أحد
من خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك على الضلالة
فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك مني ولكني
أبايعك على ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية على السمع والطاعة قال ثم أرسل الى عبدالله بن عمر
فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على السمع
والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله
ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام في أثره
رجلان أحدهما على أثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل
واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعاً الى الربذة وذلك
في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها وأميرهم ابن دجلة
وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة ان
سر الى حبيش بن دجلة وأصحابه في ناس فصار حتي لقيهم بالربذة
في شهر رمضان وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة من

البصرة معداً الى ابن الزبير حنيف بن السجف في تسمائة رجل فساروا حتي انتهوا الي الربذة فبات أهل البصرة يقرؤن القرآن ويصلون ليلتهم حتي أصبحوا وبات الآخرون في المعازف والخمور فلما أصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا ماءكم حتي تشربوا من سويقكم المعتد فاهرقوا الماء وغدوا الى القتال فقتل حبيش ومن معه من أهل الشام وتحصن من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذي بها . قال وكان يوسف أبو الحجاج مع ابن دجلة قال وأحاط بهم عباس بن سهل فقال انزلوا على حكمي فنزلوا علي حكمه فضرب اعناقهم

﴿ غلبة ابن الزبير على العراقين وبيعتهم ﴾ قال وذكروا ان عباس بن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن الزبير استعمل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتي يجعلونها كأنها أصفار فقال لهم هلم بسبعة ثقالا فأتوه بسبعة ثقال فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم . قال وأتوا بالمكيال الذي يكيلون

به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم
الا القتل . فقال : لأن تفسد البصرة أحب الي من ان يفسد
الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله ابن
الزبير الى البصرة عاملاً فاستحقره اهل البصرة فبعث مصعب
ابن الزبير فقدم عليهم فقال : أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد الا
لقبتموه وأنا ألقب لكم نفسي انا القصاب ثم صار الى المختار فقتله

﴿ بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها ﴾

قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان
ابن زياد أول من ضُمَّ اليه الكوفة والبصرة وكان أبوه زياد
كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ
على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الى عامتهم
وكان بعضهم له على ما يحب . قال فلما اختلف أمر الناس ومات
يزيد واستمد سلطان ابن الزبير وغلظ شأنه وعظم أمره وخلع
أهل البصرة طاعة بني أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله
ابن زياد الى المسجد فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها
الناس ان الذي كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر
الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتموني عليكم

حبيت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وانصفت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة . فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكري وقال الحمد لله الذي أراحنا من بني أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولا كرامة فأمر به عبيد الله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بن وائل فحالت بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبيد الله بن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس في المسجد فقال نؤمر رجلا حتى يجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على ان يؤمروا عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذي من كندة فبينماهم على ذلك اذ أقبل النساء يبكين وينعين الحسين وأقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فاطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف وأجمع رأي أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الى عبد الله بن الزبير يبايعونه بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال في الامصار فبلغ أهل البصرة ماصنع أهل الكوفة فاجتمعوا

وأخرجوا الرايات فلم يبق أحد الا خرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله . ثم قام ابن أبي ذؤيب فقال: ياهؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية سارعوا أيها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة وأقيموا أود هذه البيعة فانها بيعة هدي فانه من قد علمتم عبد الله بن الزبير حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وابن اسماء بنت أبي بكر الصديق أما والله لو ان ابا بكر علم انه بقى علي الارض من هو خير منه وأولى بهذه البيعة مامد يده ولانازعته اليها نفسه اما والله لقد علمتم ماأحد على وجه الارض خير ولا أحق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المتبرئ من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله بن زياد واجتمعوا علي حدة والقبائل كل قبيلة في المسجد معتزلة علي حدة وعبيد الله بن زياد في القصر وقد أخذ بابوابه وقد تمنع ان يدخل القصر أحد وقد أخذت العرب بافواه السكك والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثنى عشر الفا ليعتزبهم فو الله ما

زادوه الا ذلا فلما رأى ذلك عبيد الله بن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل ان يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فارسل الى الحارث بن قيس الجهمي من الازد فدخل عليه الحارث قال ياحارث قد أكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فانشدكم الله فيّ قال الحارث اخاف ان لاتقدر على الخروج الينا لما أرى من سوء رأي العامة فيك مع سوء آثارك في الازد قال فتهيأ عبيد الله فلبس لبس امرأة في خمرتها وعقيصتها فاردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا ياحارث ماهذه قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلي كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب بها فقال عبيد الله للحارث اين نحن قال في بني سليم فقال سلمنا الله قال ثم سار قليلا ثم قال اين نحن قال في بني ناجية من الازد قال نجونا ان شاء الله قال فأتي به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال ياأبا قيس قد جئتك بعبيد الله مستجيرا قال ولم جئتني بالعبد قال انشدتك الله فقد اختارك على غيرك فلما رآهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع فقال مسعود يا غلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره قال فجاء به الغلام فوضع قال فاكل وانما أراد ابن زياد

ان يحرم بطعامه ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال فكان عبيد الله خاف فقال يا غلام اصعد الي السطح بحزمة من قصب فاشعل اعلاه ناراً ففعل ذلك في جوف الليل فاقبلت الازد على الخيل وعلى أرجلها حتي شحنوا السكك وملؤها فقالوا ما لسيدنا قال شيء حدث في الدار قال فعرف عبيد الله عزته ورفعته وما هو عليه قال هذا والله العز والشرف فاقام عنده اياما وعنده امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبدقيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك علي بغضه اياك وجفوته لك وتحدث الناس انه لجأ الي مسعود ابن عمرو فاجتمعت القبائل في المسجد والخوارج وهم في اربعة آلاف فقال ابن مسعود ما أظنني الا خارجا الى البصرة معتذراً اليهم من أمر عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزلي ولكني أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة . قال فاقبل مسعود يوما على برذون له وحوله عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر قال

قدسألت عن ذلك قبلك فقال شيخ من الازد كان ضخم الهامة وكانت له ضفيرتان فعصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال: حدثك من لا يعرف، هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر . قال فاقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه أصحابه رجالة بين يديه وخلفه وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد باجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبيد الله فاقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه باسيافهم حتى مات . قتله نفر من بني حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فاقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عُباد بن الحصين لينظر الى عبيد الله فاذا هو بمسعود فقال: مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون ابا قيس قد وفيت ما كان أغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك فجمتهم بنفسك . ثم القى عليه كساءه ثم أقبلت الازد فكان بينهما وبين مضر ماوقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا على بيعة ابن الزبير قال الهيثم

قال ابن عباس حدثني عوكل اليشكري قال: إنا مع عبيد الله ابن زياد في ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيد الله ياعوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك. قال عوكل: فوالله انا لنسير بالسمارة اذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغوا لى ذا حافر قال فاذا نحن باعرابي من كلب معه حمار اقر[1] ضخم فقلت تبيعه بكم فقال باربعمائة درهم لا انقصكم درهما فاشار الينا عبيد الله ان خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست أدري ماهذه ولكن بنى وبينكم هذا المولى يعني عبيد الله بن زياد وكان عبيد الله أحمر أقر شبيها بالموالي قال فأخذناه منه فقال عبيد الله ارحلوا لى عليه فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابي أنا أقسم بالله ان لكم شأنا وما أظن صاحبكم الا والي العراق فاستقفاه عبيد الله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يجنبون المياه. قال عوكل ثم ان عبيد الله بيناهو على راحلته اذ هجمت عينه فقلت له اراك نائما فقال ما كنت بنائم فقلت له ما أعلمني بما كنت تحدث به نفسك قال وبأي شيء كنت أحدث

(١) حمار اقر اى لونه مائل الى الحمرة او ابيض فيه كدرة

به نفسي قال قلت : ليتني لم أبن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتني لم اتخذ المحاربة . قال ماخطر لي هذا على بال اما قولك ليتني لم أبن البيضاء فما كان على منها اثم بناها اليزيد من ماله واما استعمال الدهاقين فقد استعملهم أبي ومن كان قبله وأما المحاربة فوالله ما اتخذتهم الا وقاية لاني كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بيني وبينهم من لا ألي بينه وبينهم ولكني كنت أحدث نفسي اني ندمت على تركي أربعة آلاف في السجن من الخوارج فوددت اني كنت أضرمت البيضاء عليهم حتى آتى على آخرهم ووددت اني جمعت آل بيتي وموالي ونابذت أهل المصر على سواء حتي يموت الاعجل ووددت اني قدمت الشام ولم يبايع أهلها بعد .

﴿ قتل المختار عمرو بن سعد ﴾ قال وذكروا ان المختار ابن أبي عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال الرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى عبد الله بن الزبير فأت المهدي محمد بن علي وهو ابن الحنفية فأقرئ عليه مني السلام وقل له يقول لك أخوك أبو اسحاق اني أحبك وأحب أهل بيتك قال فأتاه الرسول فقال له ذلك فقال كذبت وكذب

أبو اسحاق معك كيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو يجالس
عمرو بن سعد بن أبي وقاص على وسادة وقد قتل الحسين
ابن علي أخي . قال فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد بن
علي . فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لي
نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعد بن أبي وقاص
قال ففعل فلما جئن يبكين الحسين . قال عمرو لابنه حفص يا بني قل له
ماشأن النوائح يبكين الحسين . قال فأتاه فقال له ذلك فقال
له هل لك ان تبكي عليه فقال أصلحك الله انههن عن ذلك
قال نعم . ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الى عمرو بن سعد فأتني
برأسه قال فأتاه فقال قم الي أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف فجلله
بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار وحفص جالس عنده على
الكرسي . فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه
قال أتحب ان ألحقك به قال وماخير الحياة بعده . قال فضرب
رأسه فقتله قال ثم أرسل عبد الله بن الزبير يزيد بن زياد على
العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة
ورجع الحسين هاربا الى الشام . قال ثم أرسل عبد الله بن مطيع
الى الكوفة ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل

عبد الله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيد الله بن زياد بعد ذلك الى المختار . وجهه عبد الملك بن مروان أميراً على العراق وندب معه جيشاً عظيما من أهل الشام فاقبل الى الكوفة يريد المختار فالتقوا بجازر فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذا الكلاع وغابة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

﴿ قتل مصعب بن الزبير المختار بن أبي عبيد الله ﴾

قال وذكروا ان أبا معشر قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل فأمروه على أنفسهم ثم أتى عبد الله بن الزبير وام عبد الله بن الحارث هند بنت أبي سفيان وكانت أمه تنبذه وهو صغير ببه فلقب ببه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة عاملا على البصرة ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير أخاه وضم اليه العراقين جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا الى آل الرسول وأراد ان يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله الى أخيه

مصعب ان سر الى المختار بمن معك ثم لا تبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الاعجل منكما، فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الى أخيه وقتل مصعب أصحاب المختار، قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجاً في سنة احدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير ومعه رؤساء أهل العراق ووجوههم وأشرافهم فقال: ياأمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق وأشرافهم كلٌّ مطاع في قومه وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا أهل معصيتك وسعوا في قطع عدوك فاعطهم من هذا المال. فقال له عبد الله بن الزبير: جئتني بعبيد أهل العراق وتأمرني ان أعطيهم مال الله لا أفعل، وأيم الله لوددت اني أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام. قال فقال رجل منهم علقناك وعلقت أهل الشام ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده، ولا يطمعون فيما عنده فاجتمعوا واجمعوا على خلعه فكتبوا الى عبد الملك بن مروان ان أقبل الينا.

﴿ خلع ابن الزبير ﴾ قال وذكروا ان أبا معشر قال لما أجمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك بن مروان

أن سر الينا فلما أراد عبد الملك ان يسير اليهم وخرج من دمشق فاغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ما تصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق، أهل الشام أشد عليك من أهل العراق فأقام مكانه فحاصر أهل دمشق أشهراً حتى صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك الى عمرو وكان بيت المال في يد عمرو أن اخرج للحرس أرزاقهم فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك أخرج لحرسك أرزاقهم أيضاً

﴿ قتل عبد الملك عمرو بن سعيد ﴾ قال وذكروا ان أبا معشر قال: لما اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده أرسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتني أبا أمية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب اليه فاني أتخوفه عليك واني لاجد ريح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فتركته فأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو واذا دخلت علي عبد الملك يا أبا أمية ورابك منه شئ فاسمعنا

صوتك فقال لهم ان خفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزوال بيني وبينكم ميعاد . إن زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا اني مقتول أو مغلوب فضعوا أسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتى تأخذوا بثاري من عدوي . قال فدخل وجعلوا يصيحون ياأبا أمية اسمعنا صوتك وكان معه غلام اسمه شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس فقال له عبد الملك أتمكر ياأبا أمية عند الموت خذوه فأخذوه فقيل له ان أمير المؤمنين قد أقسم ليجعلن في عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الارض نشرة فكسرت ثنيته قال فجعل عبد الملك ينظر اليه فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز اقتله حتى أرجع اليك قال فلما أراد عبدالعزيز أن يضرب عنقه قال له عمرو تمسك بالرحم يا عبد العزيز انت تقتلني من بينهم فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالساً فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن أما ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم ادرجه فى بساط ثم أدخله تحت السرير قال فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب

الخزاعي وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيك في عمرو بن سعيد فابصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه يا أمير المؤمنين فقال له عبدالملك جزاك الله خيراً فما علمتك الا ناصحا اميناً موافقاً قال له فما ترى في هؤلاء الذين احدقوا بنا وأحاطوا بقصرنا قال قبيصة: اطرح رأسه اليهم يا أمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها قال فأمر عبدالملك برأس عمروان تطرح اليهم من أعلي القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونشرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادي: ان أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم الى اكمل ما يكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين في الديوان فأعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم. قال فصاحوا نعم نعم سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين. قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب فجعل يستفز أهل

الشام فيطؤن عليه فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ في حرس ابان بن مروان : يا أمير المؤمنين سلطني عليهم فأعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لا يمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا احرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء في الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار باهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

﴿ مسير عبد الملك الى العراق وقتله ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك لما سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير باهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني اكلمك قال فدنى كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يا مصعب قد علمت ما أجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما أعتقدته من إخائي وصحبتي والله أنا خير

لك من عبد الله وانفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني،
وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لي بيعة هذين المصرين
والامر أمرك لا تعصي ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحباً
لا تخفي ووزيراً لا تعصي. فقال له مصعب: أما ما ذكرت فيّ
من ثقتي بك ومودتي وإخائي فذلك كما ذكرته ولكنه بعد
قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحما مني اليك
وأولى بما عندك فقتلته غدراً، ووالله لو قتلته في ضرب ومحاربة
لساك عاره ولما سلمت من اثمه. وأما ما ذكرت من انك خير
لي من أخي فدع عنك أبا بكر واياك وإياه لا تتعرض له واتركه
ما تركك واربح عاجل عاقبته، وارج الله في السلامة من عافيته
فقال له عبد الملك: لا تخوفني به فوالله إني لا علم منه مثل ما
تعلم ان فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابداً: عُجْب قد ملأه
واستغناء برأيه وبخل التزمه فلا يسود بها أبداً

﴿ قتل مصعب بن الزبير ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك
لما أيس من مصعب كتب الى اناس من رؤساء أهل العراق
يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم أموالا عامة وشروطاً وعهودا
ومواثيق وعقودا وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده

مثل جميع ما جعل لاصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا . فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب لاصحابي كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم في هذه الساعة فاضرب اعناقهم واضرب عنقي معهم قال مصعب: ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لى ذلك من أمرهم . قال ابراهيم فأخرى قال وما هى قال احبسهم في السجن حتى يتبين ذلك فابي فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك هذا أبداً وقد كان قال له قبل ذلك دعني أدعو أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها ابداً وهي ماشرطه الله فقال له مصعب لا والله لا افعل لا اكون قتلتهم بالامس وأستنصر بهم اليوم قال فما هو الا ان التقوا فحولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك بن مروان قال فبقى مصعب في شرذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال اين الناس أيها الامير فقال غدركم ياأهل العراق قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء

عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعي انه قتله . فطرح رأسه وقال:

نطيع ملوك الارض ما قسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف . فرفع عبد الملك رأسه وقال والله يا عبيد الله لولا منتك لالحقتك سريعاً به . قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه أهلها

﴿ ذكر حرب ابن الزبير وقتله ﴾ قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق واتاه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين اني رأيت في المنام كأني اسلخ عبد الله بن الزبير . فقال له عبد الملك أنت له فاخرج اليه فخرج اليه الحجاج في الف وخمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتي نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافي الناس عنده قدر ما يظن انه يقدر على قتال عبد الله بن الزبير وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتي نزل منى فحج بالناس وعبد الله ابن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قبيس ونواحي مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي

قتل في صبيحتها جمع عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم ما
ترون فقال رجل منهم من بني مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى
ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ما نريد على ان نموت معك
انما هو احدى خصلتين اما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا
ولك واما ان تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت
الله ان لا يبايعني أحد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن
صفوان والله إنا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن
تأخذني الحفيظة ان ادعك عند مثل هذه حتى أموت معك .
فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبد الله وكنت
اكتب اليه من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين فوالله لا
يقبل هذا مني أبداً او اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين
من عبد الله بن الزبير فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب
الي من ذلك قال عروة أخوه: يا أمير المؤمنين قد جعل الله
لك أسوة فقال له عبد الله من هو اسوتي قال الحسن بن علي
ابن أبي طالب خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبد الله رجله
وضرب عروة حتى ألقاه ثم قال يا عروة قلبي اذاً مثل قلبك
والله لو قبلت ماتقولون ماعشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وما

ضربة بسيف ألا مثل ضربة بسوط (١) لا اقبل شيئاً مما تقولون قال فلما أصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعي لى طعاماً فصنعت له كبداً وسناماً قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبنا فاتى بلبن فشرب ثم قال صبوا على غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول:

ولا ألين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على أمه اسماء بنت أبي بكر الصديق وهي عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها: يا أماه ماترين قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي . فقالت: يا بني لا يلعبن بك صبيان بني أمية عش كريماً ومت كريماً فخرج واسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم وهو يقول:

ويل أمه فتح (٢) لو كان له رجال . قال فجعل الحجاج يناديه قد كان

---

(١) يروي: وان ضربة بسيف في عز خير من لطمة في ذل (٢) يروى انه دخل عليها فسلم فقالت من هذا فقال عبد الله . ثم قالت: يا بني مت كريما فقال لها ان هذا قد أمنني يعني الحجاج . قالت يا بني لا ترض الدنية فان الموت لابد منه . قال انى اخاف ان يمثل بي . قالت: ان الكبش اذا ذبح لا يؤلمه السلخ . فخرج وجعل يقاتلهم ويقول ويل أمه فتح الخ .

لك رجال ولكنك ضيعتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما دري أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول: واأمير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة ابن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادي الاولى سنة ثلاث وسبعين . قال أبو معشر: ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر على العراقين واحتل لقتلهم فانه قد بلغني عنهم ما اكره. واستعمل عبد الملك على المدينة يحيي بن حكيم بن أبي العاص

﴿ ولاية الحجاج على العراقين ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك لما كتب الى الحجاج يامره بالمسير الى العراقين ويحتال لقتلهم توجه ومعه الفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحماتهم وأربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم بالفى رجل وتحري دخول البصرة يوم الجمعة في حين أوان الصلاة فلما دنى من البصرة أمرهم ان يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل باسيافهم

تحت ارديتهم • وعهد اليهم أن اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه • فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضى به الى داخل ازاره • فقال لهم اني اذا دخلت فسأكلم القوم في خطبتي وسيحصبوني فاذا رأيتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا أسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين • فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال: ايها الناس ان أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل في بلاده وارتضاه اماماً على عباده وقد ولاني مصركم وقسمة فيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البريء، والعقاب الى العاصي المسيء، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خليفته المكافاة، وأخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف

عذاب ونقمة فاما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق وأما
سيف النقمة فهو هذا . فحصبه الناس فلما اكثروا عليه خلع عمامته
فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبري الرقاب فلما سمع
الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع
الناس الى الخروج تلقوهم بالسيوف فأردعوا الناس الى جوف
المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعاً وسبعين الفا
حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك . قال ابو معشر :
لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد
سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد احيى الليل ثم تكلم
بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال : اني ارى رؤساً قد اينعت
وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلهم فحصبوه واكثروا فأمر بهم
جنداً من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا به من حوله ومن
حول أبواب المسجد قال فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم بعث
عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه
جاش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب
الى الحجاج : اني لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يرى ما لا يرى
الغائب . فكتب اليه الحجاج : أنا الشاهد وأنت الغائب فانظر ما

ـبأت به اليك فامض له والسلام

﴿ خروج ابن الاشعث على الحجاج ﴾ قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسي بن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال لهم ما ترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من أفضل اعمال البر فخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا أنفسنا عليك فما الرأى قال الرأى ان تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كارهٌ . قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وأنا أعلم ان سعيداً لا يخرج وان أرادوا ذلك سيكفهم عنه فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتي فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الاشعث من كرمان وتقدم

اليه ان لا يكتمه من أمره شيئاً فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن قال له عبد الرحمن ما وراءك يا غضبان قال: شر طويل تغدي الحجاج قبل ان يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهي أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينما هو كذلك اذ ورد اعرابي من بكر بن وائل على قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك . فقال: له الغضبان : السلام كثير وهي كلمة مقولة، قال الاعرابي من اين اقبلت قال : من الارض الذلول قال واين تريد قال : امشي في مناكبها وآكل من رزق الله الذي أخرج لعباده منها ، قال الاعرابي فمن عرض اليوم قال الغضبان المنقول قال فمن سبق قال حزب الله الفائزون قال الاعرابي ومن حزب الله قال هم الغالبون . فعجب الاعرابي من منطقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض قال الغضبان انما تقرض الفأرة قال أفتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال انما ينطق كتاب الله قال افتقول قال انما يقول الامير ، قال الاعرابي تالله ما رأيت مثلك قط ، قال الغضبان بلى ولكنك نسيت ، قال الاعرابي فكيف أقول قال أخذتك الغول في العاقول وأنت قائم تبول ، قال الاعرابي

اتأذن لي ان أدخل عليك قال الغضبان وراءك أوسع لك، قال الاعرابي قد أحرقتني الشمس قال الغضبان الآن يفيءُ عليك الفيء اذا غربت قال الاعرابي ان الرمضاء قد أحرقت قدميّ قال الغضبان بل عليها يبردان قال الاعرابي ان الوهج شديد قال الغضبان ما لي عليه سلطان قال الاعرابي اني والله ما أريد طعامك ولا شرابك قال الغضبان لا تعرّض بهما فوالله لا تذوقهما قال الاعرابي وما عليك لو ذقتهما قال الغضبان نأكل ونشبع فان فضل شيء من الاكرياء والغلمان فالكلب أحق به منك قال الاعرابي سبحان الله قال الغضبان نعم من قبل ان يطلع رأسك وأضراسك الى الدنيا قال الاعرابي ما عندك الا ما أرى قال الغضبان بلى عندي هراوتان اضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك قال الاعرابي انا لله وانا اليه راجعون قال الغضبان أظلمك أحد قال الاعرابي ما أرى ثم قال الاعرابي يا آل حارث ابن كعب فقال الغضبان بئس الشيخ ذكرت قال الاعرابي ولم ذلك قال الغضبان لان ابليس يسمى حارثاً قال الاعرابي انى لأحسبك مجنوناً قال الغضبان اللهم اجعلني من خيار الجن قال الاعرابي اني لأظنك حرورياً قال الغضبان اللهم اجعلني

ممن يحري الخير قال الاعرابي اني لأراك منكرا قال الغضبان اني لمعروف فيما أوتي . فولى عنه وهو يقول : انك لبذخ احمق وما أنطق الله لسانك الا بما أنت لاق وعما قليل تلتف ساقك بالساق . فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أأنت شاعر ؟ قال لست بشاعر ولكني حائر قال أفعراف انت قال بل وصاف قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال الغضبان : أرض ماؤها وشل وسهلها جبل ، وثمرها دقل (١) واصها بطل ، ان كثر الجيش بها جاعوا وان قل بها ضاعوا . قال صدقت أعلمت من كان الاعرابي ؟ قال لا قال كان ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة : تغدي الحجاج قبل ان يتعشاك . وأنت يا غضبان قد أنذرك خصمك على نطق لسانك فما الذى به دهاك قال الغضبان جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين اما انها لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه فقال الحجاج : اجل ولكن اتراك تنجومني بهذا والله لأقطعن يديك ورجليك ولاضربن بلسانك عينيك . قال الغضبان : أصلح الله الامير قد آذاني الحديد وأوهن ساقي القيود فما يخاف من عدلك البريء

---

(١) الدقل محركه أردأ التمر

ولا يقطع من رجائك المسيء ، قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرتعة ومن يك ضيف الامير يسمن . قال إنا حاملوك على الادهم قال الغضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل على الادهم والاشقر ، قال الحجاج : انه لحديد قال الغضبان لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً قال الحجاج اذهبوا به الى السجن ، قال الغضبان : «فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون» فاستمر فى السجن الى ان بني الحجاج خضراءواسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا اما رأينا مثلها قط قال الحجاج : اما ان لها عيباً فما هو ؟ قالوا ما نرى بها عيباً قال سأبعث الى من يخبرني به فبعث فاقبل بالغضبان وهو يرسُف في قيوده فلما مثل بين يديه قال له يا غضبان كيف قبتي هذه قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية قال اخبرني بعيبها قال : بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن . قال الحجاج صدق ردوه الى السجن فقال الغضبان أصلح الله الامير قد اكلني الحديد وأوهن ساقي القيود وما أطيق المشي قال احملوه فلما حمل على الايدي قال : «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا

له مقرنين» ، قال انزلوه قال « رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر «بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الارض فقال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبني والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحي عنه قال الغضبان «فاصفح عنهم وقل سلام» فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه .

﴿ حرب الحجاج مع ابن الاشعث وقتله ﴾ قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد بن الاشعث بن قيس الكندي رغبة في شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يدا على من ناوأه . وكان لها أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي له ابهة في نفسه وكان جميلا بهيا منطقيا مع ما كان له من التقدم والشرف فازدهاه ذلك وملأه كبراً ونخراً وتطاولاً فالزمه بنفسه والحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجري عليه العطايا

الواسعة صلة لصهره وحباً لاتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حينا مع الحجاج لا يزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا وفي نفس الحجاج من عجبه مافيها لتشمخه زاهيا بأنفه حتى انه كان ليقول اذا رآه مقبلا: أما والله ياعبد الرحمن انك لتقبل علي بوجه فاجر وتدبر عني بقفاء غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك . فمكث بهذا القول منه دهراً حتى اذا عيل صبر الحجاج على مايتطلع من عبد الرحمن أراد ان يبتلي حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وان يبدي منه ما يكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان . فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعاً شديداً فأتوا الحجاج فقالوا له اصلح الله الامير انا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبي ان ينتهي عن عجبه بنفسه ونحن نتخوف ان يفتق فتقا أو يحدث حدثا يصيبنا فيه منك مايسؤنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأي كالذي رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدي ان شاء الله . فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصرّ لخلعان طاعة الحجاج

وسار بذلك مسيره اجمع حتى نزل بمدينة سجستان ثم مر على
خلعانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن على اظهار خلعان الحجاج
كتب الى أيوب بن القرّية التميمي وهو مع الحجاج في عسكره
خاص المنزلة منه وكان مفوّها كليما يسأله ان يصدر اليه رسالة
الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرّية
رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد ابن
الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله
وأوليائه الذين يحكمون بعدله، ويوفون بعهده، ويجاهدون في
سبيله ويتورعون لذكره ولا يسفكون دما حراما، ولا يعطلون
للرب أحكاما ولا يدرسون له اعلاما ولا ينتكبون النهج ولا
يبرمون السيّء، ولا يسارعون في الغي، ولا يدللون الفجرة ولا
يتراضون الجورة، بل يتمكنون عند الاشتباه ويتراجعون عند
الاساءة، أما بعد فاني أحمد الله حمداً بالغا في رضاه منتهيا الى
الحق في الامور الحنيفية لله علينا. وبعد فان الله أنهضني لمصاولتك
وبعثني لمناضلتك حين تحيرت أمورك وتهتكت ستورك
فاصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقا ولا ترافق رفقاء
ولا تلازم صدقا أؤمل من الله الذى ألهمني ذلك أن يصبرك

في حبالك وان يجيء بك في القرآن ويسحبك للذقن وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدي من اتهمته وعاديته . فلعمري لقد طال ماتطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت ان لن تبور ، وأنت في فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ماأقول ستخبره عن قريب فسر لامرك ولاق عصابة خلقك من حيالها خلّفُها نعالها وتدرعتْ حلالها تدرعها مطالها الا يحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيدا يتأملون خزايتك ويتجرعون إمارتك عطاشا الى دمك يستطمعون لله لحمك وأيم الله لينافقك منهم الابطال الذين بيتهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شرَوْا أنفسهم تقربا الى الله فاعص عن ذلك يا ابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على أهل طاعة الله . فلما قدم الكتاب على الحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف ردائه والقى الطرف الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس . ثم قال :

نقاتلهم ولا نشتم عدواً * وشر عداوة المرء السّباب

أمرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وُعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ما تأتون وما

تبغون العجب العجب وما هو أعجب من العيْر الأبتر انى وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا في نحور العدو ثم اقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عيراً بتروه ومن كيده ماهو اعجب العجب على حين اناقد أمنا الخوارج واطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم يا أهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوماً ذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيشٍ ليس منهم من أمير جيشٍ الا وهو في جنده بمنزلة العروس التي يزف بها الى خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة في صحبة ولا ذماماً في طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذي يخوف منكم يا أهل العراق أما هذا الذي يتقى والله لقد أكرمنا الله بهوانكم وأهانكم بكرامتنا في مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخاذها وما الله بظلام للعبيد ، ثم خذلانكم لهذه المَعْلوجاء[1] المقصصة انحرافا أو لهذه المعلوجاء واخلاطها من أهل

---

(١) المعلوجاء جمع علج وهو الرجل الشديد الغليظ .

العراق ، لقد هممت ان أترك بكل سكك منها جيفا منتفخين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب . يا أهل الشام أحدوا قلوبكم واحدوا سيوفكم ثم قال :

قد جد أشياعكم فجدوا * والقوس فيها وتر عرد

* مثل ذراع البكر او أشد *

هيهات ترك الخداع من أجري من المائة ، ومن لم يذد عن حوضه يهدم ، وأرى الحزام قد بلغ الطبيين ، والتقت حلقتا البطان [1] ، ليس سلامان كعهدان [2] ، انا ابن العرفة وابن الشيخ الاغر ، كذبتم ورب الكعبة ما الرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا العيوبكم وايا كم أن أكون أنا وأنتم كما قال القائل :

انك ان كلفتني ما لم أطق * ساءك ماسرك مني من خلق

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون ، فالتقدم قبل التندم ، وأخو المرء نصيحته . ثم قال :

لذى العلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

ثم قال : أحمدوا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال :

---

(١) تضرب مثلا لما جاوز الحد (٢) العهدان العهد اي ليس كما عهدت . يضرب مثلا لما تغير عما كان قبل وسلامان اسم مكان .

اكتب يا نافع وكان نافع مولاه وكاتباً يكتب بين يديه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على اهل النزوع من التزيغ واسباب الرداء لا الى معادن السيء والتقحم في الغي فاني أحمد الله الذي خلالك في حيرتك اذ بهتك في السيرة، ووهلت للضرورة، حتي أقحمك أموراً أخرجك بها عن طاعته، وبجانبت ولايته، وعسكرت بها في الكفر، وذهلت بها عن الشكر، فلا تشكر في السراء، ولا تصبر في الضراء، اقبلت مستنا بحريم الحرّة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج، ومبارزة الحجاج، ألا بل لامك الهبل وعزة ربك لتُكبّن لنحرك، ولتقلبن لظهرك، ولتتخبطن فريصتك، ولتدحضن حجتك، ولتذمن مقامك، ولتشغلن سهامك، كأني بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هَوْجاً هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة ابطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب. ثم قال: من ها هنا من فتية بني الاشعث بن قيس؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتي به قال له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذي قد فتن فاردعه عن قبيح ما دخل فيه وعظيم ما أصر عليه من حق الله وحرمة

ما انتهك عدو الله الي ما في ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتي بانك قد حويت علما وأصبت فقهاً أخاف أن يكون عليك لا لك لعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتي انتهي اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذي هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلى بابن جبير في الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فابى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهراً كريتاً (١) فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه في رغبته وخلعا طاعة الحجاج ثم ان عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من أجناده من أهل الشام وبمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من اديار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا

---

(١) يقال شهر كريت ويوم كريت وعام كريت أي تام العدد .

اكتب يا نافع وكان نافع مولاه وكاتباً يكتب بين يديه: بسم الله
الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن بن الاشعث
سلام على اهل النزوع من التزييغ واسباب الرداء لا الى معادن السيّ
والتقحم في الغي فاني أحمد الله الذي خلالك في حيرتك اذ بهتك في
السيرة، ووهلك للضرورة، حتى أقحمك أموراً أخرجك بها عن
طاعته ، وجانبت ولايته ، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت
بها عن الشكر، فلا تشكر في السراء، ولا تصبر في الضراء،
اقبلت مستنا بحريم الحرّة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرها وجلبت
لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج، ومبارزة الحجاج، ألا بل
لامك الهبل وعزة ربك لتُكبّن لنحرك، ولتقلبن لظهرك،
ولتخبطن فرصتك ، ولتدحضن حجتك ، ولتندمن مقامك ،
ولتشغلن سهامك، كأني بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف
هوْجاً هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة ابطالها
والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب . ثم قال: من ها هنا
من فتية بني الاشعث بن قيس؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتي به قال
له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذي قد فتن فاردعه
عن قبيح ما دخل فيه وعظم ما أصر عليه من حق الله و حرمة

ما انتهك عدو الله الي ما في ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتي بانك قد حويت علما وأصبت فقهاً أخاف أن يكون عليك لا لك لعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتي انتهي اليه . فلما قرأ عبدالرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذي هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلي بابن جبير في الليل فيسمر معه ويسأله عبدالرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فابى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهراً كريتاً [1] فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه في رغبته وخلعان طاعة الحجاج ثم ان عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من أجناده من أهل الشام وبمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من اديار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا

(١) يقال شهر كريت ويوم كريت وعام كريت أى تام العدده

كان في جوف ليلة من الليالي خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبي مسلم مولاه وحاجبه على ما وراء بابه وأما يحيي فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هو نسي أو غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله يا حجاج فيذكر ما بداله ان يذكر . واما زياد فكان ذا رأي ومشورة وأدب وفقه ونصيحة . وأما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأي فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي فكان هذا فقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة في ان يبيته فكره ذلك م واليه وأشار عنبسة ان يبيته فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأي شعوب فمخطئ منها ومنها مصيب غدا الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل ويترجل أهل مودتي ونصيحتي من ولدي وغيرهم ففعل . وأصبح صائما وبيتهم ليله الثلاثاء وهو يقول : اللهم ان كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلاله وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم . فحمل عليهم والنيران توقد فأصاب منهم وأصيب منه وانهزم ابن الاشعث

في سواد الليل وأصاب الحجاج عسكره واسر سعيد
ابن جبير وأفات عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث فلما
أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال له: ويحك ياسعيد اما تستحى
مني ومدك الشيطان في طغيانك الا استحييت من المراقب لي
ولك والحافظ علي وعليك فقال: اصلح الله الامير وامتع به هي
بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الامير وكما نسبه به
واضافه اليه الا اني اتيت رجلا قد ازهي واطغى ولبسته الفتنة
وركب الشيطان كتفيه ونفث في صدره واملى على لسانه نخفته
واتقيته بالذي فعلت فإن تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك
فقال له الحجاج فإنا قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة اخرى.
ثم كتب كتابا ووجهه مع سعيد بن جبير الى عبدالرحمن فلما كان
سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبدالرحمن فأخبره
فنفر عبد الرحمن وخرج موائلا الى أهل البصرة وقد قدمت
عليه كتبهم يستبطؤنه ويستعجلونه حتي قدم عليهم وبلغ ذلك
الحجاج فسبقهُ الى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكباً
قوسا فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحرض الناس على قتال
ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من

أهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بني تميم وكان رجلا منطقيا وله هوى في الخوارج وكان الحجاج به خابراً فلما رآه عرف انه يريد الكلام فقال له ادن ياسلمة فدنى فقال له قل فقال: قد رضينا بالله رباً وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماماً وبأمير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف والياً والله لو كنا زمعاً وبى [1] زمع مارضينا ان نكون تبعاً لهذا الحائك ، أمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمره أقرب قرابة وأوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الأمير أكرمه الله من ان نسارع له في معصية أو نبطئ عنه فى طاعة . فأجابه الحجاج فقال: ياسلمة هذا قول حسن لا أدخله صدرى ولا أردنه فى نحرك حتى نبتلي حقيقته ان شاء الله . وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر باجناده بالزاويه والزاوية في طرف من ناحية البصرة في طرف بني تميم . ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مامرة وقتل له ابن الاشعث خاماً لا تحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يأس من نفسه وقال

(١) يريد بالزمع هنا سفلة الناس واحسائهم واحدها زمعه وهى شعرات مدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبي وراء الظلف

أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتني يعني أسماء بنت أبي
بكر الصديق لئن صدقت أسماء لا أقتل اليوم . وكان الحجاج
لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الى أمه أسماء بنت أبي
بكر الصديق ان تأتيه فأبت ان تأتيه فقال والله لئن لم تأتني
لابعثن اليها من يجر بقرون رأسها ويسحبها حتى تصل الي
فقيل ذلك لها فقالت والله لا أسير اليه حتى يبعث الي من يجر
بقرون رأسي . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها
كيف رأيت مافعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا
المسلمين المفني لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه . فقالت : رأيته
اختار قتالك فاختار الله له ماعنده اذ كان اكرامه خيراً من
اكرامك ولكن ياحجاج بلغني انك تنتقصني بنطاقيّ هذين
أو تدري مانطاقي أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق الآخر
فاوثقت به خطام بعيره فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما ان لك به نطاقان في الجنة، فانتقص علي بعد هذا أودع ولكن
لا أخالك ياحجاج ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم

يبيد الخلق ويقذف الكعبة باحجارها الا لعنة الله عليه ، فافحم الحجاج ولم يجد جوابا قال وسار ابن الاشعث بعدما هزم الحجاج مراراً الى الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان ان أمدني بالرجال فأمده بمحمد بن مروان فى أناس من بني أمية كثير وجعل الحجاج أميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا أياماً بدير الجماجم حتى كثر القتل في الفريقين جميعاً ثم ان ابن لاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر علي مسير ثلاثة أيام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الاشعث يسأله ان يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره من هو أحب اليهم منه فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة قال من أنت قال رجل من خزاعة قال من أهل البصرة أنت أم من أهل الكوفة قال لا بل من أهل سجستان قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا قال لا قال أفمن وزراء ابن الاشعث أنت علينا فى هذه الفتنة ياأخا خزاعة قال والله ما هويتها ولقد جلبني اليك مكرهاً قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا

انصرفت اليه قال بالامرة قال فهل ترى في ذلك انك صادق
قال الله أعلم بأي الامرين هو في نفسك أعلى الصواب أم على
الخطأ قال الله أعلم أى الامرين في نفسي قال أما انك يا أخا
خزاعة قد رددت الامر اليه وهو تعالى اعلم انطلق الى صاحبك
بكتابك كما جئت به واعلمه بالذي كان من ردنا عليك فانه
جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الى الله من يوم
الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون وذلك يوم الاحد . فلما انصرف
رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أي مثل مافعله)
كف فلم يسأله امام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه
فاخبره الخبر قال وما وراء ظهرك الا هذا قال له في دون
ماجئتك به مايكفيك فقد رأيت أمراً صعباً ليس وراءه الا
المناجزة ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق
العطية في ثلاث مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة: سفيان بن
الابرد الكلبي على ميمنته وسعيد بن عمر والجرشي على القلب
وعبد الرحمن بن عبد الله العكى على ميسرته فاعطى الناس على
هذا وأقام في معسكره متربصاً ومنتظراً ليوم الاربعاء . فلما

رأى ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء
بعث رجلا من معسكره حتى دنى من معسكر الحجاج فنزل
قريباً منه على مقدار حضر الفرس رجاء ان يتحرش له أحد من
معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه
وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أراده والذي توقع فتقدم
الى أمراء اجناده وقواده والى أهل عسكره عامة الا يكلم
أحد منهم أحدا من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه
نفسه وان أمكنته الفرصة منه الى يوم الاربعاء فلما كان صبيحة
يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يبنا يكون ولا
يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء
ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها
خلافا لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا على الله ونادى مناديه
في عسكره ان انهضوا الى قتال ابن الاشعث وأمر خاصته
فركبوا معه وقدم رجالته واخر خلفه مقاتلته حتى اذا كانوا من
عسكر ابن الاشعث على مثال السهم وقف فصف أصحابه وعبأهم
للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته
ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وترامي الناس حتى اذا

كاد القتال ينشب خرج رجل من أصحاب ابن الاشعث وهو
ينادي الا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو
يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج
وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظالمتك ياعنبسة لو كنت
تاركها يوما من دهرك اتركتها يومك هذا فلما دنى من
الرجل قال له عنبسة فمن أنت ياشيخي فقال رجل من بني تميم ثم
من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف
الي مجلسه فجلس وقد تبين للناس حُسْنُ صُنْعِه ثم زحف
الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحي سفيان على
مركزه لم يَرِمْ والجرشي على مركزه لم يَرِمْ وكانت ميلتهم على
الميسرة فنحوا عبدالرحمن العكي فلما رأى الحجاج قد انكسرت
ناحيته وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن أيوب في خيل
فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده
الي مقامه ففعل وبعث الى سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم
ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا
فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث
اليه الجرشي يستأذنه للقتال فمنعه الحجاج وقال له لا الا أن ترى

أمراً مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الأمر وثاب العكى وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحل معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيرا وكبروه تكبيرا عاليا ثم انتهوا الى ربوة فأومأ اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران في يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهي من قول عبيد ابن الابرص أومن قول اليشكرى [١] :

كيف ترجون سقوطي بعدما * جلل الرأسَ بياضٌ وصلَعْ

ساء ماظنوا وقد اوريتهم * عند غايات المدى كيف اقعِ

رُبّ من انضجت غيظا قلبه * قد تمني لي موتا لم يُطَعِ

ويراني كالشّجى في حلقه * عسراً مخرجه ما ينتزع

مزبد يهدر مالم يرني * فاذا أسمعته صوتى انقمع

ويحييني اذا لاقيته * واذا يخلوله لحمى رتع

ورث البغضاء عن والده * حافظا منه الذى كان استمع

واسانى صيرفيّ صارم * كذباب السيف مامس قطع

---

(١) الصحيح على مارأساه من نقل الثقات انها لسويد بن أبي كاهل اليشكرى

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو اهله للذي كان من صنعه فبيناهو كذلك اذ اتاه من يخبره أن ابن الاشعث قد انخذل من اصحابه في نفر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوى فقطع معه ليلا وأرسله في طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم ان لا يدركوا أحداً الا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا في مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس وأذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما أوتى باسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الى الليل فلما اصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادي بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وجميع أصحابه الى مدينة واسط فكان فيها وهو الذي بناها وضرب ابن الاشعث ظهراً لبطن ليلا ونهاراً حتى لحق بخراسان ورجا في لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التي في طلبه حتى غشيته فلم تزل تطالبه من موضع الى موضع حتى استغاث بقصر

منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه وأحاطت به الخيل من كل
جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه في القصر فلما رأى
ابن الاشعث انه لا محيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمى بنفسه
من بعض علالي القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل
في غمار الناس فيخفى أمره ويكتم خبره فسقط فانكسرت
ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشيا عليه فشعر به أصحاب الحجاج
فأخذوه وقد أفاق بعض الافاقة ولا يقدر على النهوض فأتوا به
الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال ايقن انه لا يقدر على ان
يبلغ الحجاج حتى يموت فأمر به فضربت رقبته وانطلق برأسه
الى الحجاج فلما قدم عليه أحدث لله شكراً وحمداً فيما كان من
تمام الصنع وما هيأ له من التأييد والظفر وأقام كذلك لا يمر
عليه يوم الا وهو يؤتى فيه باسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا
وغيظا لمسارعتهم في اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج
فيأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء ان يستأصلهم فلا يخرج
عليه خارجي بعدها فلما رأى كثرة من يؤتى به من الاسرى
تحرى فجعل اذا أوتي بأسير يقول له: أمؤمن أنت أم كافر
ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر

والنفاق عفى عنه ومن قال أنامؤمن ضرب عنقه . وأسر
عامر بن سعيد الشعبي فيمن أسر وكان مع ابن الاشعث في
جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها
للذى كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير، وأفات سعيد ابن
جبير فالحق بمكة وأوتي بالشعبي الى الحجاج في سوزة غضبه
وهو يقتل الاسري الاول فالاول الا من باء على نفسه
بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الي الدخول
عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن ابي مسلم
وكان مولاه وحاجبه فقال: يا شعبي لهفي بالعلم الذى بين دفتيك
وليس بيوم شفاعة اذادخلت على الامير فبوئله بالكفر والنفاق
عسى ان تنجو فلما دخل على الحجاج صادفه واضعاً رأسه لم يشعر
فلما رفع رأسه رآه قال له وأنت أيضاً ياشعبي فيمن أعان علينا
وألّب قال: اصلح الله الامير اني أمرت بأشياء أقولهالك
أرضيك بها وأسخط الرب ولست أفعل ولكني أقول اصلح
الله الامير وأصدقك القول فان كان شيء يقع بين يديك فهو
في الصدق ان شاء الله: أحزن بنا المنزل واجدب الجناب
واكتحلنا السهر واستحلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض

فوقعنافي حرب لم يكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرةأقوياء . فقال له الحجاج كذلك قال نعم اصلح الله الامير وأمتع به قال فنظر الحجاج الى أهل الشام فقال صدق والله ياأهل الشام ما كانوا بررة أتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا ثم قال : انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت أحق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد أحضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا قد سمعا ما قيل للشعبي بالباب ان يقوله فلما أدخلا قال الحجاج للبكري امنافق أنت قال نعم اصلح الله الامير لكن أخو بني تميم لا يبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمي: انا على دمي أخدع أصلح الله الامير منافق مشرك . فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما . قال الشعبي فوالله ماأتى لذلك الامر الا نحو من شهرين حتى رفعت اليه فريضة أشكلت عليه وهي أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها قال فدل عليّ فارسل الي وقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة أم وأخت وجد . فقلت: اصلح الله الامير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال : من قال فيها ؟ قلت قال فيها علي بن

أبي طالب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت . قال : هات ما قال فيها عليّ فاخبرته قال فما قال فيها ابن مسعود فاخبرته قال فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متقفا فاخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان فاخبرته قال فما قال زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم فاعطى الام ثلاثة أسهم واعطى الجد أربعة أسهم واعطى الاخت سهمين فلما سمع ما كان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل للقاضي يمضيها على ما قال أمير المؤمنين عثمان . قال الشعبيّ ودخلت عليه الترك قد شدوا اوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من اعناقهم وأخذوا الطوامير بأيمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فانبأه عنه وعنهم بصلاح فقال ما كان وراءك من غيث قال نعم أصلح الله الامير أصابتني سحابة في موضع كذا فوادٍ سائل وواد نازع ، فارض مدبرة وارض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة أماكنها فما أتيتك الا في مثل مجرى الضب فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل نجد فقال له ما كان

وراءك من غيث فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد وأكل ما
اشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة، فقال بئس المُخبِر
انت قال اخبرتك بالذى كان فقال للحاجب ائذن للناس فدخل
عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث
قال نعم وسمعت الرُّواد يدعون الي ربادها وسمعت رائدا يقول
هلموا اطعمكم محلة تطفو فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس
فيها المعز فقال له ويحك انما تحدث أهل الشام فافهمهم فقال
أصلح الله الامير اما تطفو النيران فيستكثر فيها الذبد واللبن
والتمر فلا توقد ناراً واما ان يشتكى النساء فانه من جذبها على
ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها
وأما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات والوان الثمر مايشبع
بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلات اكراشها من
الكِظّة (١) شرة تنزل به الدرة ، ثم قال للحاجب ائذن للناس
فدخل عليه رجل من الموالى كان اشجع الناس في زمانه يقال
له عمرو بن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث
قال نعم أصلح الله الامير أصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم

(١) الكظة البطنة أو شيء يعترى من امتلاء الطعام

إزل أطلب أثرها حتى دخلت على الامير فقال له الحجاج :أما
والله لئن كنت في المطر أقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم
خطوة . ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن
عياش بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة أيام ثم انهزم فوقع بارض
فارس ثم صار الى السند فمات هنالك وتحصن ناس من أصحاب
ابن الاشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن بن
الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى
التميمى ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله ومحمد
واسحاق وعون بنو عبد الله بن الحارث في ناس من
قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فاشعر به الحجاج فغفل عنه
ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس .
قال أبو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب ان
اخبروني بآية بيني وبينكم حتى أخرجكم قال فكتب اليه عبد
الله بن الحارث كنت يوم كذا وكذا في دارنا قال فأخرجته
وبنيه فسكناه عمان واسر من بقي وأسروا اثني عشر رجلا
من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى
التميمى ومحمد بن سعد بن أبي وقاص فبعث بهم الى الحجاج

فحبسهم عنده وكتب الى عبد الملك يخبره بامرهم وجعل يذكر فى كتابه ان سعيداً قدأنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب اعناقهم ويقول في كتابه لم أبعثك مشفعاًوانما بعثك منذامناجزاً لاهل الخلاف والمعصية . فابرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسى ياعاتق قريش وكان شابا جميلا مالك انت وللخروج انما انت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو ايها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فارسل يدى وقد برئت منى الذمة فقال له الحجاج كلا حتى اقدمك الى النار فضربت رقبته ثم جيئ بمحمد بن سعد فقال له ياظل الشيطان وكان رجلا طويلا ألست بصاحب كل موطن انت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه ارسل يدى وقد برئت منى الذمة قال لا حتي أقدمك الى النار ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب قال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا ثم قتل الباقين

﴿ ذكر قتل سعيد بن جبير ﴾ قال وذكروا ان مسلمة ابن عبد الملك كان واليا على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر

اذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام والياعليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى في الدرجة الثالثة تحت مسلمة اخرج طوماراً مختوماففضه ثم قرأه على الناس فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهـل مكة أما بعد فاني وليت عليكم خالد بن عبد الله القسري فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلنّ امرؤٌ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لاغير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام. ثم التفت اليهم خالد: وقال: والذي نحلف به ونحج اليه لاأجده في دار أحـد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لـكم فيه ثلاثة أيام. ثم نزل ودعامسلمة برواحله ولحق بالشام. فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بوادٍ من أودية مكة مختفياً بمكان كذا فارسل خالد في طلبه فاتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال انما أمرت بأخذك وأتيت لأذهب بك اليه وأعوذ بالله من ذلك فالحق باي بلد شئت وانا معك قال له سعيد بن جبير: ألك هاهنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المـكروه مثل الذي كان ينالنا قال الرسـول فاني

أ كلهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا . فاتى به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام : ان الحجاج قد انذر به وأشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أزكى من كل عمل يتقرب به الى الله . فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها : والله لو علمت ان عبد الملك لا يرضى عني الا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته في مرضاته . فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من قال ابن جبير قال بل أنت شقي ابن كسير قال سعيد أمي أعلم باسمي واسم أبي قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لأردنك حياض الموت قال سعيد أصابت اذاً أمي اسمي فقال الحجاج لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى قال سعيد ولو اني أعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الهاً قال الحجاج فما قولك في محمد قال سعيد : نبي الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافة بالموعظة الحسنة . فقال الحجاج فما قولك في الخلفاء قال سعيد : لست عليهم بوكيل كل امرىء بما كسب رهين قال الحجاج اشتمهم أم امدحهم قال سعيد : لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسي . قال

الحجاج أيهم أعجب اليك قال : حالاتهم يفضل بعضهم على بعض
قال الحجاج صف لي قولك في علي أفي الجنة هوام في النار قال
سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في
النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ، قال الحجاج
فاي رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا أهون على الله من ان
يطلعني على الغيب ، قال الحجاج أبيت أن تصدقني قال سعيد بل
لم أرد ان أكذبك فقال الحجاج فدع عنك هذا كله أخبرني
مالك لم تضحك قط قال: لم أرَ شيئاً يضحكني وكيف يضحك
مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الي الجزاء واليوم
يصبح ويمسي في الابتلاء ، قال الحجاج فانا أضحك فقال سعيد
كذلك خلقنا الله أطواراً قال الحجاج هل رأيت شيئاً من
اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناي قال فلما ضرب
بالعود ونفخ في الناي بكي سعيد قال الحجاج ما يبكيك قال:
ياحجاج ذكرتني أمراً عظيما والله لا شبعت ولا رويت ولا
اكتسيت ولا زلت حزيناً لما رأيت ، قال الحجاج وما كنت
رأيت هذا اللهو فقال سعيد: بل هذا والله الخُرْق أما هذه
النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور وأما هذا المصْران فمن

نفس ستحشر معك الى الحساب وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق ، فقال الحجاج انا قاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتى قال الحجاج أنا أحب الى الله منك قال سعيد لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم ، قال الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا وأنا مع امام الجماعة وأنت مع امام الفرقة والفتنة قال سعيد ما أنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له، قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين قال سعيد لم أرَ فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه قال سعيد: هذا حسن ان قمت بشرطه قال الحجاج وما شرطه قال :ان تشتري له بما تجمع الأمن من الفزع الاكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ويضع كل ذي حمل حمله ولا ينفعه الا ما طاب منه قال الحجاج فترى جمعنا طيباً؟ قال برأيك جمعته وانت أعلم بطيبه قال الحجاج أتحب ان لك منه شيئاً قال لا أحب مالا يحب الله قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال اني أشهدك يا حجاج ان لا اله

الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله استحفظكها
ياحجاج حتى القاك . فلما ادبر ضحك قال الحجاج ما يضحكك
ياسعيد قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال
الحجاج انما اقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التي نهى
الله عنها اضربوا عنقه قال سعيد حتي أصلي ركعتين فاستقبل
القبلة وهو يقول: وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، قال الحجاج : اصرفوه عن
القبلة الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغياً بينهم فانه
من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد : فاينما تولوا فثم وجه
الله الكافي بالسرائر ، قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا
بالظواهر قال سعيد: اللهم لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي واجعلني
آخر قتيل يقتل من أمة محمد . فضربت عنقه ثم قال الحجاج
هاتوا من بقي من الخوارج فقرب اليه جماعة فأمر بضرب
أعناقهم وقال ما أخاف الادعاء من هو في ذمة الجماعة من
المظلومين فاما امثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا عن
جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج
لم يفرغ من قتله حتي خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا

قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود أو يعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق

﴿ ذكر بيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك ﴾ قال وذكروا انه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج ان يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فأبى ذلك عبد الملك لان أخاه عبد العزيز كان حياً وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يوبخه ويقول له مالك انت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعاً اذ مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك في الحزم والرأي والعقل والدكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز في شيء الا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يأمر بالشيء فيريد عبد العزيز غيره ويري خلافه فيرده الى رأيه ولا يمضيه وكان لا ينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة احدى وثمانين عقد عبد الملك لموسى بن نصير على أفريقية وماحولها ووجهه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقة فلما قدم موسى بن نصير متوجهاً انتهى ذلك الى عبد العزيز فرده من مصر الى الشام وبعث

قرة بن حسان الثعلبي فانصرف موسى بن نصير الى الشام لعبد الملك
وذكر امتهاناً ناله من عبد العزيز وما استقبله الى كلام كثير
فقال له عبد الملك ان عبد العزيز صنو امير المؤمنين وقد أمضينا
فعله . فتوجه قرة بن حسان الى افريقية فهزم بها وقتل غالب
أصحابه فلما كانت سنة أربع وثمانين توفي عبد العزيز بن مروان
بمصر ثم ولي محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفي عبد
العزيز اجمع عبد الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان
فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع الحجاج لهما
بالعراق فلم يختلف عليه أحد وبويع لهما بالشام ومصر واليمن
وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامله على المدينة
أن يأخذ بيعة أهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد
ابن المسيب وقال: لم أكن لابايع بيعتين في الاسلام بعد حديث
سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: « اذا كانتا
بيعتين في الاسلام فاقتلوا الاحدث منهما » فاتاه عبد الرحمن
ابن عبد القاري فقال اني مشير عليك بثلاث خصال اختر أيها
شئت قال وما هي قال له انك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل
فلو غيرت مقامك قال ما كنت لاغير مقاما قمته منذ أربعين

سنة لهشام بن اسماعيل قال فثانية قال وما هي قال اخرج معتمرا
قال سعيد ما كنت لاجهد نفسي وانفق مالي في شيء ليس لي
فيه نية قال له فثالثة قال وما هى قال تبايع للوليد ثم لسليمان قال
سعيد أرأيت ان كان الله قد أعمي قلبك كما أعمى بصرك فما علي
قال وكان أعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان
ابن عم سعيد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون أتوا هشاما
فقالوا له لاتعجل على ابن عمك حتى نكلمه ونخوفه القتل فعسى
به ان يبايع ويجيب قال فاجتمع القرشيون فارسلوا الى سعيد
مولي له كان في الحرس فقالوا له اذهب اليه نخوفه القتل وأخبره
انه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاءه مولاه فوجده
قائماً يصلي في مسجده فبكى مولاه بكاءً شديداً قال له سعيد
ما يبكيك ويحك قال ابكى مما يراد بك قال له سعيد وما
يرادبي ويحك قال جاء كتاب من عبد الملك بن مروان الى
هشام بن اسماعيل ان لم تبايع والا قتلت فجئتك لتطهر وتلبس
ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لاتريد ان تبايع فقال
له سعيد لا أم لك قد وجدتني أصلي في مسجدي أفتراني كنت
أصلي واست بطاهر وثيابي غير طاهرة وأما ما ذكرت

من ان افرغ من عهدي بعد ما حدثني عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه : قال : ما حق امرئ مسلم يبيت ليلة له شيء يوصي به الا ووصيته مكتوبة . فاذا شاؤا فليفعلوا فانى لم أكن لابايع بيعتين فى الاسلام قال فرجع اليهم المولى فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة هشام بن اسماعيل الى عبد الملك يخبره ان سعيد بن المسيّب كره ان يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه : مالك ولسعيد وما كان علينا منه أمر نكرهه وما كان حاجتك ان تكشف عن سعيد وتأخذه ببيعة ما كنا نخاف من سعيد فأما اذ قد ظهر ذلك وانتشر في أمره للناس فادعه الى البيعة فان أبي فاجلده مائة سوط أو احلق رأسه ولحيته والبسه ثيابا من شعر وأوقفه في السوق على الناس لكيلا يجترئ علينا أحد غيره . قال فلما وصل الكتاب ارسل اليه هشام فانطلق سعيد اليه فلما أتاه دعاه الى البيعة فابي ان يجيبه فالبسه ثيابا من شعر وجرده وجلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته واوقفه فى السوق وقال لو اعلم انه ليس الا هذا ما نزعت ثيابي طائعاً ولا اجبت الى ذلك قال بعض الايليين الذين كانوا

في الشرط بالمدينة: لما علمنا انه لا يلبس الثياب طائعا قلنا له يا ابا محمد انه القتل فاسترها عورتك قال فلبس فلما تبين له انا خدعناه قال: يامعلجة أهل ايلة لولا اني ظننت انه القتل مالبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعه تحول اليه سعيد بن المسيب ان يقبل عليه بوجهه ما دام يذكر الله حتي اذا وقع في مدح عبد الملك وغيره اعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك امر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد انما هي ثلاث واشار بيده قال فما مر به الا ثلاثة أشهر حتي عزل هشام

﴿ موت عبد الملك وبيعة الوليد ﴾ قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه فال لهم: اتقوا الله ربكم واصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيراً فانه شيخكم ومجنكم الذي به تستجنون وسيفكم الذي به تضربون، أوصيكم به خيراً وانظروا ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا عن مشورته اتخذوه صاحبا لا تجفوه وزيراً لا تعصوه، فانه ما علمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على

كل مهم وشاوروه في كل حادث . قال ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فقال لهما أتحبان ان أسألكما بيعة الوليد وسليمان فقالا ياأمير المؤمنين معاذ الله من ذلك قال فأومأ بيده الى مصلى كان مضطجعاً عليه فاخرج من تحته سيفا مصلتا فقال لهما والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال عبد الملك : ياأبا حفص استوص خيراً بأخويك الوليد وسليمان ان زلا فشلهما وان مالا فأقمهما وان غفلا فذكرهما . وان ناما فأيقظهما وقد أوصيتهما بك وعهدت اليهما ان لا يقطعا شيئاً دونك . فقال عمر بن عبد العزيز ياأمير المؤمنين أوصيتهما بكتاب الله فليقيماه فى عباده وبلاده وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجيباها ويحملا الناس عليها فقال عبد الملك قد فعلت وولي فيكم الله الذي نزل الكتاب . وهو يتولي الصالحين . ثم قال وقد علمت ياعمر مكان فاطمة مني ومحلها من قلبي واني آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك وورعك فكن عند ظني بك ورجائي فيك وقد علمت انك غير مقصر ولا مضيع حقها ولكن الله قد قضي ان الذكرى

تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده . قال ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه فقال للوليد : اسمع ياوليد قد حضر الوداع ، وذهب الخداع ، وحل القضاء . قال فبكى الوليد فقال له عبد الملك لا تعصر عينيك عليّ كما تعصر الامة الوكساء ، اذا أنامتُ فاغسلني وكفني وصل عليّ واسلمني الى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد نَمِر واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا [1] وتنكر للصديق والقريب واسمح للبعيد وأوصيك بالحجاج خيرا فانه هو الذي وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائم . قال فلما توفي عبد الملك ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمدالله واثنى عليه ثم قال: نعمة ماأجلها ومصيبة ماأعظمها وانا لله وانا اليه راجعون

(١) يروي ان الوليد جلس عند رأسه يبكي فرفع رأسه وقال : يابنى أحنين الحمامة . اذا أنامت فشمر واتزر وألبس جلد النمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه . وقوله البس جلد النمر معناه أي أظهر العداوة الشديدة . وجعل النمر مثلا لانه من اجرئ الحيوانات وأشدها احتمالا للضيم

نقل الخلافة وفقد الخليفة ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف
عليه أحد ثم كان أول ماظهر من أمره وتبين من حكمه ان
أمر بهدم كل دار ومنزل من دار عبد الملك الى قبره فهدمت
من ساعتها وسويت بالارض لئلا يعرج بسرير عبد الملك
يمينا وشمالا وليكون النهوض به الى حفرته تلقاء منزله ثم كتب
ببيعته الى الآفاق والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له
الناس ولم يختلف عليه أحد فدخل عليه سليمان بن عبد الملك
فقال له ياأمير المؤمنين اعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين
فان الذى أفسد الله به أكثر مما أصلح فقال له الوليد ان
عبد الملك قد أوصاني به خيرا فقال سليمان عزل الحجاج
والانتقام منه من طاعة الله وتركه من معصية الله فقال الوليد
سنرى في هذا الامر وترون ان شاء الله . ثم كتب الحجاج الي
الوليد: أما بعد فان الله تعالى استقبلك ياأمير المؤمنين في حداثة سنك
بما لا أعلمه استقبل به خليفة قبلك من التمكين في البلاد والملك
للعباد والنصر على الاعداء فعليك بالاسلام فقوم أوده وشرائعه
وحدوده ودع عنك محبة الناس وبغضهم وسخطهم فانهم
قل مايؤتي الناس من خير وشر الا افشوه في ثلاثة أيام والسلام .

﴿ تولية موسى بن نصير البصرة ﴾ قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما أراد ان يولي أخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر وبشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن: اني قد وليت أخاك بشر البصرة فاشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيرا وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى واعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل فلبث موسى مع بشر مالبس ثم ان رجلا من أهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك ان أسقيك شرابا لاتشيب معه أبدا بعد ان اشترط عليك شروطا قال بشر وما هي قال: لا تغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة فى أربعين ليلة ولا تدخل حماما فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما أسقاه واحتجب عن قريب الناس وبعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك مالم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا

بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لايخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما رأى الرجل عزمه قال له فاشهد لي على نفسك بانك قد عصيتني ففعل بشر ذلك واشهد انه قد أبرأه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا أميالا حتي وضع يده على لحيته فاذا هي في كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج ابن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير مافاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراده لامر عتب عليه منه. فكتب خالد ابن أبان من الشام الى موسى بن نصير: انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك باغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن وأما ان تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك. فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد باموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا أمير المؤمنين انه لاقدر لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فابعث به الىّ.

﴿ دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان ﴾ قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله على عبد الملك قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لي موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فادخلني على عبد الملك فلما رآني عبد الملك قال موسى قال ماتزال تعرض لحيتك علينا قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال لجرأتك علي واقتطاعك الفيء قال فقلت مافعلت يا أمير المؤمنين وما ألوتك نصحاً واجتهاداً واصلاحاً قال اقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال فما تركني أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لا تكلم فاشار على عبد العزيز ان قل نعم فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم خرجت فاعانني عبد العزيز بخمسين الفاً وأديت خمسين الفاً في ثلاثة أشهر نجمها علي

﴿ تولية موسى بن نصير على أفريقية ﴾ قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه وكان من أشرف الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من

أفريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحاً وقتل
الكاهنة فاجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى افريقية)
والياً فاقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هنالك فاخذوا
أعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ ذلك عبد
العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه
قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة قال
نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز
فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك
عليها ان كنت صادقاً قال فأتى به حسان فلما أقرأه عبد العزيز
وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما أنت بتاركها قال والله
لا أنعزل عما ولانيه أمير المؤمنين قال فاقعد في بيتك فسيولى
هذا الأمر من هو خير منك وأولى به منك في تجربته ومعرفته
وسياسته ويغني الله أمير المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز
عهده ومزقه ودعى بموسى بن نصير فعقد له على افريقية يوم
الخميس في صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير
وحمل الاموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم
فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الاول أتى عصنور

حتى وقع على صدره فاخذه موسى فدعي بسكين فذبحه موسي ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله •

﴿خطبة موسى بن نصير رحمه الله﴾ قال وذكروا ان موسى لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بها جميع الناس فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأي رأياً في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل في الناس بما اظهر والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان علي عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله مابه • وانما الأمير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم بأل ان أجهد نفسه في الاختيار لكم وانما أنا رجل كاحدكم فمن رأي مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأي مني سيئة فلينكرها فاني أخطيء كما تخطؤن وأصيب كما تصيبون وقد أمر الامير أكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على

ماعز وهان مع المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

﴿دخول موسى بن نصير أفريقية﴾ قال وذكروا ان موسى لما سار متوجها الى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل في جمادي الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فاخذ سفيان بن مالك الفهري وابا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الى عبد الملك في الحديد . قال وكان قدوم موسى أفريقية وما حولها مخوف بحيث لا يقدر المسلمون أن يبرزوا في الميدين اقرب العدو منهم وان عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير انه قد سقف ببعض الخشب وقد كان ابن النعمان بني القبلة وما يليها بالمدر بنياناً ضعيفاً وكانت جبالها كلها محاربة لا ترام وعامة السهل

﴿خطبة موسى بافريقية﴾ قال وذكروا ان موسى لما قدم أفريقية ونظر الى جبالها والى ما حولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر

واحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه جازما في عزمه مستزيداً في علمه مستشيراً لأهل الرأي في أحكام رأيه متحنكا بتجاربه ليس بالمتجابن اقحاما ، ولا بالمتخاذل احجاما ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً ، وان نكب أظهر جلادة وصبراً راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى ، ان العاقبة للمتقين أي الحذرين . وبعد فان كل من كان قبلي كان يعمد الي العدو الاقصى ويترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عوناً عليه عند النكبة وأيم الله لا أريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

﴿ فتح زعوان ﴾ قال وذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذي بين زعوان وبين القيروان يوم الي الليل فوجه اليهم موسى

خمسمائة فارس عليهم رجل من خُشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى ثم وجه ابناً له يقال له عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابناً له يقال له مروان فاتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

﴿ قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان ﴾ قال وذكروا ان موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذي فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفاً وكان ذلك وهماً من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهمٌ من الكاتب فراجعه فكتب اليه عبد العزيز : انه بلغني كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم. فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه : بلغنى ان الامير ابقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التي أفاء الله علي وانه ظن

ان ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ماظنه الامير والخمس أيها الامير ستون الفا حقا ثابتاً بلاوهم . قال فلما اتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

﴿ انكار عبد الملك تولية موسى بن نصير ﴾ وذكروا ان عبد العزيز لما ولي موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكره ذلك وأنكره ثم كره رد رأي عبد العزيز ثم هم بعزل موسي لسوء رأيه فيه ثم رأي أن لا يرد ماصنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الامر الذي له عزلته وقد كنت انتظر منك مثلها في موسى وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام . ﴿ جوابه ﴾ فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى أخيه عبد الملك : أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في عزل حسان وتوليتي موسى بن نصير وقد كان لمثلها مني منتظراً في موسى ويعلمني انه قد أمضى لي من رأيي فيما أمضيت وولايتي من وليت وقد علمت ان أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذي

فتح الله على يديه ولم أعد مع نظرى لامير المؤمنين بان عزلت حسان ووليت موسى في يمن طائره وحسن أثره فأما قول أمير المؤمنين قد كنت أنتظرها منك في موسى فلعمري لقد كنت لها فيه مرصدا ولامير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظرا حتي حضر أمر جهدت فيه نفسي لامير المؤمنين ولنفسي الرأي والنصيحة والسلام

﴿ كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك ﴾ وذكروا ان عبدالعزيز كتب الى عبد الملك : أما بعد فاني كنت وأنت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان كالمتراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما فاتيا معا وقد مدت الغاية لاحدهما ولك عنده مزيد ان شاء الله وقد جاءني ياأمير المؤمنين كتاب من موسى وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام . ﴿ جوابه ﴾ فكتب اليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذي مثلته في حسان وموسى ويقول لك عند أحدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً وقد أجربت وحدك وكل مجر بالخلاء مسرور والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسي ليقبض ذلك

منه على ماذكر موسى وعلى ما كتب به فلما قدم الرسول على موسى دفع اليه ماذكر وزاده ألفا للوفاء

﴿ فتح هوّارة ، وزَناتة ، وكتامة ﴾ قال وذكروا ان موسى أرسل عياش بن أخيل الى هوارة وزناتة في الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كمامون فبعث به موسى الى عبد العزيز في وجوه الاسرى فقتله عند البركة التي عند قرية عُقْبة فسميت بركة كمامون فلما أوجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم على موسى بوجوههم فصالحوهم واخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت على موسى فصالحته وولى عليهم رجلا منهم وأخذ منهم رهونهم وكتب أحدهم الى موسى انما نحن عُبْد انك قتل أحدنا صاحبه وأنا خير لك منه فلم يشك موسى ان ذلك انما كان عن ممالأة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسى قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فأذن لهم فلما أتاه ماأتاه تحقق ظنه فيهم وانهم انما هربوا فوجه الخيول في طلبهم فأتي بهم فأراد صلبهم فقالوا لاتعجل أيها الامير بقتلنا حتى يتبين أمرنا فان آباءنا وقومنا لم

يكونوا ليدخلوا في خلاف أبداً ونحن في يدك وأنت على البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديداً وأخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيي رهونهم٠﴿فتح صنهاجة﴾ قال وذكروا ان الجواسيس أتوا موسي فقالوا له ان صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان أبلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسي بأربعة آلاف من أهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على أثقال المسلمين وعيالهم بطبية في الفى فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن أبي بردة وعلى ميسرته زرعة بن أبي مدرك فسار موسى حتى غشي صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لايشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصي ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسي وما أصاب معه المسلمون من الغنائم

رغبوا في الخروج الى الغرب نخرج نحو مما كان معه فالتقى المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الله منحه أكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

﴿ فتح سجوما ﴾ قال وذكروا انه لما كان سنة ثلاث وثمانين قدم على موسى نجدة بن موسى في طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يدسجوما وماجولها واستخلف عبد الله بن موسى على القير وان ثم خرج وهو في عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن أبي مدرك وعلى ميسرته المغيرة ابن أبي بردة القرشي وعلى ساقته نجدة بن مقسم فاعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد في الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن أوس في الف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له ملوية فوجده حاملا فكره طول المقام عليه خوفا من نفاد الزاد وان يبلغ العدو مخرجه ومكانه فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة ابن نافع وكره ان يجوز عليها فلما أجاز وانتهى اليهم وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا وأعدوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديداً في

جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم
الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الي العصر فخرج اليهم رجل
من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه
أحد فالتفت موسى الي مروان ابنه فقال له اخرج اليه أى بني فخرج
اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز بن موسى فلما رآه
البربري ضحك ثم قال له ارجع فاني أكره ان أعدم منك أباك
وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتى
الجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان
بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت في جنبه
ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه قال فوقع به البرذون
ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله ثم
ان الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن
لمزم وبلغ سبيهم مائتى الف رأس فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم
وما لا يحصي من النساء السلسات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة
قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدي موسي قال علي بمروان
ابني قال فاتى به قال له أي بني اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستسرها
فهى أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قاتل يومئذ زرعة بن

أبي مدرك قتالا شديداً أبلى فيه حتى اندقت ساقه قال فآلى
موسى ان لايحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل القيروان
وان يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف
موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز
بفتح بعد فتح وملأت سباياه الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا
فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول اذا
جاءه فتوح موسى: لتهنئك الغلبة أبا الاصبغ ثم يقول وعسى ان
تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسى
الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا
أسيافكم في قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبراً من
خيارهم وكبارهم فارسل اليه موسى ان أمسك. فقال: أما والله لو
تركتني ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

﴿ قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان ﴾ قال وذكروا
ان موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان
مع علي بن رباح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فاجازه
ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه
اجازه أيضاً وزاد في عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد

العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا أ كره ان أفعل مثل مافعل لزدتك مثلها ولكن تعد لها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الي موسى يعلمه ان قد فرض لجميع ولده في مائة وبلغ به هو الي المائتين وفرض في مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة الف التي أغرمها لك فخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك ابن مروان يأمره بأخذ المائة الف مما قبله قال فاني أشهدكم انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفي الرقاب وكان موسى اذا أفاء الله عليه شيئاً اشتري من ظن منهم انه يقبل الاسلام وينجب فيعرض عليه الاسلام فإن رضي قبله من بعد ان يمحص عقله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه وتولاه وان لم يجد فيه مهارة رده في الخمس والسهام . قال وكتب موسى الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن ابي مدرك وما أوصله وانه لولا ذلك أوفده الي أمير المؤمنين ففرض له عبد العزيز في مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك في سنة أربع وثمانين

﴿ غزوة موسى في البحر ﴾ قال وذكروا ان موسى أقام بالقير وان بعد قفله شهر رمضان وشوال فامر بدار صناعة بتونس وجري البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسالمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الامير قد مر على مائة وعشرون سنة وان ابي حدثني ان صاحب قرطاجنة لما أراد بناء قناتها أتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له أيها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيء لقوتها وقدرتها فضع يدك أيها الامير فان الله تعالى سيعينك على مانويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبني دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسبرة أثني عشر ميلا حتى أقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فاقام بذلك بقية سنة أربع وثمانين وقدم عطاء بن أبي نافع الهذلي في مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأرسي بسوسة فاخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا

العام فاقم لا تغرر بنفسك فانك في تشرين الآخر فأقم بمكانك
حتى يطيب ركوب البحر . قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى
رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى أتى جزيرة يقال لها
سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من
الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فاصابته ريح عاصف
فغرق عطاء وأصحابه وأصيب الناس ووقعوا بسواحل أفريقية
فلما بلغ ذلك موسي وجه يزيد بن مسروق في خيل الى سواحل
البحر يفتش على ما يلقي البحر من سفن عطاء وأصحابه فاصاب
تابوتاً منحوتا قال فمنه كان أصل غناء يزيد بن مسروق . قال ولقد
لقيت شيخاً متوكئاً على قصبة فذهبت لافتشه فنازعني فأخذت
القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ
والجوهر والدنانير . ثم ان موسي أمر بتلك المراكب ومن
نجا من النواتية فادخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة
خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم انه
راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق
شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا في الفلك
ولم يبق أحد الا أن يرفع دعا برمح فعقده لعبد الله بن موسى

ابن نصير وولاه عليهم وامّره ثم أمره ان يرفع من ساعته وانما أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف . ثم سار عبد الله بن موسى في مراكبه وكانت تلك أول غزوة غزيت في بحر أفريقية قال فاصاب في غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها فاصاب مالا يُدري فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون ما بين الالف الى التسعمائة ثم انصرف قافلا سالماً فاتت موسى وفاة عبدالعزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة وبفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يده ثم ان موسى بعث زُرْعه بن أبي مدرك الى قبائل من البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤسهم الى موسى فأعطاهم الامان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن أخيل على مراكب أهل أفريقية فشتا في البحر وأصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل في سنة ست وثمانين . ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة أهل مصر على موسى في سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر أفريقية فاصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

﴿غزوة السوس الاقصى﴾ قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى [١] فسار في خمسة آلاف من أهل الديوان . فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد تعجلوا الى قتال العدو وان في يده اليمنى القناة وفي يده اليسرى الترس وانه ليشير بيده الى الناس ان كما انتم . فلما التقى مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانة ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال أهل السوس على أيدي مروان فبلغ السبي أربعين الفاً وعقد موسى على بحر افريقية حتى نزل بميورقة فافتتحها

﴿قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك﴾ قال وذكروا ان خادما للوليد بن عبد الملك بن مروان أخبرهم قال: اني لقريب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ اتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاتها فاعلمته قال خذ الكتاب منه فاخذه فقرأه فما أتى على آخره حتى أتى رسول آخر من قبل موسى

---

(١) نسخة: الاوروبى

ابن نصير بفتح السوس من قبل مروان بن موسى • فاعلمته
قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامداً ثم التفت الي
قال أمسك الباب لا يدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبو
بين يديه فلما خر الوليد ساجداً شاكراً لله جاء الصبي الى
الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا
أستطيع ان أغيثه لما أمرني به من إمساك الباب وأطال
السجود حتي خفي صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي
فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

﴿ فتح قلعة ارساف ﴾ قال ثم ان صاحب قلعة ارساف
أغار على بعض سواحل أفريقية فنال منهم وبلغ موسى خبره
فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسي قال
قتلني الله ان لم أقتله وأنا مقيم هنا قال فأقام موسى ماأقام ثم انه
دعا رجلا من أصحابه فقال له اني موجهك في أمر وليس
عليك فيه بأس ولك عندي فيه حسن الثواب خذ هذين
الاذنين فسر فيهما بمن معك حتى تأتى موضع كذا وكذا في
مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها اعيدهم
فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع أحدى هذين الاذنين بما

فيها ثم انصرف الي بالاذن الاخرى وبعث معه موسي قبة
من الخز والوشي ومن طرائف أرض العرب شيئاً مليحاً
وكتب كتابا بالرومية جوابا لكتاب كأنه كان كتب به الى
موسى يسأله الامان علي ان يدله على عورة الروم وكتاب فيه
أمان من موسى مطبوع · فسار حتي انتهى الى الموضع الذي
وصف له موسي فترك الاذن بما فيها وانصرف راجعا في الاذن
الاخرى حتى قدم على موسي، وان الروم لما عثروا على اذن
موسى استنكروها فارتفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فأخذ
مافيها فلما رأى مافيها من الكتب والهدية هاب ذلك فبعث بها كما هى
الى الملك الاعظم · فلما أفضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك
عنده فبعث الى ارساف رجلا وملكه عليها وأمر ان يضرب عنق
صاحبها الذي أغار على ساحل أفريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

﴿ فتح الاندلس ﴾ قال وذكروا ان موسى وجه طارقا
مولاه الى طنجه وما هنا لك فافتتح مدائن البربر وقلاعها
ثم كتب الى موسى انى قد أصبت ست سفن فكتب اليه
موسى أتممها سبعاً ثم سر بها الي شاطئ البحر واستعد لشحنها
واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم أحد

وعشرين من شهر اذار بالسرياني فاشحن على بركة الله ونصره
في ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان
فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له
بالاعجمية مارس فاذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على
بركة الله كما أمرتك ان شاء الله فاذا أجريت فسر حتى يلقاك
جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال ثور
فاكسر ذلك التمثال وانظر في من معك الى رجل طويل
أشقر بعينيه قبل وبيده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم أقم
مكانك حتى يغشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق
كتب الى موسى : اني منته الى ما أمر الامير ووصف غير اني لم
أجد صفة الرجل الذي أمرتني به الا في نفسي . فسار طارق
في الف رجل وسبعمائة وذلك في شهر رجب سنة ثلاث
وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له
البشكيس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما
بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق:
انه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من
الارض نبعوا . فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعا الى طارق في

سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك في أسرهم . فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام في أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة وبسط لهم في آمالهم ثم قال : أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس ثمّ والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة، أيها الناس مافعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا أتهيبه حتى أخالطه واقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير . واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد أحل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين . وها أنا ذا حامل حتى أغشاه

فاحملوا بحملتي . فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً
ثم ان الطاغيـة قتـل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس
لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز
معه رجالا من أهل أفريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض
له في الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى . وان
المسلمين قد أصابوا مما كان مع لوذريق مالا يدري ما هو ولا
ماقيمته . قال وكتب طارق الى مولاه موسى: ان الأمم قد
تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث . فلما أتاه الكتاب
نادى في الناس وعسكر وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين
وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس أول النهار فاستخلف عبد
الله بن موسى على أفريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم
عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير فسار مروان بمن
معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى وخرج موسى
ابن نصير والناس معه حتى أتى المجاز فاجاز بمن زحف معه في
جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت
اليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها
وقلاعها ومدائنها فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم

من الغلول يومئذ الا أبو عبد الرحمن الجبلي ثم ان موسى سار
لا يرفع له شيء الا هده يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى
الى مدينة الملوك وهي طليطلة فوجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك
وجد فيه أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولي الاندلس كان
كلما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج
اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولي ووجد في ذلك
البيت أيضاً مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة
من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها
الاغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شيء يدري ما قيمته .
فاما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد

﴿ اتهام الوليد موسى بالخلع ﴾ قال وذكروا ان الوليد بن
عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس
ظن انه يريد ان يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وأبطأت
كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطئة افتتاح
البلاد فامر الوليد القاضي أن يدعو على موسى اذا قضى صلاته .
وان موسى لما دخل طليطلة بعث على بن رباح بفتحها وأوفد
معه وفداً فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد

فالفي القاضي يدعو على موسى فقال : أيها الناس الله الله في موسى والدعاء عليه والله ما نزع يداً من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفي طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين واني لاحدثكم عهداً به وما قدمت الآن الا من عنده وان عندي خبره وما أفاء الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين ما تقر به أعينكم ويسر به خايفتكم ٠

﴿دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك﴾ قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى ارسل اليه فادخل عليه ثم قال له ما وراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين تركت موسى بن نصير في الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد أحد وقد أوفدني الى أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضاً ساجداً ثم رفع رأسه ٠ فاتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

﴿ذكر ما وجد موسى في البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب﴾ قال وذكروا ان هرم بن عياض حدثهم

عن رجل من أهل العلم انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح
البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا انها كانت لسليمان بن
داود عليه السلام فقال: كان بيتاً عليه أربعة وعشرون قفلا كان
كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى
اذا كانت ولاية لوذريق القرطبي الذي افتتحت الاندلس على
يديه وفى ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى
أعلم مافيه فاجتمعت اليه النصرانية والأساقفة والشمامسة وكل
منهم معظم له فقالوا له ماتريد بفتح هذا البيت فقال والله لا أموت
بغمه ولا علمت مافيه فقالوا أصلحك الله انه لاخير في مخالفة
السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولية فاقتد بمن كان قبلك وضع
عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على مالم يحملهم
عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فابى الا فتحه فقالوا له
انظر ما ظننت ان فيه من المال والجواهر وماخطر على قلبك
فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان
قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم . فابى الا فتحه
ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه : اذا فتح هذا
البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها .

فكان دخول المسلمين من العرب اليه في ذلك العام

﴿ ذكر ما أفاء الله عليهم ﴾ قال وذكروا عن الليث بن سعد ان موسي لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا ان رجلا كان مع موسي ببعض غزواته بالاندلس وانه رأي رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت . فلما أثقلتهما انزلاها ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين فاخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون يمينا وشمالا ما يلتفتون اليها استغناء عنها بما هو انفس منها وأرفع قال واقبل رجل الى موسى فقال أبعث معي أدلكم على كنز . فبعث معه موسى رجالا فقال الذي دلهم انزعوا هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت مالم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسى أرسلوا اليه . فارسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا

منها ما أمكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو انفس منه قال الليث وبلغني ان رجلا غل في غزوة عطاء بن نافع فحمل ماغل حتى جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن أبي ليلي التجيبي عن حميد عن أبيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسي فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسى حين افتتح الاندلس الى أمير المؤمنين: انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . وأخبرني عن عبد الحميد بن حميد عن أبيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس فاما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لايحاط بعلمه قال وحدثني ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الأندلس وعن دخول موسي اياها فقلنا له فكيف علمت هذا قال اني والله من سبيه ولاخبركم بعجيب والله ما اشتراني الذي اشتراني الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسي بن نصير فقلنا له ما أقدمك فقال أبي كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسي بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه في

موضع قدعرفته فتقدمت أنا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له أفنسيته قال نعم فلم ندر بعدمافعل

﴿ غزوة موسى بن نصير البشكيس والافرنج ﴾ قال وذكروا ان موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعاً حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكيس فدخل في بلادهم حتى أتى قوما كالبهائم ثم مال الى أفرنجة حتى انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح مادونها من البلاد الى الاندلس قال فاصاب فيها مالا يدرى ماهو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهراً أواربعين ليلة قال وذكروا ان عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الاندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى الا يسيرا من ورائها فاتينا مدينة على بحر ولها أربعة أبواب قال فبينما نحن محاصروها اذ أقبل عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى قال أيها الامير انا قد فرقنا الجيش أرباعا على نواحي المدينة وقد بقى الباب الاقصي وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب

فانا سننظر فيه قال ثم ان موسي التفت الىّ قال لى كم معك
من الزاد قلت مابقى معى غير تليس [1] قال فانت لم يبق
معك غير تليس وأنت من أمراء الجيش فكيف غيرك اللهم
اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فاصبحنا من تلك الليلة
وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسي منه ووجه ابنه
مروان فى طلبهم فادركهم فأسرع القتل فيهم وأصابوا مما
كان معهم ومما في المدينة شيئاً عظيما قال وذكروا ان جعفر
ابن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسي فحاصرنا
حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه
فلما طال ذلك عليه نادى فينا ان أصبحوا على تعبئة وظننا انه
قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم
فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال: أيها الناس اني متقدم
امام الصفوف فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا
فقال الناس سبحان الله أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه
يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه! قال فتقدم بين يدي
الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء

---

(١) التليس هنا (كيس) تسوى من الخوص لحمل المؤنة

والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستمددنا ثم
ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية
الحصن التي تلينا فدخل الناس منها وما راعني الا خيل
المسلمين تمرع فيها وفتحها الله علينا فأصبنا من السبي
والجوهر مالا يحصي قال وحدثتني مولاة لعبد الله بن موسى
وكانت من أهل الصدق والصلاح ان موسى حاصر
حصنها الذي كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فاقام
لنا محاصراً حينا ومعه أهله وولده وكان لا يغزو الا بهم لما
يرجو في ذلك من الثواب قالت ثم ان أهل الحصن خرجوا
الى موسى فقاتلوه قتالا شديداً ففتح الله عليه قالت فلما رأى
ذلك أهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحهما موسى في
يوم واحد فلما كان في اليوم الثاني اتى حصنا ثالثاً فالتقى الناس
فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً حتى حال المسلمون حوله قال فامر
موسى بسرادقه فكشطه عن نسائه وبناته حتى برزن قال فلقد
كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصي وحمى المسلمون
واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له
وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى في

غزواته كلها فلم ترد له رايه قط ولا هزم له جمع قط حتى مات
وقال ابن صخر لما قدم موسي الاندلس قال أسقف من أساقفتها:
انا لنجدك في كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صياداً تصيد
بشبكتين رجل لك في البر ورجل في البحر تضرب بهماهاهنا
وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك موسي وأعجبه وقال عبد الحميد
بن حميد عن أبيه ان موسي لما وغل وجاوز سرقسطة اشتد
ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا مافي أيدينا وكان
موسي قال حين دخل أفريقية وذكر عقبة بن نافع : لقد كان
غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن
شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد فسمعه حبيش
الشيباني قال فلما بلغ موسي ذلك المبلغ قام حبيش فاخذ بعنانه
ثم قال: أيها الامير اني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول
لقد غرر بنفسه وبمن معه أما كان معه رجل رشيد وانا رشيدك
اليوم اين تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر
وأعظم مما أتاك الله عز وجل وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ
لك اني سمعت من الناس مالم تسمع وقد ملؤا أيديهم وأحبوا
الدعة . قال فضحك موسي ثم قال أرشدك الله وكثر في المسلمين

مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس فقال موسي يومئذ: أما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدي ان شاء الله .

﴿ خروج موسي بن نصير من الاندلس ﴾ قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسي بن نصير بالاندلس قال أقام موسي بقية سنته تلك وأشهراً من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها موسي عشرين شهراً واستخلف عبد العزيز بن موسي فجاز موسى البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا ااربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء والوصائف وما لا يحصي من الجوهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال : كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهي تتلون صفرة وبياضا مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت : فما عظمها قال: كنا بموضع والناس معسكرون اذ فلت بغل لرجل من موالي موسي يقال له صالح أبو ريشة على

رمكة (١) فكردها في العسكر فقام الناس اليه باعمدة الاخبية وجال في العسكر جولة فتطلع موسي قال ما هذا وتطلع الجواري فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلي فغار موسي وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقلة حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوي

﴿ قدوم موسي أفريقية ﴾ قال وذكروا ان يزيد بن مسلم مولي موسي أخبرهم انه لما جاز موسي الحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشي الاندلسي حتى أتى أفريقية فلما قدمها بقي بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله على افريقية وطنجه والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسي وعبد الاعلى بن موسي وعبد الملك بن موسي وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبه وعبد الجبار بن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبي بردة وزرعة ابن أبي مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس وأخرج

---

(١) الرمكة الانثي من البراذين • وكردها أي تبعها وطاردها

معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدر وبنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة ملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضاً باصناف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصي فاقبل يجر الدنيا وراءه جراً لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

﴿ قدوم موسي الى مصر ﴾ قال وذكروا أن يزيد بن سعيد ابن مسلم أخبرهم قال لما اتي موسي مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك ان ادفع الى موسي من بيت مال مصر ما أراد فأقبل موسي حتي اذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلي عند باب الصوال وكان قرة قد استخلف بن رفاعة على الجند حتي توفى فلما سمع بموسي خرج مبادراً حتى لحقه حين استوي على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسي من أنت ياابن أخي فانتسب له فقال مرحبا وأهلا فسار معه حتي نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها

موسى فكلمه حينئذ رفاعة في المال الذي كان استخرجه من
سفيان بن مالك الفهري وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو
لك قال فامر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك
قال فأقام موسي ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر في كل يوم فلم
يبق شريف الا وقد أوصل اليه موسي صلة ومعروفا كثيراً
واهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه
فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتي فلسطين فتلقاه آل روح
ابن زنباع فنزل بهم فبلغني انهم نحر واله خمسين جزوراً وأقام عندهم
يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان
وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

﴿ قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى ﴾ قال

وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشائخ أهل مصر
أخبروهم ان موسي لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو
في آخر شكايته التى توفي منها وقد كان سليمان بن عبد الملك
بعث الى موسي من لقيه في الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره
بالتثبط في مسيره وان لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما أتى
موسي بالكتاب من سليمان وقرأه قال: حييت والله ماغدرت

وما وفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني أسير بمسيري فان أوافيه حياً لم أتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله . فرجع الرسول الي سليمان فاعلمه فقال لئن ظفر بموسي ليصلبنه أو ليأتين على نفسه فلما قدم موسي على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسي واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة في مسيره خوفا ان تعجل به منيته قبل قدوم موسي عليه وانه أراد ان يراه وان يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسي شيء يثبطه حين أتاه كتاب الوليد فاقبل حتي دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشي ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وأمر بالمائدة فكسرت وعمد الى أفخر مافيها والتيجان والجزع فجعله في بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

﴿خلافة سليمان بن عبد الملك وماصنع بموسي بن نصير﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه بعث الى موسي

فأوتي به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ : أعلى اجترأت وأمري خالفت والله لاقلنّ عددك ولا فرقنّ جمعك ولا بددن مالك ولاضعن منك ما كان يرفعه غيري ممن كنت تمنيه أماني الغرور وتخدعه من آل أبي سفيان وآل مروان . فقال له موسي : والله ياأمير المؤمنين ماتعتل عليّ بذنب سوى اني وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولي النعمة عنده فيه فأما ماذكر أمير المؤمنين من انه يقل عددى ويفرق جمعى ويبدد مالي ويخفض حالي فذلك بيد الله والى الله وهو الذي يتولي النعمة علي الاحسان الي وبه أستعين ويعيذ الله عز وجل أمير المؤمنين ويعصمه ان يجرى على يديه شيئاً من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته . فأمر به سليمان فوقف في يوم صائف شديد الحر على طريقة قال وكانت بموسي نسمة فلما أصابه حر الشمس وأتعبه الوقوف هاجت عليه قال وجعلت قرب العرق تعتوره فما زال كذلك حتى سقط وعمر ابن عبد العزيز حاضر الى ان نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشياً عليه قال عمر بن عبد العزيز : مامر بي يوم كان أعظم عندي ولا كنت فيه أكرب من ذلك اليوم لما رأيت من

الشيخ موسى وما كان عليه من بعد أثره في سبيل الله وما فتح الله على يديه . قال فالتفت الىّ سليمان فقال يا أبا حفص ما أظن الا قد خرجت من يميني قال عمر : فاغتنمت ذلك منه فقلت يا أمير المؤمنين شيخ كبير بادنٌ وبه نسمة قد أهلكته وقد أتت على مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسي البعيد الاثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين قال عمر والذى منعني من الكلام فيه ما كنت أعلم من يمينه وحقده عليه فخشيت ان ابتدأته ان يلح عليه وهو لحوح قال فلما قال لي ما قال حمدت الله على ذلك وعلمت ان الله قد أحسن اليه وان سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب أنا أضمه يا أمير المؤمنين قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخلد فركبها موسى فاقام اياما قال ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان في الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف الف دينار

﴿ عدد موالي موسى بن نصير ﴾ قال وذكروا عن بعض البصريين ان رجلا منهم أخبرهم أن يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهر

سهراً طويلا ياأبا عبدالرحمن كم تعد مواليك وأهل بيتك فقال
كثيراً قال يكونون الفا قال له موسى نعم وألفا والفا حتى ينقطع
النفس لقد خلفت من الموالى ماأظن ان أحداً خلف مثلهم قال
له يزيد انك لعلى مثل ماوصفت وتعطي يدك ألا أقمت بدار عزك
وموضع سلطانك وبعثت بما قدقدمت به فان أعطيت الرضا
أعطيت الطاعة والا كنت على التخيير من أمرك فقال موسى والله
لوأردت ذلك ماتنا ولوا طرفا من أطرافي الى ان تقوم الساعة
ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة ثم
خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى قال لمن عنده والله ان
في رأس أبي خالد لنفرة وليأتين عليها

﴿ ذكر ما رآه موسى بالمغرب من العجائب ﴾ قال
وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشائخ أهل مصر قال لما
بعث موسى رحمه الله بالخمس الذي أفاء الله عليه وكان مائة ألف
رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت
كنيسة الرقيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوقوا
فيه فسمي سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد بن
عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه داراً وسكنا حتى كان من أمر

سليمان ما قد ذكر وهو الذي اخرجه وأهله من المغرب قال وحدثنا بعض أهل افريقية ان موسى ركب يوما حتى خرج من القير وان فوقف قريبا من افريقية على رأس اميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم أمر بحفر بئر وابتني داراً واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر اعذب منها . وحدثنا الكرير أبو بكر عبد الوهاب بن عبد الغفار شيخ من مشائخ تونس قال ان موسى انتهي الى صنم يشير باصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم امام الصنم الاول فاذا هو يشير باصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير باصبعه تحت قدميه فلما انتهى موسى الى الصنم الثالث قال موسى احفروا فاذا بحدث مختوم الراس قد أخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش اتدرون ما هذا قالوا لا والله ايها الامير ماندرى قال ذلك شيطان من الشياطين التي سجنها نبي الله سليمان بن داود قال وحدثنا بعض مشائخ أهل المغرب ان موسى ارسل ناسا في مراكب فامرهم ان يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير باصبعه امامه في جزيرة في البحر ثم يسيروا حتى يأتوا صنما آخر في جزيرة يشير باصبعه امامه ثم يسيروا الليالي

والايام ويجدوا في السير حتى يأتوا صنما آخر في جزيرة في البحر
فيها أناس لا يعرف كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك
في أقصى المغرب ليس وراه أحد من الناس الا البحر المحيط
وهو أقصى المغرب في البر والبحر • قال وحدثنا بعض المشائخ
من أهل المغرب ان موسى بلغ نهراً من أقصى المغرب فاذا
عليه في الشق الايمن أصنام ذكور وفي الايسر أصنام أناث
وان موسي لما انتهى الى ذلك الموضع خاف الناس فلما رآى
ذلك منهم رجع بالناس ثم مضي في وجهه ذلك حتى انتهى الى
أرض تميد باهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا
عبد الله بن قيس قال بلغنى ان موسي لما جاوز الاندلس أتى
موضعا فاذا فيه قباب من نحاس فامر بقبة منها فكسرت فخرج
منها شيطان نفخ ومضي فعرف موسي انه شيطان من الشياطين
التي سجنها سليمان بن داود فامر موسي بالقباب فتركت على
حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان
موسي كان يسير في بعض غزواته وهو باقصي المغرب اذ
غشي الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم
موسي في ذلك اذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما

أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فامر بنبل ورماح
وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار
فصعد رجل فلما استوى على سورها تردي فيها ثم ندب الناس
موسي ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به
مثل ذلك ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة
دينار فصعد رجل ثالث فاصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس
موسي فقالوا هذا أمر عظيم أصيب اخواننا وغررت بهم حتى
هلكوا فقال لهم علي رسلكم يأتيكم الامر على ما تحبون ان شاء
الله ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم أمر
ان يرمى الحصن فلما علم من في الحصن ما عمل موسي ضجوا
وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن
قوم من الجن فانصرف عنا فقال لهم موسى اين أصحابي وما
فعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقال أخرجوهم الينا قالوا نعم فاخرج
الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم فقالوا ما درينا
ما كنا فيه وما أصابتنا شوكة حتى أخرجنا اليك فقال موسى
الحمد لله كثيراً ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به . ثم نرجع
الى حديث سليمان بن عبد الملك

﴿ تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه ﴾ قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله أخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتتب في العطاء وتقلب في الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضي عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال سليمان له أشر عليّ ياموسى فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد فقال له موسى: أرى يا أمير المؤمنين أن توجهه بمن معه فلا يمر بحصن الاصير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية فانه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فامره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان في مسلمة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فيما صنع بارض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمني على نفسي وأهلي ومالي وولدي وأنا آتيك بالملك فامنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به

منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقط في يديه فقال البطريق له عند ذلك مالي عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجي على رأسك وأقعدك مكاني فقال البطريق أنا أكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال أخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق الى جميع الحصون فامرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ما قدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الى مسلمة فقال له: لو كنت امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلى الا يبرح حتى يظفر بملك الروم

﴿ سؤال سليمان موسى عن المغرب ﴾ قال وذكروا ان محمد ابن سليمان أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الاندلس قال له عبد العزيز بن موسى قال ومن خلفت على أفريقية وطنجه والسوس قال عبد الله ابنى فقال له سليمان لقد أنجبت ياموسى فقال موسى ومن أنجب مني يا أمير المؤمنين ان ابنى مروان أتي بملك الانداس وابني عبد الله أتى بملك

ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان أتى بملك السوس الاقصى فهم متفرقون في الامصار وغيرهم يغيرون فيأتون من السبي بمالا يحصى فمن أنجب مني يا أمير المؤمنين قال فغضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأنجب منك . فقال موسي شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وإن عظم دونه لانه به ومنه وعلى يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله ابن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجل من بني أمية فقال له ياموسي انت ملك المغرب وأعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى : يا ابن أخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ما تعلم الا ترى يا ابن أخي ان الصبي يأخذ العظم فيعقفه بحبل ثم ينصبه ويهيء ويضع فيه حبة برّ أو ذرة فينصب للهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الى الوقوع فيه فاحذر يا ابن أخي ان تراك الشام أو تراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقي منه موسى ما ذكرنا وأخرج القرشي الى الشام فضربت عنقه .

﴿ ذكر قدوم موسى على الوليد ﴾ قال وذكروا ان موسى

لماقدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك
على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بان يلبس كل
رجل من الاسري تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه
المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك
وأمر بابناء ملوك البربر فهيئوا وأمر بابناء ملوك الجزائر والروم
فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بابناء ملوك الاشبان فهيئوا
بمثل ذلك وأمر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد
والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش
باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وابناء
ملوك افرنجة واقبل موسى بالذين البسهم التيجان حتى دخل
مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو موهون قد
اثرت فيه العله وانهكه المرض وانما كان متحملا لاجل قدوم
موسي ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى
ثم أقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين
المنبر وشماله ثم ان الوليد أخذ في حمد الله تعالي والثناء عليه
والشكر لما ايده الله ونصره فتكلم بكلام لم يسمع منه وأطال
حتي فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا

بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات وأجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعاً في الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم ادخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاشبان وملوك افرنجة ثم ادخل عليه رؤس أهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فاحسن جوائزهم وفرض لهم في الشرف ثم اقام موسي عند الوليد اربعين يوما ثم ان الوليد هلك .

﴿ ذكر اختلاف الناقلين في صنع سليمان بموسى ﴾ قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد وكان احنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره . قال فارسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فاتاه فقال اني صالب غداً موسي بن نصير فبعث عمر الي موسى فأتاه فقال له : يا ابن نصير اني أحبك لاربع الواحدة بُعْدُ أثرك في سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيي فيه وكان عياض من عباد الله الصالحين والرابعة ان لابي عندك يداً وصنيعة وأنا أحب ان تتم يده وصنيعته حيث كانت وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك

غداً فاحدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك فقال له موسي قد فعلت وأسندت ذلك اليك فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن أسند الى من أحببت فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك في الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك في حمارة الصيف دعا سليمان موسي فادخل عليه متعبا وكان بادناً جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتواعده فقال له موسي: أما والله يا أمير المؤمنين ما هذا بلائي ولا قدر جزائي اني البعيد الاثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائي مع آبائك ونصيحتي لهم. قال فيقول له سليمان كذبت قتلني الله ان لم اقتلك فلما أكثر على موسي قال له أما والله لمن في بطن الارض أحب الي ممن على ظهرها فقال سليمان ومن أولئك واستطير فقال له موسي مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك قال فكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلني الله ان لم أقتلك فيقول له موسى ما انت بفاعل يا أمير المؤمنين فيقول ولم لا أم لك فيقول له موسى اني لارجو الا يكرم موسي بهوان أمير المؤمنين

وموسى حينئذ قائم في الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره
ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يميني الا قد
برئت يا عمر قال عمر فاغتنمتها منه ولم أبال ان يحنث باحياء رجل
من المسلمين فقلت أجل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه
وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وسقم فما أراه الا ميتا قال ثم التفت
سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه
هذه الاموال فقال يزيد بن المهلب انا يا امير المؤمنين قال
فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى
فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله
فاكرمه وبره وقال له : أطع أمري وأجب أمير المؤمنين الى
مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحملني كلما قاضيته عليه . فقال
له موسى أما اذ كنت انت صاحب هذا الشأن فانا غير مخبرك
فيما ضمنت لامير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بي وأمره
بالبسط عليّ لكان أحب اليّ ان القى الله عز وجل وأقرب اليّ من
أن يأخذ مني ديناراً واحداً ولكن أديا يابني عن أنفسكما وعن
أبيكما فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فاعلمه بذلك
وبرضا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت

لو لم أقاضك ما كنت فاعلا فقال سليمان أضع العذاب عليك وعلى ابنيك حتى أبلغ ما أريد أوآتي على أنفسكم فقال موسى الآن طابت نفسك يا أمير المؤمنين فاعطني أربع خصال ولك مادعوتني اليه من هذا المال فقال وما هن قال لا تعزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وجميع عمله سنتين وان كل ماجباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهو لي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين وان تدفع الي طارقاً مولاي وأكون أعلا به عيناً وبماله فقال له سليمان أما ماسألت من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك وأما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون أعلا عينا به وبماله فليس هذا جزاء أهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ولا مخل بينك وبين عقوبته ولا آخذ ماله فقاضاه موسى على مال فاجله في ذلك وخلي سبيله

﴿ نسخة القضية ﴾ هذا ما قاضي عليه عبد الله سليمان أمير المؤمنين موسي بن نصير قاضاه على أربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين ديناراً ذهباً طيبة يؤديها الى أمير المؤمنين وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة الف وبقى على موسي سائر ذلك أجله أمير المؤمنين

الى سير رسول أمير المؤمنين الى ابن موسى الذي بالاندلس يمكث شهراً بالاندلس وليس له أن يمكث وراء ذلك يوما واحداً حتي يقبل راجعا بالمال الا ما كان من أفريقية ومادونها وليس لموسى أن يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمة أو فيء أو أمانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان أدي موسى الذي سمى أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى ما قد سمى أمير المؤمنين من الأجل فقد بريء موسى وبنوه وأهله ومواليه وليست عليهم تبعة ولا طلبة في المال ولا في العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسي الى قدوم رسول أمير المؤمنين أفريقية فهو من الذي علي موسي من المال يحسب له من الذي عليه مالم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه في شيء وقد خلى أمير المؤمنين بين موسي وبين أهله ومواليه ليس له ظلم أحد منهم غير ان أمير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئاً من الذي قد أباه عليه أول يوم شهد أيوب بن أمير المؤمنين وداود ابن أمير المؤمنين وعمر بن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد

وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامة وخالد بن الريان وعمر بن
عبد الله ويحي بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن
عثمان في جمادي سنة تسع وتسعين ٠ فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد
ابن المهلب بتخلية موسي وابنيه والكف عنه فاعانه يزيد بن
المهلب بمائة الف دينار فاهدي اليه موسي حقاً فيه ثلاث خرزات
فبعث بهن الي ابن المهلب فقومهن فقوبلن بثلاثمائة الف دينار
فقال ابن المهلب لموسي أتدري لم قلت لامير المؤمنين أنا أضمه
قال لا قال خفت أن يجيبه قبلي من لا يرى فيك ما أنا عليه لك
وكانت لك يدٌ عند المهلب رحمه الله فأحببت أن أجزيك بها
عنه وبالله لو لم تفعل وأبيت عن المقاضاة ما شاكتك عندي شوكة
حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب ٠ قال فجزاه موسى خيراً

﴿ ذكر يد موسي الي المهلب ﴾ قال وذكروا ان مخبراً
أخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبتهم قال كانت
اليد التي اسداها موسي الي المهلب ان عبد الملك بن مروان لما
ولي العراق بشراً أخاه جعل معه موسى بن نصير وزيراً ومديراً
لامره وقد كانت الازارقة أفسدت ماهنا لك فامر عبد الملك
بشر بن مروان أن يولي المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئاً

فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشراً فلم يأته فولي بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولي بشر رجلاً آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر أخيه يفند رأيه فيما صنع ويوبخه لما خالف أمره فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ أمر الازارقة استشار بشر ابن مروان أسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير في أمر المهلب فاما عكرمة وأسماء فوافقا هواه فيه وأما موسى فقال له ان أمير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب في فضله وشرفه وقدره في قومه ومعرفته أقصيت أو جفوت فان كان ما بلغك أمر يقال انه أتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه أو ذنبه فلم يزل موسى يردد أمر المهلب على بشر ويعطفه عليه بعد ان كان هم بقتله إن ظفر به حتى أرسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ما كان يلي فبعث اليه موسى بخمسين فرساً وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائماً بأمره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا وأخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب في الايام التي كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له

فكان فيه وحده فاتى رجل الى بشر وعنده موسىٰ فقال له
ان كان لك أيها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع
كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من
قومه . فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسى فوجه
اليه غلاماً له ثم قال له أنت حرٌّ لوجه الله ان أنت سبقت هذه
الخيل حتى تنتهي الى موضع كذا وكذا فتأتي المهلب فتقول له
ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسى حتى
انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت
الخيل فلم تجد احداً هنالك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

﴿ ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس ﴾

وذكروا ان محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسى بن نصير
مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضي عنه وابنه عبد
الله بن موسى على أفريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز
على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذى فعل سليمان بابيه
موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بابيه على
حسن بلائه فنميت الى سليمان فخاف سليمان ان يخلع فكتب الى
حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمي وسعد بن عثمان بن ياسر

وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر بن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز ابن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب الى عبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم الي عبد العزيز وأعلمه انما دعاه الي ذلك الذي أحب من مكانفتكم لانه بازاء العدو وأعطاهم العهود ان من قتله منهم فهو أمير مكانه . وكتب الي عبد الله بن موسى اني نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الي الغناء والبلاء فسأل أمير المؤمنين فاخبر ان معك رجالا منهم فلان وفلان فاشخصهم الى عبد العزيز بن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز أما بعد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك الى الرجال أهل النكاية والغناء فذكر له ان بافريقية رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الى عبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم اليك فولهم أطرافك وثغورك وأجعلهم أهل خاصتك وكتب اليهم سليمان اني قد بعثت لكم بكتاب الى أهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والغدر في قتله فاذا ولاكم أطرافه فأقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه . فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بافريقية أشخص

القوم فخرجوا حتى قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان في الطافهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز وأكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا أي نواحيّ وثغوري شئتم فضربوا الرأي فقالوا انكم ان فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من أطرافه لم نأمن أن يميل معه عظيم الناس فان في يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رأيكم في الفتك به قالوا فإن هاهنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ما أردنا وهو أيوب بن حبيب بن أخت موسى قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم أتوا عبد الله ابن عبد الرحمن الغافقي وكان سيد أهل الاندلس صلاحا وفضلا فاعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان . فقال لهم : قد علمتم يد موسي عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يداً من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وانتم ترون وأمير المؤمنين لا يرى فأطيعوني ودعوا هذا الامر فأبوا ومضوا على رأيهم فاجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج اصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بام القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن أبي عبيدة ضربة

فدهش ولم يصنع شيئاً فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة التميمي وأصبح الناس فأعظموا ذلك فاخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله أهل الاندلس وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رحمهما الله

﴿ قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان ﴾

وذكروا ان سليمان لما ظن ان القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبدالله بن موسى عن أفريقية وطنجه والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذي الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فاتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان اتعرف هذا الرأس ياموسى فقال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به . ثم ان موسى قام فحمد الله ثم قال : وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه فلعمر الله ماعلمته نهاره الاصواما وليله الا قواماً شديد الحب لله ولرسوله بعيد الاثر في سبيله حسن الطاعة

لأمير المؤمنين شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين فان يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه فوالله ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هائباً وليعز على عبدالملك وعبدالعزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ما أراك تفعل ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه ان يسمعوا فيه كاذبات الاقاويل ويفعلوا به هذه الافاعيل . فرد سليمان عليه قال بل ابنك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لامير المؤمنين فهلا أيها الشيخ الخرف . فقال موسى : والله مابي من خرف ولا أنا عن الحق بذي جنف وان ترد محاورة الكلام واضح الحمام وانا أقول كما قال العبد الصالح «فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون» فتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين واغرورقتا عيناه . فقال له سليمان نعم فخذه فقام موسي فاخذه وجعله في طرف قميصه الذي كان عليه ثم أدبر في السماطين فوقع الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجر لا يحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذاك ياخالد قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به فلما تواري موسى قال سليمان ان في الشيخ لبقية بعد . ثم ان

موسى التفت الى حبيب بن أبي عبيدة فكلمه بكلام غليظ حتى
ذكر أمراً خفياً من نسبه فافحمه ثم ان سليمان كشف عن أمر
عبد العزيز فالفى ذلك باطلا وان عبد العزيز لم يزل صحيح
الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه
عن عبد العزيز ندم وأمر بالوفد فاخرجوا ولم ينظر في شيء
من حوائجهم وأهدر عن موسى بقية القضية التي كان سليمان
قاضاه عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج
ابن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان معه من أمور
الناس شيئاً فلما رضي عن موسى جعل يقول ما ندمت على شيء
ندامتي ان لا كنت خلواً من اليمين على موسى في ان لا أوليه
شيئاً ما مثل موسى استغنى عنه . قال وان موسى دخل على سليمان
في آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح
وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من ان سألتموه عن
الهلال ليخبرنكم انه قد رآه وقد غمي يومئذ عن سليمان والناس فلما
دنى موسى وسلم قال له سليمان أرأيت الهلال بعد يا موسى
قال نعم يا أمير المؤمنين هاهو ذاك وأشار باصبعه الى ناحية
وهو مقبل على سليمان بوجهه فرمى الناس بابصارهم حيث أشار

موسى فابصروا الهلال فلما جلس موسى قال اني والله لست باحدّ كم
بصراً ولكني أعلمكم بمطالعه ومناسقه قال فخرج فلقيه يزيد بن
المهلب فقال له: يا أبا عبد الرحمن بينا أنت أدهى الناس وأعلمهم
أقبلت تسوق نفسك حتي تضعها في يد سليمان فقال له
موسي أما علمت يا أبا خالد ان الهدهد يهندس الماء ويعرفه من
الارض الفضاء ومن الحزونة والسهل ويبصر القريب منه
والبعيد ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة وما أشبهها فلا يبصر
ذلك حتى يقع فيه فيؤخذ وذلك انه لا حذر ينجي من قدر
ولا رأى ولا بصر وكذلك كنت وسليمان بن عبد الملك.
قال وذكروا ان سليمان خرج يوما الي بعض أمواله متنزها
فخرج معه موسى بن نصير فعرضت عليهم غنم حلب
نحو من ألف رأس فأعجب سليمان مارأي منها والتفت الى
موسى قال له هل رأيت مثلها قط قال نعم فرددها سليمان
كالمغضب عليه قال موسى نعم يا أمير المؤمنين وما هذا فيما
أفاء الله عز وجل على يدى لقد كانت الالف تباع بعشرة
دراهم أو دونها ولقد كانت في بعض المواطن وما لها قيمة ولا
يلتفت اليها أحد يا أمير المؤمنين ولغير ذلك مما أفاء الله عليهم

واقد رأيت العلج المثل والوصيف الفاره والجارية الحسناء وان أكثر ماتبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك من صنوفه كلها ولقد رأيت الذود من الابل لاتبلغ قيمته عشرين درهما أكثيريا أمير المؤمنين ما أعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحمد الله . وذكروا ان موسي دخل على سليمان يوما وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وأبصره موسي حين تكلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا أمير المؤمنين رأيتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به قال نعم قلت ذهب سلطان الشيخ قال له موسي: أما والله ائن ذهب سلطان الشيخ لقد أثر الله في دينه أثراً حسناً واقد كنت طويل الجهاد في الله حريصاً في اظهار دين الله حتى أظهره الله وكنت ممن تم الله به موعده لنبيه ، ولئن أدبر ملك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ميمون الطائر . فقال سليمان هو ذاك فقال موسي وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسي حتي سكت سليمان

﴿ سؤال سليمان بن عبد الملك موسي عن اخباره وأفعاله ﴾

وذكروا ان سليمان قال لموسي : ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك . قال التوكل والدعاء الى الله يا أمير

المؤمنين . قال له سليمان هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل قال كنت أنزل السهل واستشعر الخوف والصبر وأتحصن بالسيف والمغفر وأستعين بالله وأرغب اليه في النصر قال له سليمان فمن كان من العرب فرسانك قال حمير قال فاي الخيل رأيت في تلك البلاد اصبر قال شقرها قال فاي الامم كانوا أشد قتالا قال انهم يا أمير المؤمنين أكثر مما أصفهم قال له اخبرني عن الروم قال : أسود في حصونهم عقبان على خيولهم نساء في مواكبهم ان رأوا فرصة افترصوها وان خافوا غلبة فأوعال ترقل في اجبال لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة . قال فاخبرني عن البربر قال هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير انهم يا أمير المؤمنين غدر . قال فاخبرني عن الاشبان قال : ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون قال فاخبرني عن الافرنج قال: هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدّة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز المذوخ . قال فاخبرني

كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقباً قال لا يا أمير المؤمنين ماهزمت لي راية قط ولا فض لي جمع ولا نكب المسلمون معي نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين قال فضحك سليمان وقال فاين الراية التي حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية فقال صدقت وأعجبه قوله. وذكروا ان محمد بن عبد الملك حدثهم عن ريان بن عبد العزيز بن مروان قال انا لجلوس عند سليمان وهو على سطح فسيح والناس يدخلون حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف السطح من شدة وطئه فسلم ثم جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذي فتحه قتيبة ابن مسلم فجعل يردد فيه فقال له موسى وما هذا يا أمير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بتور من زمرد اخضر يصب فيه اللبن فيخضر وانه لمن أدنى ما بعثت به اليه. ولقد أصبت كذا وكذا وأصاب المسلمون كذا وكذا وجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ريّان حتى والله أبهته فلم يزل موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده فلما كانت سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج وأمر موسى بالشخوص

والحج معه فذكر له انه ضعيف فأمر له سليمان بثلاثين نجيبا موقورة جهازاً وبحجرة من حجره وجائزة فحج سليمان وحج معه موسي فبينما هو يسير يوما اذ دعا بموسي فناداه خالد بن الريان وكان موسي يساير رجلا فلم يلتفت موسي الى ندائه ثم دعا به فناداه خالد أيضاً فلم يلتفت اليه فقال له الرجل غفر الله لك ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين انى أخافه وأخاف أن يغضب فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد فاما هـذا فانه يرضيه مايرضى الصبي ويسخطه مايسخطه وسترى ذلك ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان فقال له أين كنت يا ابن نصير فقال له يا أمير المؤمنين أين دوابنا من دوابك اني لمنذ دعاني أمير المؤمنين افى كدّ حتى لحقت أمير المؤمنين فضحك سليمان وأمر له بدواب من مراكبه فسايره وحادثه ثم انصرف عنه فلحق الرجل اليه فقال له موسى كيف رأيت قال انت كنت أعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة في دار يزيد بن رومان قال فحدثني بعض أهل المدينة ان موسى قال يوما لبعض من يثق به : ليموتن الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نظن الا انه يعني الخليفة فلما كان اليوم الثاني لم أشعر وأنا

في مسجد الرسول حتى سمعت الناس يقولون مات موسى بن نصير فاذا هو وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله . وذكروا ان عبد الله بن صخر اخبرهم قال بينما موسى يسير يوما على دابة له وكان طويلا جسيماً فمر به رجلان من قريش وقد تدلت رجلاه وانحنتا وهما لا يعرفانه فقالا أدبر والله الشيخ فسمعهما موسى فقال لهما من أنتما فانتسبا له فقال أما والله ان أميكما لما أفاء الله على يدي هذا الشيخ فاهداها الى أبويكما فقالا له ومن أنت يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا فمرحبا وأهلا صدقت وبررت والله ما عرفناك فقال لا عليكما قد والله أدبر عني وبقي مني . وذكروا ان ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه عن موسى ان الناس قحطوا بافريقية عاما فخرج موسى بالناس فاستسقى فامر رجلا فقص على الناس ورققهم فجعل يذكر ثم انه انحى في الدعاء للوليد بن عبد الملك فاكثر فارسل اليه موسى: انا لم نأت هاهنا للدعاء للوليد فأقبل على ماله جئنا فمدنا . فلم يلتفت ورجا أن يبلغ الوليد فامر به فسحب حتى خرج من الناس ثم قام موسى ودعا بالناس فما برحنا حتى أنصبت السماء بمثل القرب فأوتى موسى بدابة من دوابه فقال والله لا ركبت

ولكن أخوض الطين وانصرف ماشياً ومشى الناس فسمعته
يومئذ يردد في دعائه : اللهم الشهادة في سبيلك أو موتا في مدينة
رسولك . قال فذكروا ان عرفة بن عكرمة حدثهم عن مشائخ
من مراد عن رجل منهم كان مع موسي بالاندلس قال : كنت
أبصر من مجاري الشمس والقمر شيئاً فوقع فيّ عند موسى
وقيل له عنده علم فوالله ماشعرت حتى أتيت فأخذت فادخلت
عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح مشقوق البطن قال لى
ادخل يدك فانظر قلت اصلح الله الامير طاقت امرأتي البتة
ان كان يعلم قليلا أو كثيراً الا ما يعلم الناس من مجاري الشمس
والقمر قال فأمر بي فنحيت ثم دعا برجل من الاعاجم قال ادخل
يدك فانظر ماذا ترى وكان من الاساري فادخل يده في جوف
العصفور فحركه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه انه ليس
يموت هاهنا ولكنه يموت بالمشرق في بلاد العرب فنظر اليه
موسي ثم قال له قاتلك الله ما أعلمك قال ثم أمر به فقتل ثم
دعاني فاخذ على الايمان ان لا أتكلم به ما بقي ففعلت وكان
دخول موسي المغرب سنة تسع وسبعين في جمادي الاولى
وكان يومئذ ابن ستين سنة فاقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل

منها سنة خمس وتسعين ومات سنة ثمان وتسعين وولي عبد الله
ابن موسى بافريقية وطنجه والسوس بعد موسى أبيه سنتين وكان
عزله عنها في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين ٠

﴿ ذكر ولاة الاندلس بعد موسى بن نصير ﴾ وذكروا
ان عبد العزيز بن موسى ولي الاندلس بعد أبيه سنة ثم قتل
وولي بعده أيوب بن حبيب ستة أشهر ثم الحارث بن عبد الرحمن
ثلاث سنين ونصف ثم عنبسة سنتين وتسعة أشهر ثم يحيي بن
سلمة سنة وثلاثة أشهر ثم الهيثم بن عبيد سنة وشهرين ثم
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أربع سنين ثم عبد الملك بن قطن
القرشي أيضاً سنة ثم ابن بشر القسري ستة أشهر ثم ثعابة بن
سلام العاملي خمسة أشهر ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبي
ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهراً فلما وهن سلطان
بني أمية بالمشرق ولوا على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن
القرشي الفهري من غير عهد من الخليفة فملك الاندلس عشر
سنين الى ان دخل عليه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن
عبد الملك بن مروان ٠ وذكروا انه لما حج سليمان بن عبد
الملك ومعه عمر بن عبد العزيز وذلك في سنة ثمان وتسعين فلما

انتهى الى عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت
له ما بين أحمر وأخضر وأصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل
له باليمن ثلاث سرادقات فكان الذي يلي منها للناس من خز
أخضر والذي يليه من خز أصفر ثم الذي يكون هو فيه من
وشي أحمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفي
داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مرافقها من وشي
أصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه
وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما استوى سليمان في قبة العقبة
ونظر الى مانصب له قال ياعمر كيف ترى ها هنا ؟ قال : أرى
دنيا عريضة يأكل بعضها بعضاً أنت المسؤل عنها والمأخوذ
بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادق سليمان في
منقاره كسرة فصاح الغراب فقال سليمان مايقول هذا الغراب
ياعمر قال عمر ما أدري ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال سليمان
اخبرني فقال عمر : هذا غراب طار من سرادقك بكسرة هو
يأكلها وانت المأخوذ بها والمسئول عنها من أين دخلت وأين
أخرجت قال سليمان انك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص فقال
عمر أفلا أخبرك بأعجب من هذا يا أمير المؤمنين قال اخبرني

قال : من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش ويسوغ له الطعام ومن أيقن بالنار كيف يضحك . فقال سليمان نغصت علينا ما نحن فيه يا أبا حفص ومن يطق ما تطيق انت يا عمر أنت والله الموفق المطيع

﴿ ما قال طاووس اليماني لسليمان بمكة ﴾ قالوا ان ابراهيم ابن مسلم أخبرهم عن رجاء بن حيوة انه نظر الى طاووس اليماني يصلي في المسجد الحرام فانصرف رجاء الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال اني رأيت طاووس في المسجد فهل لك أن ترسل اليه قال فارسل اليه سليمان فلما أتاه قال رجاء لسليمان يا أمير المؤمنين لا تسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلا ثم قال : ما أول شيء خلق فقلنا لا ندري فقال أول شيء خلق القلم ثم قال أتدرون أول شيء كتب قلنا لا قال فان أول ما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب القدر خيره وشره الى يوم القيامة ثم قال أتعلمون من أبغض الخلق الى الله قلنا لا فقال ان أبغض الخلق الى الله تعالى عبد أشركه الله في سلطانه فعمل فيه بمعاصيه

ثم نهض . قال رجاء فاظلم على البيت فما زلت خائفا عليه حتى
توارى فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى خشيت ان
تخرج اظفاره لحم رأسه .

﴿ ما قال أبو حازم لسليمان ﴾ قالوا وان يحيى بن المغيرة
اخبرهم عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن ابي حازم قال لما حج
سليمان ودخل المدينة زائراً لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه ابن شهاب الزهرى ورجاء بن حيوة فاقام بها ثلاثة ايام .
فقال اما هاهنا رجل ممن ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقيل له بلى هاهنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه
وهو أقور اعرج فدخل عليه فوقف منتظراً للاذن فلما طال
عليه الاذن وضع عصيته ثم جلس . فلما نظر اليه سليمان ازدرته
عينه فقال له يا أبا حازم ما هذا الجفاء الذي ظهر منك وانت
توصف برؤية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فضل
ودين تذكر به فقال ابو حازم وأى جفاء رأيت مني يا أمير
المؤمنين فقال سليمان انه أتاني وجوه أهل المدينة وعلماؤها
وخيارها وانت معدود فيهم ولم تأتني فقال أبو حازم : اعيذك
بالله ان تقول مالم يكن ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها

قال سليمان صدق الشيخ فقال يا ابا حازم مالنا نكره الموت
فقال أبو حازم لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فانتم
تكرهون النقلة من العمران الى الخراب . قال سليمان صدقت
يا ابا حازم فكيف القدوم على الآخرة قال نعم: اما المحسن فانه
يقدم على الآخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر بعيد وأما
قدوم المسيء فكالعبد الآبق يؤخذ فيشد كتافه فيؤتي به الى
سيد فظ غليظ فان شاء عفى وان شاء عذب . فبكى سليمان بكاء
شديداً وبكى من حوله ثم قال ليت شعري مالنا عند الله يا أبا
حازم فقال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم مالك
عند الله قال سليمان يا أبا حازم واين اصيب تلك المعرفة
في كتاب الله قال عند قوله تعالى « إن الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم » قال سليمان يا أبا حازم فاين رحمة الله قال
رحمة الله قريب من المحسنين قال سليمان يا أبا حازم من أعقل
الناس قال أبو حازم أعقل الناس من تعلم العلم والحكمة وعلمها
الناس قال سليمان فمن أحمق الناس فقال من حط في هوى
رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان فما أسمع
الدعاء قال أبو حازم دعاء المخبتين الخائفين فقال سليمان فما أزكى

الصدقة عند الله قال جهد المقلّ قال فما تقول فيما ابتلينا به قال اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه أصلحك الله قال سليمان نصيحة تلقيها فقال: ماأقول في سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الارحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود وكل ذلك على تنفيذ الطينة والجمع لمتاع الدنيا المشينة ثم لم يلبثوا ان ارتحلوا عنها فياليت شعري ماتقولون وماذا يقال لكم. فقال بعض جلسائه بئس ما قلت يا أقور أمير المؤمنين يستقبل بهذا فقال أبو حازم اسكت يا كاذب فانما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون ان الله قد أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه أي لا ينبذونه وراء ظهورهم قال سليمان يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح مافسد منا فقال المأخذ في ذلك قريب يسير يا أمير المؤمنين فاستوى سليمان جالساً من اتكائه فقال كيف ذلك فقال : تأخذ المال من حله وتضعه في أهله وتكف الا كف عمانهيت وتمضيها فيما أمرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال أبو حازم من هرب من النار الى الجنة ونبذ سوء العادة الى خير العبادة . فقال سليمان أصحبنا يا أبا حازم وتوجه معنا

تصب منا ونصب منك قال أبو حازم أعوذ بالله من ذلك قال
سليمان ولم يا أبا حازم قال أخاف ان أركن الى الذين ظلموا
فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات فقال سليمان فتزورنا
قال أبو حازم : انا عهدنا الملوك يأتون الى العلماء ولم يكن العلماء
يأتون الملوك فصار في ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن في
زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار
في ذلك فساد الفريقين جميعاً قال سليمان فاوصنا يا أبا حازم
وأوجز: قال اتق الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من
حيث أمرك قال سليمان أدع لنا بخير فقال أبو حازم :اللهم ان
كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وان كان
عدوك فخذ الى الخير بناصيته قال سليمان زدني قال قد أوجزت
فان كنت وليه فاغتبط وان كنت عدوه فانعظ فان رحمته في
الدنيا مباحة ولا يكتبها في الآخرة الا لمن اتقى في الدنيا فلا
نفع في قوس يرمى بلا وتر فقال سليمان هات ياغلام الف دينار
فاتاه بها فقال خذها يا أبا حازم فقال لا حاجة لي بها لاني وغيري
في هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت أخذت والا فلا
لاني أخاف أن يكون ثمنا لما سمعت من كلامي وان موسى بن

عمر ان عليه السلام لما هرب من فرعون ورد ماء مَدْيَن وجد
عليه الجاريتين تذودان فقال مالكما معين قالتا لا فسقى لهما
ثم تولى الى الظل فقال : « رب اني لما أنزلت الىّ من خير فقير »
ولم يسأل الله اجراً فلما أعجل بالجاريتين الانصراف انكر ذلك
أبوهما فقال لهما ما أعجلكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحاً قوياً
سقى لنا قال ما سمعتماه يقول قالتا تولى الى الظل وهو يقول « رب
اني لما أنزلت اليّ من خير فقير » فقال ينبغي لهذا أن يكون
جائعاً تنطلق إحدا كما له فتقول له : ان أبي يدعوك ليجزيك
أجر ماسقيت لنا فاتته احداهما تمشي على استحياء (أي على اجلال
له) قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فجزع موسى
من ذلك وكان طريدا في الفيافي والصحاري فقال: لها قولي
لابيك ان الذي سقى يقول لا أقبل أجراً على معروف اصطنعته
فانصرفت الى أبيها فاخبرته فقال اذهبي فقولي له أنت بالخيار
من قبول ما يعرض عليك أبي وبين تركه فاقبل فانه يحب
أن يراك ويسمع منك فاقبل والجارية بين يديه فهبت الريح
فوصفتها له وكانت ذات خلق كامل فقال لها كوني ورائي
وأريني سمت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذني لنا فدخلت

على أبيها فقالت انه مع قوته لامين فقال شعيب وبم علمت ذلك فاخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها فقال أدخليه فدخل فاذا شعيب قد وضع الطعام فلما سلم رحب به وقال أصب من طعامنا يافتى فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب لم قال لاني من بيت قوم لانبيع ديننا بملء الارض ذهبا قال شعيب لا والله ماطعامي لما تظن ولكنه عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل . وهذه الدنانير يا أمير المؤمنين ان كانت ثمنا لما سمعت من كلامي فان أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحب الى من ان آخذها فاعجب سليمان بامره عجباً شديداً فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين ان الناس كلهم مثله قال لا قال الزهري انه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال أبو حازم صدقت لانك نسيت الله ونسيتني ولو ذكرت الله لذكرتني قال الزهري أتشتمني قال له سليمان بل أنت شتمت نفسك أو ماعلمت ان للجار على الجار حقاً . قال أبو حازم ان بنى اسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تعز بدينها من الامراء فلما رؤى قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الامراء استغنت

الامراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الامراء تهابهم وتعظمهم فقال الزهري كأنك اياى تريدوبي تعرض قال هو ما تسمع . قال سليمان ياأباحازم: عظني وأوجز قال حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب والى الله المآب فاتق عذابك أودع . قال لقد أوجزت فاخبرني ماما لك قال الثقة بعدله والتوكل على كرمه وحسن الظن به والصبر الى أجله واليأس مما في أيدي الناس قال يا أبا حازم ارفع الينا حوائجك قال رفعتها الى من لا تخذل دونه فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني رضيت مع اني قد نظرت فوجدت أمر الدنيا يؤول الى شيئين أحدهما لي والآخر لغيري فاما ما كان لي فلو احتلت عليه بكل حيلة ماوصلت اليه قبل أوانه وحينه الذي قد قدر لي وأما الذى لغيري فذلك لا أطمع فيه فكما منعني رزق غيري كذلك منع غيري رزقي فعلى م اقتل نفسي في الاقبال والادبار قال سليمان لابد أن ترفع الينا حاجة نامر بقضائها قال فتقضيها قال نعم قال فلا تعطني شيئاً حتى اسألكه ولا ترسل الى حتى آتيك وان مرضت فلا تعدني وان مت فلا تشهدني . قال سليمان أبيت

يا أبا حازم أبيت قال أتأذن لي أصلحك الله في القيام فاني شيخ
قد زمنت قال سليمان يا أبا حازم مسئلة ما تقول فيها قال ان
كان عندي علم أخبرتك به والا فهذا الذي عن يسارك يزعم
انه ليس شيء يسأل عنه الا وعنده علم يريد الزهري فقال له
الزهري عائذاً بالله من شرك أيها المرء قال أما من شري فقد
عفيت وأما من لساني فلا قال سليمان : ما تقول في سلام الأئمة
من صلاتهم أواحدة أم اثنتان فان العلماء لدينا قد اختلفوا علينا
في ذلك أشد الاختلاف قال على الخبير سقطت أرميك في
هذا بخبر شاف : حدثني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه
سعد انه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم في الصلاة
عن يمينه حتى يرى بياض خده الايمن ثم يسلم عن يساره حتى
يرى بياض خده الايسر سلاما يجهر به قال عامر وكان أبي
يفعل ذلك . وأخبرني سهل بن سعد الساعدي انه رأي عمر
ابن الخطاب وابن عمر يسلمان من الصلاة كذلك فقال الزهري
اعلم ما تحدث به أيها الرجل فان الحديث عن رسول الله صعب
شديد الا بالتثبت واليقين قال أبو حازم قد علمته ورويته قبل
أن تطلع اضراسك في رأسك فالتفت الزهري الى سليمان قال

أصلحك الله أن هذا الحديث ماسمعت به من حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم قط فضحك أبو حازم ثم قال يازهري
أحطت بحديث رسول الله كله قال لا قال فثلاثة أرباعه قال
لا قال فثلثه فقال أراني ذلك قد رويت وبلغني فقال أبو حازم
فهذا من الثلث الذي لم يبلغك وبقي عليك اسماعه فقال سليمان
ماظلمك من حاجك ثم قام مأذونا له فأتبعه سليمان بصره ينظر
اليه ويعجب به ثم التفت الى جلسائه فقال ما كنت أظنه بقي
في الدنيا مثل هذا . قال ثم انصرف سليمان من الحج قافلا الي
الشام . وذكروا ان غلمانا لسليمان نازعوا غلمانا لعمر بن عبد
العزيز فتعدي غلمان عمر على غلمان سليمان فرفع ذلك الى سليمان
وأغرى بعمر فقال له سليمان الا تنصف غلماني وهو كالمغضب
مما فعل بهم فقال عمر ماعلمت هذا قبل هذا الوقت وماسمعت
هذا الا في مقامي هذا فقال سليمان كذبت لقد علمته فقال عمر:
كذبت والله ما كذبت ولا تعمدت كذبا منذ شددت مئزري
على نفسي وان في الارض عن مجلسك لسعة . ثم خرج عمر
فتجهز وهو يريد مصر ليسكنها فبلغ ذلك سليمان فندم على
ما كان من قوله وأرسل اليه أن لا يبرح وأمر رجلا يقول له

لا تغتب أمير المؤمنين على قوله ولا تذكر هـذا فترك عمر
الخروج وجلس وأقل الاختلاف الى سليمان

﴿ ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكروا ان خالد بن أبي عمر ان أخبرهم وكان قد أدرك
القوم قال مرض سليمان مرضه الذي مات فيه وذلك في شهر
صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه عمر بن عبد العزيز عائداً
فدعا سليمان بنين له صغاراً فقلدهم السيوف فوقعوا في الارض
فقال سليمان قد أفلح من كان له بنون كبار فقال عمر ليس
هكذا قال الله فقال سليمان وكيف قال الله فقال عمر قال الله
تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » فقال سليمان
أني أريد أن أعهد اليك وأوليك أمور الناس بعدي فقال عمر
لا حاجة لي بذلك فقال سليمان ولم ذلك فقال لاني لا أريد أخذ
أموالهم فاذا لم أرد أخذ أموالهم فما الذي يدعوني الى ضرب
ظهورهم فقال سليمان لابد من هذا فقال عمر ولم ذلك ولك في
ولد عبد الملك سعة فاعفني من هـذا يعف الله عنك فقال له
سليمان والله لا أوليها غيرك بعدي فقال عمر وما الذي يدعوك
الى هذا فقال سليمان اني رأيت فى منامي قائلا لي يقول : ان

عمر بن عبد العزيز لك جُنة ووقاية وجسر تتخطاه فاولت ذلك
ان شاء الله ان أوليك الامر من بعدي لتكون توليتي لك
جنة من النار وجسراً أركبه لانجو عليه من عذاب يوم القيامة
ثم ليزيد بعدك فانه أرشد ولد عبد الملك فقال عمر ان هـذا
الامر لا يسعني بيني وبين الله عز وجل ان أتقدم على أمة
محمد وفيهم خير مني فقال سليمان أما في آل أمية وعبد شمس
فلا أعلم خيراً منك فقال عمر ان لم يكن في آل أمية وعبد
شمس خير مني بقولك ففي آل عبد مناف وآل هاشم من
هو خير مني فقال سليمان لا فقال عمر ففي آل تيم وعدي
خير مني وملؤا الارض مثلي فقال سليمان انما تريد القاسم وسالما
قال نعم اياهما أردت فقال سليمان رجلان صالحان ذكرت
ولكنهما ليسا للملك ولا الملك لهما ولا من معدن الملك هما مع
انه ليس بزمان خلافة ولا أيام تملك فيها مثل القاسم وسالم انما
هو زمان ملك وسيف وانما هي ذئاب تعدو ليست على غنم تؤمن
فقال عمر الله المعين المصلح لمن أراده . فسكت سليمان وظن
ان عمر رضي بما قال له . ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب ويده
ترعش من شدة العلة لا يعلم أحد بما يخط فكتب عهد عمر ثم من

بعد عمر ليزيد ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لا يشك
ان الامر فيه قد صار لغيره ثم دعا سليمان برجاء بن حيوة فقال
له خذ هذا الكتاب فانه عهدي فاجمع اليك قريشاً وأمراء الاجناد
واعلمهم انه عهدي وان من كان اسمه في كتابي هذا فهو الخليفة
بعدي فمن نزع عن ذلك وأباه فالسيف السيف والقتل القتل .
ثم رفع سليمان يديه الى السماء فقال : اللهم ان ذنوبي قد عظمت
وجلت وهي صغيرة يسيرة في جنب عفوك فاعف عني يامن
لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اعف عني مابيني وبينك من
الذنوب واحمل عني مابيني وبين خلقك وارضهم بما شئت يا أرحم
الراحمين اللهم ان كنت تعلم مني وتطلع من ضميري اني انما أردت
بعهدي هـذا وتوليتي من وليت فيه وجهك ورضاك فاغفر لي
وارحمني . ثم تخاذل لسانه فلم يقو على الكلام من ثقل العلة ثم
سكت وأغمي عليه . قال رجاء فخرجت وعمر معي فقلت له ما أراك
الا صاحب الامر فقال عمر ما أحسب ذلك فقلت ومن عسى
أن يكون في آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال
عمر ما أراه عهد الا لاحد الرجلين إما القاسم أو سالم قال رجاء
فقلت له أسمعت ذلك منه فقال عمر ما سمعته ولكنه دار بيني

وبينه كلام آنفا قبل دخلتك لا اشك انه أراد أحدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف في أمة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور الفانية للانفس فقال عمر ولم ذلك فقال رجاء لان قريشا ونحوها لا ترضى بهذا ولا تصير اليه ولا آل امية وعبد شمس حيث كانت من الارض فقال عمر ان الامر لله من قبل ومن بعد يؤتي الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس وأعلمتهم بعهد أمير المؤمنين فقالوا سمعاً وطاعة ثم أعلمتهم بابتهاله ورغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس ان عمر ابن عبدالعزيز صاحبهم فارادوا أن يسلموا عليه بالخلافة وذلك لما ايقنوا بهلاك سليمان فقلت لهم لا تعجلوا فان عمر قال لي أرى سليمان ما أراد الا القاسم أو سالماً وهذا أفطن مني بهذا الامر لانه كان حاضراً وسليمان يكتب العهد بيده فضج الناس من ذلك واختلفوا . فقالت فرقة سمعنا وأطعنا لمن استخلف علينا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف علينا الا مَرْوانيّ ولا تبقى منا عين تطرف في الدنيا . فقال رجاء لعمر كيف ترى قولي والله لئن كان هذا انه لهو البلاء المبين وانها الفتنة قد فتح بابها فقال عمر ارجو

الله أن يغلقه ان شاء الله قال رجاء فقلت لعمر ما نحن صانعون
ان كان هذا فقال عمر لا أدري ما أقول في موقفي هـذا قال
رجاء ولم فقال عمر: لاني والله ماوقفت موقفا قط لا رأي لي
فيه ولا بصيرة الا موقفي هذا فاني قد أجدني قد ذهب روعي
وفقدت رأيي ولا أدري ما استقبل من أمري ولا ما استدبر
ولو استطعت الفرار لفررت من موضعي هذا حيث لا أدرك
ولا أرى . قال رجاء فلما قاولني بهذا علمت انه الذي أريد من
فقده لرأيه وبصيرته قال رجاء فقلت له يا أبا حفص فاين نحن
من المفزع الى الله والرغبة في الصلاح علينا وعلى المسلمين ويعزم
لنا على ما فيه الخير والخيرة فقال عمر بلى والله هذا الملجأ وهذا
الحصن الحصين والمعقل الشديد قال رجاء فبتنا ليلتنا لا نألو
على أنفسنا في الدعاء والاستخارة لله فلما أصبحنا قلت لعمر ما
ترى يا أبا حفص فقال أرى ان أسمع وأطيع لمن في هذا الكتاب
فان كان أحد الرجلين سمعت له وأطعت ورددت من أدبر
عنه بمن أقبل عليه حتى أموت . فبينما هما كذلك اذ أقبل وصيف
يسعى اليهما يقول قد قضى أمير المؤمنين نحبه فخرجا فاذا
بالعويل والنوح فرجعا الى المسجد ترعد فرائصهما والناس

يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به حتى دخل المسجد وقد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال ان خالف العهد مايريدون . فقام رجاء الى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة وأعلمهم بما في الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم أخرج العهد ففضه بمحضر منهم ثم قرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد انه يشهد لله بالربوبية والوحدانية وان محمداً عبده ورسوله بعثه الى محسني عباده بشيراً والى مذنبيهم نذيراً وان الجنة والنار مخلوقتان حق ، خلق الجنة رحمة لمن أطاعه والنار عذابا لمن عصاه وأوجب العفو لمن عفى عنه وان سليمان مقر على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه موجباً على نفسه استحقاق ماخلق من النقمة واجبا لنفسه ماخلق من الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وان المقادير كلها خيرها وشرها من الله وانه هو الهادي لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ولا لمن خلق لعذابه هداية ، وان الفتنة في القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذي أرسل الى أمته لامنجي لمن خرج من الدنيا الي الآخرة من

هذه المسألة . وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منّه الثبات
على الحق عند تلك المسألة والنجاة من هول تلك الفتنة وان
الميزان حق يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة فمن ثقلت
موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك هم
الخاسرون . وان حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف
حق عدد آنيته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً
وسليمان يسأل الله برحمته أن لا يرده عنه عطشان . وان أبا بكر
وعمر خير هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم
بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الامة . وان هذه الشهادة
المذكورة في عهده هذا يعلمها من سره واعلانه وعقد ضميره
وان بها عبد ربه في سالف أيامه وماضي عمره وعليها أتاه يقين
ربه وتوفاه أجله وعليها يبعث بعد الموت ان شاء الله وان سليمان
كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيص
ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ في محكم الوحي فان
يعف ويصفح فذلك ماعرف منه قديماً ونسب اليه حديثاً وذلك
الصفة التي وصف بها نفسه في كتابه الصادق وكلامه الناطق
وان يعاقب وينتقم فبما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد . واني

أخرج على من قرأ عهدي وسمع ما فيه من حكمه أن ينتهي اليه
في أمره ونهيه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وان
يدع الإحن ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى السماء بالابتهال
الصحيح والدعاء الصريح يسأله العفو عني والمغفرة لي والنجاة
من فزعي والمسألة في قبري لعل الودود أن يجعل منكم مجاب
الدعوة بما عليّ من صفحه يعود ان شاء الله . وان ولى عهدي
فيكم وصاحب أمري بعد موتي في كل من استخلفني الله عليه
الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن عمي لما بلوت من باطن
أمره وظاهره ورجوت الله بذلك وأردت رضاه ورحمته ان
شاء الله ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده فاني ما رأيت منه الا
خيراً ولا اطلعت له على مكروه، وصغار ولدي وكبارهم الى عمر
اذ رجوت الا يألوهم رشداً وصلاحاً والله خليفتي عليهم وهو
أرحم الراحمين واقرأ عليكم السلام ورحمة الله ،ومن أبي عهدي
هذا وخالف أمري،فالسيف،ورجوت ان لا يخالفه أحد ومن
خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان أعتب والا فالسيف والله
المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله القديم الاحسان .

﴿ أيام عمر بن عبد العزيز ﴾ وذكروا عن خالد بن أبي

عمران انه قال : إني لحاضر يوم قرىء عهد سليمان في المسجد
بدمشق على الناس فما رأيت يوماً أكثر باكياً ولا داعياً له
بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا
خارجي ولا حروري الا أخذ الله له بقلوبهم وابتهلوا بالدعاء
وأخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضى الناس أجمعون فعله .
قال خالد ثم بايع الناس لعمر في المسجد بيعة تامة جامعة طيبة
بها النفوس لا يشوبها غش ولا يخالطها دنس . قال خالد وسمعت
رجاء يقول لما تمت البيعة اني مهما شككت في شيء فاني لم
أشك يوم البيعة لعمر بالنجاة والرحمة لسليمان ان شاء الله
واستفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان ورباعه وكسوته وجميع
ما كان يملكه فبلغ ذلك أربعة وعشرين الف دينار فجمع ذلك
كله وجعله في بيت المال ثم دخل على زوجه فاطمة ابنة عبد
الملك فقال لها يا فاطمة فقالت لبيك يا أمير المؤمنين فجعل يبكي
وكان لها محباً وبها كلفاً ثم استفاق من بكائه فقال لها اختاريني
أو اختاري الثوب الذي عمل لك أبوك وكان قد عمل لها أبوها
عبد الملك ثوباً منسوجاً بالذهب منظوماً بالدر والياقوت أنفق
عليه مائة الف دينار فقال لها ان اخترتني فاني آخذ الثوب

فاجعله في بيت المال وان اخترت الثوب فلست لك بصاحب
فقالت أعوذ بالله يا أمير المؤمنين من فراقك لا حاجة لي بالثوب
فقال عمر وأنا أفعل بك خصلة أجعلُ الثوب في آخر بيت المال
وأنفق ما دونه فان وصلت اليه أنفقته في مصالح المسلمين وانما
هو من أموال المسلمين أنفقت فيه وان بقي الثوب ولم أحتج
اليه فلعل أن يأتي بعدي من يرده اليك قالت افعل يا أمير
المؤمنين ما بدا لك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد
تدعدع فقال له عمر رقّع قميصك يا بنيّ فوالله ما كنت قط
بأحوج اليه منك اليوم

﴿ذكر قدوم جرير بن الخطفى على عمر بن عبد العزيز﴾

قال وذكروا عن عبد الأعلى بن أبي المشاور أنه أخبرهم قال
قدم جرير شاعر أهل العراق وأهل الحجاز على عمر أول
ما استخلف فأطال المقام ببابه لا يصل اليه حتى قدم عليه عون
ابن عبد الله الهذلي وكان من عبّاد الناس وخيارهم وعليه جبة
صوف وعمامة صوف قد أسداها خلفه فجعل يتخطى رقاب الناس
من قريش بني أمية وغيرهم لا يمنع ولا يحجب ومثله من أكابر
الناس وخيارهم وفضلاء العباد وقريش لا يصلون ولا يدخلون ٠

فلما خرج عون بن عبد الله اتبعه جرير بن الخطفى . وهو يقول :

يا أيها الرجل المرخي عمامته　　هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه　　اني لدى الباب كالمصفود في قرن

فاحال صفادي فقد طال المقام به　　وشطت الدار عن أهلي وعن وطني

قال فضمن له عون بن عبد الأعلى أن يدخله عليه فلما دخل على عمر قال يا أمير المؤمنين هذا جرير الخطفى بالباب يريد الاذن فقال عمر ما كنت أرى أحداً يحجب عني قال انه يريد اذناً خاصاً . قال له عمر اله عن ذكره ثم حدثه طويلا ثم قال يا أمير المؤمنين ان جريراً بالباب فقال الهُ عن ذكره قال اذاً لا أسلم من لسانه فقال عمر اما اذ قد بلغ منك خوف لسانه ما أري فأذن له . فدخل جرير فلما كان قيد رمح أو رمحين وعمر منكس رأسه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ثم قال: ان الخلفاء كانت تتعاهدني فيما مضى بجوائز وصلات وقد أصبحت الى ذلك منك محتاجا . ثم أنشأ يقول:

قد طال قولي اذا ماقمت مبتهلا　　يارب اصلح قوام الدين والبشر

إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا　　من الخليفة مانرجو من المطر

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت　　أم قد كفاني ما بلغت من خبر

مازلت بعـــدك في همّ يؤرقني

قدطال في الحيّ اصعادي ومنحدري

لا ينفع الحاضر المجهود بادية   ولا يعود لنا باد على حضر

كم باليمامة من شعثاء أرملة   ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به   خبلا من الجن أو مساً من البشر

فان تدعهم فمن يرجون بعدكم   أو تنج منها فقد أنجيت من ضرر

هذي الارامل قد قضّيت حاجتها

فمن لحاجة هـذا الارمل الذكر

خليفـة الله ماذا تأمرنّ بنا   لسنا اليكم ولا في دار منتظر

أنت المبارك والمهدي سيرته   تعصي الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكى عمر وهملت عيناه وقال ارفع حاجتك الينا يا جرير قال جرير ما عودتني الخلفاء قبلك قال وما ذلك قال أربعة آلاف دينار وتوابعها من الحملان والكسوة . قال عمر أمن أبناء المهاجرين أنت قال لا قال أفمن أبناء الانصار أنت قال لا قال أفقير أنت من فقراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك الى عامل بلدك أن يجري عليك ما يجري على فقير من فقرائهم . قال جرير أنا أرفع من هذه الطبقة يا أمير المؤمنين

قال فانصرف جرير فقال عمر ردوه عليّ فلما رجع قال له عمر قد بقيت خصلة أخرى عنـدي نفقة وكسوة أعطيك بعضها ثم وصله بأربعة دنانير فقال وأين تقع مني هذه يا أمير المؤمنين فقال عمر انها والله لمن خالص مالي ولقـد أجهدت لك نفسي فقال جرير والله يا أمير المؤمنين انها لأحب مال كسبته . ثم خرج فلقيه الناس فقالوا له ما وراءك قال: جئتكم من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض

﴿ دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز ﴾ وذكروا ان ابن حنظلة أخبرهم قال بعثني وعون بن عبد الله عمر بن عبد العزيز الى خوارج خرجت عليه بالحيرة رأسهم رجل من بني شيبان يقال له شوذب وكتب معنا كتابا اليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا اليه رجلين أحدهما من العرب فأتينا بهما عمر فدخلنا عليه وتركناهما بالباب فقلنا له: انا قد بلغنا عنك وقد بعثوا معنا رجلين هما بالباب قال فتشوهما الا يكون معهما حديد أو شيء ففعلنا ثم اننا أدخلناهما عليه . فلما دخلا قالا السلام عليكم قال وعليكم السلام أجلسا فلما جلسا قال لهما عمر: ما الذي أخرجكم علينا فقال العربي وكان اشدهما كلاما وأتمهما عقلا: اما إنا لم ننكر

عليك عدلك ولا سيرتك ولكن بيننا وبينك أمر هو الذي
يجمع ويفرق بيننا فان أعطيتناه فنحن منك وانت منا وان لم
تعطناه فلسنا منك واست منا . فقال عمر فما هو ؟ فقال: خالفت
أهل بيتك وسميتهم الظلمة وسميت أعمالهم المظالم فان زعمت
انك على الحق وانهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال
عمر : انكم لم تتركوا الاهل والعشائر وتعرضتم للقتال الا وانتم
في أنفسكم مصيبون ولكنكم اخطأتم وضللتم وتركتم الحق
أخبراني عن الدين أواحد أو أثنان قالا بل واحد قال افيسعكم
في دينكم شئ يعجز عني قالا لا قال فاخبراني عن أبي بكر وعمر
ما حالهما عندكم قالا أفضل الناس أبو بكر وعمر قال :ألستما تعلمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى ارتدت العرب فقاتلهم
أبو بكر فقتل الرجال وسبي النساء والذرية قالا بلى قال عمر
فلما توفى أبو بكر وقام عمر ورد تلك النساء والذراريّ الى عشائرها
فهل تبرأ عمر من أبي بكر ولعنه بخلافه اياه قالا لا قال فتتولونهما
على خلاف سيرتهما قالا نعم قال عمر فما تقولان في بلال بن
مرادس قالا من خير اسلافنا قال افليس قد علمتم انه لم يزل
كافا عن الدماء والاموال وقد لطخ أصحابه ايديهم فيها فهل

تبرأت منه احدى الطائفتين من الاخرى أو لعنت احـداهما
الاخري قالا بلى قال فتتولونهما جميعاً على خلاف سيرتهما قال
نعم قال عمر فاخبرانى عن عبدالله بن وهب حين خرج باصحابه
من البصرة يريدون اصحابهم فروا بعبد الله بن خباب فقتلوه
وبقروا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بنى قطيعة فقتلوا الرجال
وأخـذوا الاموال وغلوا الاطفال في المراجل ثم قدموا على
أصحابهم من الـكوفة وهم كافون عن الدماء والفروج والاموال
هل تبرأت احدى الطائفتين من الاخري أولعنت احداهما
الاخري قالا لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم .
فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم فى السيرة والاحكام لم
لم يتبرأ بعضهم من بعض ولالعن بعضهم بعضا وأنتم تتولونهم
على خلاف سيرتهم فهل وسعكم فى دينكم ذلك ولايسعني حين
خالفت أهل بيتي في الاحكام والسيرة حتى العنهم واتبرأ منهم .
اخبرانى عن اللعن فرض على العباد قالا نعم فقال عمر متي عهدك
بلعن فرعون قال مالى به من عهد منذ زمان قال عمر هذا رأس
من رؤس الـكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان وأنا لايسعني
أن ألعن من خالفتهم من أهل بيتي الستم انتم الذين تؤمنون من

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفه وتخيفون من كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤمنه فقالا نبرأ الى الله تعالى من هذه الصفة. فقال بلى فسأخبركما عن ذلك ألستما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج والناس أهل كفر فدعاهم ان يقروا بالله ورسوله فمن أبى قاتله وخوفه ومن اقربهما امنه وكف عنه ، وانتم اليوم من مر بكم مقربهما قتلتموه ومن لم يقربهما امنتموه وخليتم سبيله فقال العربي: تالله مارأيت حجيجاً أقرب مأخذاً ولا أوضح منهاجا منك أشهد انك على الحق وأنا على الباطل وقال الآخر: لقد قلت قولا حسناً وما كنت لافتات على أصحابي حتي القاهم فلحق باصحابه وأقام الآخر عند عمر فاجري عليه العطاء والرزق حتي مات عنده

﴿ وفاة عمر بن عبد العزيز ﴾ وذكروا ان عبدالرحمن ابن يزيد اخبرهم قال كتب عمر بن عبدالعزيز الى ابن أبي زكريا: أما بعد فاذا نظرت في كتابي فاقدم فقدم عليه فقال مرحباً بابن أبي زكريا قال وبك يا أمير المؤمنين قال حاجة لى قبلك قال بين الانف والعين حاجتك يا أمير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست اكلفك الا ماتقدر عليه قال نعم قال أحب أن تاتني

على الله بتبلغ علمك حتى اذا فرغت سألت الله أن يقبض عمر
فقال: انا لله وأنا اليه راجعون بئس وافدامة محمد انا هذا لا يحل
لى قال فاني اعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحق ان كان
لى عليك حق الا مافعلته فبكي ثم استرجع ثم أقبل يثنى على الله
وانه ليبكى حتى اذا فرغ قال: اللهم ان عمر سألني بحقك وبحق
رسولك وبحقه على ان أدعو في قبضه اليك فاقبض عمر اليك
كما سأل ولا تبقنى بعده وجاء حينئذ بنى لعمر فسقط فى حجره
فقال وهذا أي ربي معنا فانى أحبه . قال فما كانوا الا كخرزات
فى خيط فانقطع الخيط فاتبع بعضها بالسقوط بعضاً

﴿ ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز ﴾ وذكروا عن
مزاحم مولى عمر قال أخبرتنى فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر
قالت كان لعمر بن العزيز مكان يخلو فيه فأبطأ علي ذات ليلة
فقلت لآتينه فوجدته نائما فهبته أن أيقظه فما لبث الا قليلا
حتى رفع رأسه فقال من هذا فقلت أنا فاطمة فقال يا فاطمة
لقد رأيت رؤيا ما رأيت أحسن منها فقلت حدثنى بها يا أمير
المؤمنين قال : رأيت كأنى في أرض خضراء لم أر أحسن منها
ورأيت في تلك الارض قصراً من زبرجد ورأيت جميع الخلائق

حول ذلك القصر فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فقال
أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي عليه السلام
فدخل القصر فقلت سبحان الله أنا في جمع فيهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فما لبثت الا قليلا حتى خرج
المنادي فنادى أين أبو بكر بن أبي قحافة فقام أبو بكر فدخل
فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن الخطاب
أين الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله أنا في ملأ
فيهم جدي لم أسلم عليه فما لبثت الا يسيراً حتى خرج المنادي
فقال أين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما لبثت الا قليلا
حتى خرج المنادي فنادي أين علي بن أبي طالب فقام فدخل
فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن
عبد العزيز قال فقمت فدخلت فلما صرت في القصر رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله
وعثمان وعلياً أمامه فقلت أين أقعد لا أقعد الا الى جنب
عمر قال فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر
شاباً حسن الوجه حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا
قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام فما لبثت الا قليلا حتى

خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذي نصرني
ربي ثم خرج علي وهو يقول الحمد لله الذي غفر لى ربى ثم
نودي لي أين عمر بن عبد العزيز فقمت فصرت بين يدى ربى
فحاسبني فلقد سألني عن النقير والفتيل والقطمير حتى خفت
ان لا أنجو ثم قمت فخرجت فقيل لي أثبت وتمسك علىما أنت
عليه فبينما أنا سائر فاذا بجيفة قد علا نتنها الخلائق فضربتها
برجلي وقلت لمن معى لمن هذه الجيفة فقيل لى هذا الحجاج
ابن يوسف فضربته برجلى فقلت له مافعل الله بك ياحجاج قال
ياأمير المؤمنين والله لقد قتلت بكل قتيل قتلته قتلة بسيف من نار
ولقد قتلت بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة . فقلت فآخر
أمرك ما هو قال انا هاهنا انتظر ما ينتظر من وحد الله
وآمن برسوله . قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذه الرؤيا الا يسيراً
حتى مرض مرضه الذي مات فيه فدخل عليه مسلمة بن عبد
الملك فقال له يا أمير المؤمنين انك لتترك ولدك عالة على الناس
فاوص بهم الىّ أكفك أمرهم فانك لم تموّلهم شيئاً ولم تعطهم
فقال عمر : يا أبا سعيد ان ولدي لهم الله الذي نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين ثم دعاهم عمر وهم أربعة عشر غلاما فنظر

اليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطي مصر فاغرورقت
عيناه بالدموع . قال لهم : أوصيكم بتقوى الله العظيم وليجلّ صغيركم
كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم . ثم قال لمسلمة يا أبا سعيد انما
ولدي على أحد أمرين إما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله
وإما عامل بمعصيته فلا أحب أن يعينه بالمال قوموا عصمكم الله
ووفقكم . ثم دعا رجاء بن حيوة فخلا به فقال يارجاء ان الموت
قد نزل وأنا أعهد اليك عهداً لا أعهده الى غيرك : اذا أنامت
فكن ممن يقبرني فاذا سويت عليّ اللبن فارفع لبنة ثم اكشف
عن وجهي وانظر اليه فاني قبرت ثلاثة رجال بيدي وكشفت
عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت
من وجوههم ثم اكشف عن وجهي يارجاء وانظر اليه فان
رأيت شيئاً من هذا فاستر عليّ ولا تعلم به أحداً وان رأيت
غير ذلك فاحمد الله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فلما سوينا عليه
اللبن رفعت لبنة وكشفت وجهه فاذا وجهه مثل القمر ليلة البدر
واذا على صدره صك فيه خط ليس من كتابة الآدميين :
بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم
براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الاليم .

﴿ ما علم به موت عمر رحمه الله في الامصار ﴾ وذكروا ان رجلا من أهل المدينة قال وفد قوم من أهل المدينة الى الشام فنزلوا برجل في أوائل الشام موسعاً عليه تروح عليه ابل كثيرة وأبقار وأغنام فنظروا الى شيء لا يعلمونه غير ما يعرفون من غضارة العيش اذ أقبل بعض رعاته فقال ان السبع عدا اليوم على غنمي فذهب منها بشاة فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون ثم جعل يأسف أسفاً شديداً . فقلنا بعضنا لبعض ما عند هذا خير يتأسف ويتوجع من شاة اكلها السبع فكلمه بعض القوم قال له : ان الله تعالى قد وسع عليك فما هذا التوجع والتأسف قال انه ليس مما ترون ولكني أخشى أن يكون عمر ابن عبد العزيز قد توفي الليلة والله ما تعدي السبع على الشاة الا لموته فأثبتوا ذلك اليوم فاذا عمر قد توفى في ذلك اليوم . وذكروا انهم سمعوا رجلا يحدث ويقول بينا رجل باليمن نائم على سطح له ذات ليلة اذ تسوّر عليه كلب فسمعه وهو يقول لهرة له : أي جنة هل من شيء أصيبه فاني والله أكال فقالت له الهرة مام شيء لقد غطوا الاناء وأكفؤا الصحفة فقال لها هل تدنيني من يد صبيّ أو قدر لم تغسل أشمها لترتدّ لي روحي

قالت الهرة ما كنت لاخونهم أماتني فمن أين أقبلت تشكو
الكلال والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز
وحضرت جنازته قالت انا لله وانا اليه راجعون نور كان في
الدنيا فطمس ثم زالت عنه وتنحت وفرت منه وهابته خوفاً
من ان يعدو عليها ثم انسل الكلب ذاهباً فلما أصبح الرجل
جعل يقول للهرة أي جنة جزاك الله عنا خيراً قال فاستوبرت
الهرة وذهبت فلم تر بعد فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر
في ذلك اليوم . وذكروا ان زياد بن عبد الله أخبرهم قال كان
رجل في بعض كور الشام يعالج انذراً له مع زوجته وكان قد
استشهد ابن لهما منذ زمان طويل فنظر الرجل الى فارس
مقبل نحوهما فقال الرجل لزوجته يافلانة هذا والله ابني وابنك
مقبل فنظرت المرأة فقالت : أخدعك الشيطان انك مفتون
بابنك وابنك تشبه به الناس كلهم كيف يكون ابنك وابنك
استشهد منذ حين فاستعاذ الرجل بالله من الشيطان الرجيم
ثم أقبل على أندره يعالجه ودنا منهما الفارس ثم نظر ثانية قال
يافلانة ابني والله وابنك فنظرت ودنى منهما الفارس فلما وقف
عليهما فاذا هو ابنهما قال فسلم عليهما وسلما عليه فقالا له يابني

أما كنت استشهدت منذ حين قال نعم الا ان عمر بن عبد العزيز توفي الليلة فاستأذن الشهداء ربهم عز وجل في شهود جنازته فاذن لهم وكنت فيهم فاستأذنت ربي في زيارتكما والنظر فاذن لي ثم ودعاه وسلما عليه ودعا لهم ثم ذهب ٭

﴿ ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾ وذكروا ان الامر صار بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان أخيه اليه بذلك والى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوبا في قريش بجميل مأخذه في نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لايشكّون اذا صار اليه الامر أن يسير بسيرة عمر لما ظهر منه . فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد أخيه واحتذي على مثاله وأخذ مأخذه حتى كأن الوليد لم يمت فعظم ذلك على الناس وصاروا من ذلك الى أحوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعه وجاءهم بذلك قوم من أشراف قريش وخيار بني أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى هدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفار والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بامره والقنوع بقصده عليهم وتقصيره في ادراك المطامع والعطايا عليهم وأتيهم منهم نفر بالخلع والخروج

فأخذهم عمه محمد بن مروان بن الحكم فاسكنهم السجن عشرين شهراً ثم دس لهم السم فماتوا جميعاً وأقصى من سائر قريش ثلاثين رجلا بعد ان اغرمهم مائة الف الف رباع عقر أموالهم ورباعهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى أصارهم عالة يتكففون الناس متفرقين في كور الشام وآفاق البلاد وصلب من الناس جملة ممن الف هؤلاء القوم واتهم بمصانعتهم ومصحابتهم وكانت ولايته في ربيع الاول سنة احدى ومائة ومات سنة ست ومائة

﴿ ولاية هشام بن عبد الملك ﴾ وذكروا ان عبد الملك ابن مروان بينما هو يوما في بعض بوادي الشام يتطوف اذ نظر الى ساع يسعى اليه فوقف منتظراً له فلما قاربه قال له ماوراءك فقال ولدت المخزومية (١) غلاما قال فما سمته قال هشاماً قال هشم الله رأسها فقال له قبيصة بن ذؤيب ولم يا أمير المؤمنين قال اخبرني أبي مروان انه سمع بشرة بنت صفوان تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : راحة أصحابي معاوية ولا راحة لهم بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام . وذكروا ان هشاما صارت اليه الخلافة في سنة ست

---

(١) هي عائشة أم هشام ابنة اسماعيل بن هشام المخزومي

ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه في دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج ولم يقم عليه قائم الا ما كان من قيام زيد بن علي بن الحسين في بعض نواحي الكوفة فبعث اليه ابن هبيرة وكان عامل الكوفة فأخذ زيد فأتى به ابن هبيرة فأمر بقتله دون رأي هشام فلما بلغ ذلك هشاماً عظم عليه قتله وأعظم فعل ابن هبيرة واجترائه على قتل قرشي دون مشورة حتى جعل يقول: مثل زيد بن علي في شرفه وفضله يقتله ابن هبيرة وما كان عليه من قيامه ان هذا لهو البلاء المبين ما يزال ابن هبيرة مبغضا لاهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لا زلت لهم محبا حتى أموت ثم عزل ابن هبيرة عن الكوفة وأغرمه الف الف ولم يل له شيئاً حتى مات وكانت أيام هشام عشرين سنة ولي سنة ست ومائة وتوفي سنة ست وعشرين ومائة بعد ان حج احدى عشرة حجة وهو خليفة

﴿ قدوم خالد بن صفوان بن الاهتم علي هشام ﴾ وذكروا ان شبيب بن شيبة أخبرهم عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال أوفدني يوسف بن عمر الى هشام في وفد العراق فقدمت

عليه وقد خرج متبدبا في قرابته وأهله وحشمه وحاشيته من أهله الى بعض بوادي الرصافة فنزل في أرض قاع صحصح أفيح في عام قد بكر وَسْمِيّه وقد البست الارض أنواع زهرتها وأخرجت الوان زينتها من نَوْر ربيعها فهي في أحسن منظر وأجمل مخبر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور فلو ان قطعة دينار القيت فيه لم تترب وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالفضة والذهب وضرب له فسطاطه في وسطه فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة خز أحمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده أشراف قريش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم أمر الربيع حاجبه فاذن للناس أذنا عاما فدخلوا عليه وأخذ الناس مجالسهم قال خالد فادخلت رأسي من ناحية السماط فاطرق ثم رفع رأسه ونظر الى شبه المستنكر وكنت قد حليت عنده ببلاغة وفهم وحكمة فقلت أقرّ الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وكرامته وسوّغك شكره يا أمير المؤمنين ومدّلك في المزيد فيها بفضله ثم وصلها بعد بطول العمر وتتابع الكرامة الباقية التي لا انقطاع لها ولا نفاد لشيء منها حتى

يكون آجل ذلك خيراً من عاجله وآخره أفضل من أوله وعاقبته
خيراً من ابتدائه وجعل ماقلدك من هذا الامر رشداً وعاقبته
تؤول الى أحمد ودرك الرضا وأخلص لك ذلك بالتقوى وكثره
لك بالنماء ولا كدر عليك منك ماصفا ولا خالط سروره اذى ،
فقد أصبحت للمسلمين ثقة وستراً يفزعون اليك في أمورهم
ويقصدونك في حوائجهم وما أجد يا أمير المؤمنين جعلني الله
فداك شيئاً أبلغ في حقك وتوفير مجلسك اذ منّ الله عليّ
بمجالستك والنظر الى وجهك مني وما أجد فيما أظهر ذلك الا
في مذاكرتك نعم الله التي أنعم بها عليك وأحسن فيها اليك
ونبهك الى شكرها . ثم اني لا أجد شيئاً هو أبلغ في ذلك
ولا أجمع من ذكر حديث لملك خلا من الملوك كان في سالف
لامم فان أذن أمير المؤمنين أكرمه الله حدثته قال وكان
هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال هات يا ابن الاهتم . قال :
قلت يا أمير المؤمنين إن ملكاً كان فيما خلا مجتمعاً له فيها فتاء
السن واعتدال الطبائع وتمام الجمال وكثرة المال وتمكين الملك،
وكان له ذلك الى البطر والمرح داعياً ، وعلى الغفلة والذهول معينا
فخرج متنزها الى بعض منازله فصعد جوسقا له فاشرف على

أرض قد أخضلها ربيع عامه كان شبهها بعامك هـذا يا أمير المؤمنين في خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره، فنظر فرجع اليه بصره كليلا عن بلوغ أقصى أمواله من الضياع والابل والخيل والنعم فقال انذر من ناديه لمن هذا قيل له لك فأعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى أظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه أم هل أوتي أحد مثل ما أوتيت . وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضى على أدب الحق ومنهاج الصدق في الضمير والمقالة . وقد قيل ان الله الجليل لم يخل الارض منذ أهبط آدم من قائم يقوم بحجة الله فيها وكان ذلك الرجل ممن يسامره قال : أيها الملك قد سألت عن أمر أفتأذن لي بالجواب فيه قال نعم قال: أرأيتك هذا الذي أعجبك مما عليه أطلع نظرك واستطال ملكك وسلطانك أشيء لم يزل لك ولم يزل عنك أم شيء كان لغيرك فزال عنه اليك ثم هو صائر الى غيرك كما صار اليك؟ قال: الملك بل كما ظننت ومثلت قال: فاني أراك أعجبت بما يفني وزهدت فيما يبقى وسررت بقليل وحسابه غداً طويل قال ويحك فكيف المطاب وأين المهرب وما الحيلة في المخرج قال احدى خصلتين إما ان تقيم

في ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ما سرك وساءك وأمضك
وإما ان تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتلحق في الخلاء
بمن ينفر لك فتعبد فيه ربك حتى يوافيك أجلك وتنقضي مدتك
وأنت عامل لربك فيما يعطيك قال فاذا فعلت ذلك فمالي فقال
ملك خالد لا يفنى ونعيم لا ينقضي ومزيد وكرامة وصحة لا تسقم
أبداً وسرور لا ينصرم وشباب لا يشوبه هرم وقرار لا يخالطه
همّ . قال الملك سأنظر الى نفسي في الاختيار لها مما ذكرت لي
فاذا كان وقت السحر فاقرع عليّ بابي اتعرف رأيي فاني مختار
احدى المنزلتين فان أقمت في ملكي واخترت ما أنا فيه كنت
وزيراً لا تعصى وان خلوت كنت رفيقاً لا تجفى فلما كان السحر
قرع عليه بابه فاذا هو قد وضع تاجه ولبس إطماره فلحقا بالجبل
فلم يزالا يعبدان الله فيه حتى بلغ أجلهما وانقضى عمرها . فبكى
هشام حتى بلّ لحيته ثم نكس رأسه طويلا ثم أمر بنزع ابنيته
وانتقاله وأقبلت العامة من الموالي على ابن الاهتم فقالوا له
ما أردت لامير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه شهوته
وقد حرمتنا ما أملنا فيه . قال اليكم عني فاني عاهدت الله ربي
اني لا أخلو بملك الا ذكرته الله ونبهته ورشدته . ثم رجع خالد

الى فسطاطه كئيباً حزيناً متخوفاً يظن ان قد هلك وكان للربيع صديقاً فبينما هو كذلك اذ أتاه رسول الربيع فقال ياصفوان يقول لك أخوك الربيع : من كان في حاجة الله كان الله في حاجته ۰ انك لما وليت من عند أمير المؤمنين جعل يقول لله در ابن الاهتم أي رجل دنيا وأخرى مره ياربيع فليرفع حوائجه وليغد الينا بها نقضها له فقال الربيع فاغد علينا بحوائجك رحمك الله واحمده على ماصنع واذهب من مخافتك ۰ فغدا عليه بحوائجه فقضيت ۰ وذكروا انه لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا أعلا صوتاً منه دانت له البلاد وملك جميع العباد وأديت اليه الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والسند والهند وكان قريباً من الضعفاء مهتما باصلاح الادواء لم يجترئ أحد معه على ظلامة ولم يسلك أحد معه الا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة أفيح من الارض يبرز فيه فتضرب له به السرادقات فيكون فيه ستين ليلة بارزا للناس مباحا للخلق لا يفني أيامه تلك الا برد المظالم والاخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد ويصل الى مخاطبته بذلك الموضع داعي السوام والامة السوداء فمن

دونهما. قدوكل رجالا أدباء عقلاء بإدناء الضعفاء والنساء واليتامى منه وأمرهم باقصاء أهل القوة والكفاية عنه حتى يأتي على آخر مايكون من أمره فيما يرفع اليه لا ينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا أوضع منه الا أدنوا الا وضع وأبعدوا الارفع حتى ينظر في شأنه ويعرف أمره وينفذ فيه ما أمر ولا يرفع اليه ضعيف ولا امرأة أمراً وظلامة على غطريف من الناس مرتفع القدر ولا مستخدم به الا أمر باقتضاء يمينه واعداء بمطلبه لا يقبل لهم حجة ولا يسمع لهم من بينة حتى لربما تمر به المرأة والرجل أو عابر سبيل لا حاجة له فيما مر به فيقال له ما حاجتك وما قصتك وما ظلامتك فيقول انما سلكت أريد موضع كذا أروم بلد كذا فيقول له لعلك ظلمك أحد من آل الخليفة تهاب أمره وتتوقع سطوته فذلك الذي منعك عن رفع ظلامتك الى أمير المؤمنين فيقول لا والله لا أبغي الا ما قلت فيقال له اذهب بسلام . حتى لربما أتت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لا ينظر في شيء ولا يأتيه أحد في خصومة لاستغناء الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ووقاية من سطواته وتخوفاً من عقوبته وقد وسع العباد أمنه وأشعرهم عدله وصارت البلاد

المتنائية الشاسعة كدار واحدة ترجع الى حاكم قاضي يرقبه الناس
في المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون
والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد في سائر الامصار
والبلدان يحصون أقوال الولاة والعمال ويحفظون أعمال الاخيار
والاشرار قد صار هؤلاء اعقابا يتعاقبون ينهض قوم باخبار
ما بلوا في المصر الذي كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين
ويخرجون متفرقين لا يعلم منهم واحد ولا يرى لهم عابر فلا
خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الارض ولا مغربها
الا وهو يتحدث به في الشام وينظر فيه هشام، وقد أقصر نفسه
على هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال، فكانت أيامه عند
الناس أحمد أيام مرت بهم وأعفاها وأرجاها قد لبس جلباب
الهيبة على أهل العتود والكيود وارتدى برداء التواضع الى
أهل الخشوع والسكون . وكان قد حبب اليه التكاثر من الدنيا
والاستمتاع بالكساء لم يلبس ثوباً قط يوما فعاد اليه حتى لقد
كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يستقل بها ولا يحملها الا
سبعمائة بعير من أجلد ما يكون من الابل وأعظم ما يحمل عليه
من الجمال وكان مع ذلك يتقللها وطالت أيامه واستبطأ صاحب

العهد بموته فناوأه وعاداه وانتقل عن الموضع الذي كان به هو
والوليد بن يزيد بن عبد الملك فمات هشام والوليد غائب فاتاه موته
فأمر بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام ما يكفنونه به واستؤذن الوليد
في اقباله فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد وذلك في ثلاثة أيام

﴿ بدء الفتن والدولة العباسية ﴾ وذكروا ان الهيثم بن
عدى أخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا وروينا
ذكر الدولة فحملنا عنهم ما اختلفوا فيه وألفناه . فكان أول ما
اختلفت فيه الرواية ولم تلائمه الحكاية أشياء سنذكرها في
موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله واقتصرنا على معانيها
وقيدنا بعض الفاظها لطول أخبارها واجتنبنا الجزل السمين
من اللفظ ورددنا هزيله انزر فائدته وقلة عائدته وقد اختصرنا
واشبعنا اذلم نترك من المعاني المتقدمة شيئاً والله الموفق للصواب .
فكان مما الفنا بدءاً من ذكر الدولة ما اخبرنا عن الهيثم بن عدي
عن الرجال الذين حدثوه قالوا : لما سلم الحسن بن على الامر الى
معاوية بن أبي سفيان قامت الشيعة من أهل المدينة وأهل مكة
وأهل الكوفة واليمن وأهل البصرة وأرض خراسان في ستر
وكتمان فاجتمعوا الى محمد بن على وهو محمد بن الحنفية فبايعوه

على طلب الخلافة ان أمكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهدته فقبلها وولي علي شيعة كل بلد رجلا منهم وأمره باستدعاء من قبله منهم في سرّ وتوصية اليهم ألا يبوحوا بمكتومهم الا لمن يوثق به حتى يرى للقيام موضعاً. فأقام محمد ابن الحنفية إمام الشيعة قابضاً لزكاتهم حتى مات . فلما حضرته الوفاة ولي عبد الله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة ان وجد الى ذلك سبيلا وأعلم الشيعة بتوليته اياه فأقام عبد الله ابن محمد بن علي وهو أمير الشيعة فبلغ ذلك سليمان بن عبدالملك في أول خلافته ان الشيعة قد بايعت عبد الله بن محمد بن علي بعد أبيه فبعث اليه وقد أعد له في أفواه الطرق رجالا معهم أشربة مسمومة وأمرهم اذا خرج من عنده أن يعرضوا عليه الشراب. فلما دخل على سليمان أجلسه الى جانبه ثم قال له بلغني أن الشيعة بايعتك على هذا الامر فجحده عبدالله وقال: بلغك الباطل وما زال لنا أعداء يبلغون الائمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغروهم بنا فيدفع الله عنا كيد من ناوأنا وأنا بما يلزمني من مؤنتي أشغل مني بطلب هذا الامر ثم خرج من عنده في

وقت شديد الحر . فكان لا يمر بموضع الا قام اليه الرجل بعد الرجل يقول له هل لك في شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يا ابن بنت رسول الله ونفسه موجسة منهم فيقول بارك الله لكم حتى اذا خرج الى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه وبيده عسّ فقال له هل لك في شربة من لبن يا ابن بنت رسول الله فوقع في نفسه أن اللبن مما لا يسم فشرب منه ثم مضى فلم ينشب ان وجد لاسم حساً فاستدل على الطريق الى الحميمة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت ففي أهلي ثم توجه فنزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فأخبره الخبر وقال له اليك الامر والطلب للخلافة بعدي فولاه وأشهد له من الشيعة رجالا ثم مات . فأقام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ودعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولي محمد بن ابراهيم الامر فأقام وهو أمير الشيعة وصاحب الدعوة بعد أبيه .

﴿ دخول محمد بن عليّ على هشام ﴾ وذكروا أن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشي بصره على هشام بن عبد الملك متوكئاً على ولديه أبي العباس

وأبي جعفر فسلم ثم قال له هشام ما حاجتك ولم يأذن له في الجلوس فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه . فقال له هشام ما هذا الذي بلغني عنكم يا بني العباس ثم يأتي أحدكم وهو يرى أنه أحق بما في أيدينا منا والله لا أعطيتك شيئاً . فخرج محمد بن علي فقال هشام كالمستهزئ : ان هذا الشيخ ليري أن هذا الامر سيكون لولديه هذين أو لاحدهما فرجع محمد نحوه فقال : أما والله اني أرى ذلك على رغم من رغم . فضحك هشام وقال أغضبنا الشيخ ثم مضى محمد بن علي (١)

﴿ ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة ﴾ وذكروا أن الوليد بن يزيد لما تولى الامر بعد هشام أساء السيرة وانتحي على أهله وجماعة قريش وأحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح الحريم وكانت ولايته في سنة ست وعشرين ومائة فلما استولى على الامر بعث الى أشراف الاجناد فقدموا عليه

---

(١) ويروى : ان عليا أبو محمد ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب فسماه أبوه عليا وقال سميته باسم أحب الناس الي وكناه أبا الحسن . فلما قدم على عبد الملك أكرمه وأجلسه على سريره معه فسأله عن كنيته فأخبره فقال لا يجتمع في عسكري هذا الاسم والكنية

وقدم خالد فيمن قدم فلم يأذن لواحد منهم وكان مشتغلا بلهوه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له في الانصراف فأذن له فانصرف الى دمشق فأقام بها شهراً . ثم كتب اليه الوليد ان أمير المؤمنين قد علم الخمسين الف الف التي تعلم فاقدم بها على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره ان لا يمهلك عن جهازك فبعث خالد الي عدة من ثقاته فيهم عمارة بن أبي كلثوم فاقرأهم كتاب الوليد وقال أشيروا عليّ برأيكم . فقالوا ان الوليد ليس بمأمون فالرأي ان تدخل مدينة دمشق فتأخذ بيوت الاموال وتدعو الي من أحببت والناس قومك وان يختلف منا عليك اثنان فقال لهم وماذا قالوا اتأخذ بيوت الاموال وتجمع اليك قومك حتى تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا نتوارى . فقال اما قولكم ان ادعو الى من أحببت فاني أكره ان تكون الفرقة على يدي وأما قولكم ان آخذ بيوت الاموال حتى أتوثق لنفسي فأنتم لا تأمنوني عليها ولا ذنب لي فكيف لي ترجون وفاة عما يعطيني وقد فعلت مافعلت وأما قولكم في التواري فوالله ماقنعت رأسي خوفا من أحد قط فالآن وقد بلغت من السن مابلغت ولكني امضي واستعين بالله تعالى .

﴿قتل خالد بن عبد الله القسري﴾ وذكروا ان خالد بن عبد الله القسري شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يختلف اليه غدوة وعشية حتى قدم برأس يحيي بن زيد بن على بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن فحضر الاشراف وجلس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالي كما ترى لاأقدر على المشي وانما احمل في الكرسي قال الحاجب مايدخل أحد على أمير المؤمنين على هذه الحال ثم أذن له فحمل على كرسيه ثم دخل علي الوليد وهو جالس في سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد اين ولدك يزيد بن خالد فقال قد أصابه من هشام ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكنا نراه عند أمير المؤمنين حتي استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للفتنة فقال خالد قد علم أمير المؤمنين انا أهل بيت طاعة انا وأبي وجدي فقال له الوليد لتأتيني بابنك أولازهقن نفسك فقال له خالد: هـذا الذي تدور عليه وهو الذي تريد والله لو كان ابني تحت قدمي مارفعتهما لك فاصنع مابدالك . فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له

اسمعنى صوته فذهب به غيلان الى رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم بكلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لاأعذب انسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحتبسه ففعل فقام يوسف بن عمر فقال أنا أشتريه بخمسين الف الف فارسل الوليد الى خالد ان يوسف بن عمر قد سأل ان يشتريك بخمسين الف الف فان ضمنتها لامير المؤمنين والا دفعتك اليه . قال خالد ماعهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه وألبسه عباءة وألحفه أخرى وحمله على محمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتى اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المضرسة على صدره فقتله في الليل فدفن في الحيرة وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة .

﴿ وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله ﴾

وذكروا ان يزيد بن خالد دبّ في أهله وتحمل في عشائره فاجتمع أمرهم على الوليد بن يزيد فبينماهم يديرون أمرهم اذ انطلق ساع الى الوليد قال له أدلك على يزيد بن خالد قال نعم فبعث الوليد مولى له وأمره ان يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى دمشق ليلا ويزيد مختف بدمشق في منزل رجل عنده

باب السوق فاقتحم عليه المنزل فأخذه وشخص به من ساعته حتى
قدم على الوليد فأمر بالبعث به الى يوسف بن عمر بالعراق
قال له يزيد يا أمير المؤمنين أنا أدفع لك الخمسين الف الف التي
طلبت من خالد في ثلاث سنين على أن تكتب الى الآفاق بامان
من كانت لي عنده وديعة وأمان فيها ذمتي وموالي فقبل منه
الوليد ذلك فأمر بالكتب الى العراق والحجاز وكور الشام في
ذلك واحتبس يزيد عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل
الوليد ومعه خدمته وشرطته وتواعد أهل اليمن أن يثوروا
اذا صلوا العتمة في المسجد وكانت العلامة بينهم ان يلتمس أحدهم
صاحبه . فلما تفرق أهل المسجد خرجوا فاستخرجوا يزيد بن الوليد
من منزله ثم أتوا به القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بني
الحجاج وكان قد خرج من الطاعون واستخلف رجلا من
قيس فدخلوا عليه فأوثقوه كتافاً وأوثقوا كل من خافوا خلافه
فتسلل رجل حتى أتى الوليد بن يزيد فأخبره الخبر فلما أصبحوا
غدوا الى الوليد فبعث الوليد في طلب يزيد بن خالد وهو عنده
في الحديد فقال له ان قومك قد خرجوا بين يدي الوليد فارددهم
عن أمير المؤمنين ولك الله ان أوليك العراق وأدفع اليك

يوسف فتقاتله بابيك فقال له يزيد بن خالد وتوثقني يا أمير المؤمنين قال نعم فتوثق له وحلف قال فارسلني اليهم حتى أردهم عنك فقال له الوليد بل اكتب اليهم قال ان كتابي لا يغني شيئاً وقد علموا اني في يديك واني ساكتب بما تريد فأمر باطلاقه من الحديد ورده الى حبسه وأمر الحرس يحفظون به ثم ارتحل الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته أوائل الخيل خيل أهل اليمن فأرسل الوليد الى يزيد بن خالد فقال له يزيد خل عنى حتى أردهم عنك فبينما هم على ذلك اذ التقى القوم فشدت الميمنة وقد طلعت الشمس واختلط الناس وكثر القتل وتخلص يزيد بن خالد من الحرس فهرب فأتوه ببرذون من براذين الوليد وأتى بسيف فتقلده ثم نادى مناديه من جاء برأس الوليد فله مائة ألف دينار ونودى فى العسكر من دخل رحله فهو آمن . فنادى الوليد يا أهل الشام ألم أحسن اليكم ألم أفعل كذا فعدد احسانه . فقال عبد السلام بلى قد فعلت ولكنك عمدت الى شيخنا وسيدنا خالد بن عبد الله قد عزله الخليفة قبلك وأخذ أمواله ثم خلى عنه فدفعته الى يوسف ابن عمر بالبيع فاذرعه ثم حمله على محمل بلا وطاء ثم انطلق به

فعذبه حتى قتل شر قتل يكون فقال لهم الوليد فاخلعوني في
قميصي هذا وولوا من شئتم فانصرفوا الى قومهم فأعلموهم بما
رضي من الخلع فقالوا لا الا رأسه فتدلى القوم الى القصر
وانتهى يزيد بن خالد الى الباب وعليه سلسلة فأمر بها فكسرت
وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتاً من بيوت
القصر ودخل عليه نحو من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده
السيف منكسا رأسه لا ينظر اليهم وهو يذب عن نفسه فضربه
رجل ضربة ثم صرعه ثم اكب عليه فاحتز رأسه فخرج به
وانصرف الناس الى دمشق . فبايع الناس ليزيد بن الوليد بن
عبد الملك وذلك في ذي الحجة من سبع وعشرين ومائة فكان
خليفة ستة أشهر ثم مات في جمادي الاولى ثم ولي ابراهيم بن الوليد
فبويع له في جمادى الاولى فمكث ثلاثة أشهر ثم خلع وهرب

﴿ ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ﴾ وذكروا
انه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد في صفر
سنة سبع وعشرين ومائة ومعه أهل الجزيرة وأهل حمص
فدعا الى نفسه بالبيعة ووعد الناس خيراً فرضي به أكثر الناس
لشجاعة كانت فيه وسخاء يوصف به فملك الشام واستقل له

الامر وغلظ شأنه واستعلى سلطانه وبايع له أهل العراق والحجاز وهابه الناس وخافوه واستعمل العمال في الآفاق والامصار وكانت الشيعة تتكاتب على الكتمان لذلك وتتلاقى على السر قال فلما كانت سنة ثمان اجتمعت الشيعة

﴿خروج أبي مسلم الخراساني﴾ وذكروا ان الشيعة لما اجتمعت وغلظ أمرهم بخراسان قدم منهم . سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب فلقوا ابراهيم بمكة فقالوا قد قدمنا بمال قال وكم هو قالوا عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم وبمسك ومتاع قال ادفعوه الى عروة مولى محمد بن علي ففعلوا فكان يحيي بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ماقصتكم وفي أي شيء جئتم فلا يخبروه فذكروا ذلك لابراهيم فقال احذروه فانه قليل العقل ضعيف الرأي . فجاء الى ابراهيم فقال له ان علي ديناً وبالله لئن لم تعطني قضاء ديني لارفعن أمرك الى عبد العزيز بن عمر وهم يومئذ على الموسم فاعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بأبي مسلم معهم وقد خرج أصحابه من السجن فاعلموا ابراهيم انه مولاه فقال لسليمان قد ربي أمركم فأنت علي الناس فاخرج الي خراسان وقد كان أبو مسلم قدم علي ابراهيم قبل ان ينصرف أصحابه فرأي عقله

وظرفه • فكتب الى أصحابه اني قد أمرته على خراسان وماغلب
عليها فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فاعلمهم
أبو مسلم انهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد أجمع رأيه
على هذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال لابي مسلم ياأبا عبدالرحمن
انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي : انظر هذا الحيّ
من اليمن فاكرمهم فان الله لايتم هذا الامر الا بهم وانظر
هذا الحي من ربيعة فانهم معهم وانظر هذا الحي من مضر
فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن
وقع في نفسك منه تهمة • فقال أيها الامام فان وقع في أنفسنا
من رجل هو على غير ذلك أحبسه حتى تستبينه قال لا السيف
السيف لاتتقى العدو بطرف • ثم قال للشيعة من أطاعني فليطع
هذا يعني أبا مسلم ومن عصاه فقد عصاني ثم قال له : ان
استطعت ان لاتدع بخراسان أرضا فيها عربي فافعل وايما
غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله ولاتخالف هذا الشيخ يعني
سليمان بن كثير ولا تعصه فشخصوا الى خراسان ووقعت
العصبية بخراسان بين نصر بن سيار كان عامل مروان عليها
وبين الكرماني • فدخل علي نصر بن سيار رجل فقال له

ان مروان بن محمد قد خالف ماظن به الناس وقد كان رجي وأمل وما أرى أمره الا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت بن نعيم ورأي الاشتغال بالذاته أهم عليه فلو اجتمعت كلمتك مع الكرماني فاني خائف ان يوقعك هذا الخلاف فيما نكره وأنت شيخ العرب وسيدها وأري والله في هذه الكور شيئاً واسمع أموراً أخاف أن تذهب أو تذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما أتهم عقلك ولا نصيحتك ولكن اكفف عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجلين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع في الكور الالف والالفان فيجتمعون في المساجد ويتعلمون اي يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتم لذلك وخاف إن وجه اليهم من يقاتلهم ان يجاوزوا الى الكرماني فلما استفحل أمر القوم وقام بامرهم أبو مسلم الخراساني ثم اجتمعوا وأظهروا أمرهم . فكتب نصر بن سيار الي مروان بن محمد:

أري خلل الرّماد وميض نار * ويوشك أن يكون لها ضرامُ
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ امية أم نيام

فان كانوا لحينهم نياماً * فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولي * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه مروان : ان الشاهد يري مالا يرى الغائب فقال نصر لما قرأ الكتاب : أما صاحبكم فقد أعلمكم ان لا نصر عنده وجعل أبو مسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسل مروا بها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم ويأخذون كتبكم فاذا رأوا فيها اني رأيت المضرية لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم فاني أرجو أن يريك الله في اليمانية ما تحب ويرسل رسولا آخر بمثل ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرية فكان الفريقان جميعاً معه . وجعل يكتب الى نصر بن سيار والي الكرماني : ان الامام قد أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم فجعل نصر يقول : ياعباد الله هذه والله الذلة رجل بين أظهرنا يكتب الينا بمثل هذا لا نقدر له على ضُرّ ولا نفع فلما تبين القوم ان لا نصير لهم كتب أبو مسلم الى أصحابه في الكور أن اظهروا أمركم فكان أول الناس من سود أسيد بن عبد الله فنادي يامحمد يامنصور فسود معه العكي ومقاتل بن حكم وعمر بن غزوان وأقبل أبو مسلم حتى نزل الخندقين فهابه الفريقان جميعاً فقال

لست أعرض لواحد منكم انما ندعوا الي آل محمد فمن تبعنا فهو منا ومن عصانا فالله حسيبه . فلما جعل أصحابه يكثرون عنده وهو يطمع الفريقين جميعاً في نفسه كتب نصر بن سيار الي مروان بن محمد يذكر استعلاء أمر أبي مسلم ويعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وانه قد خاف أن يستولى على خراسان وانه يدعو الى ابراهيم بن محمد فاتى مروان الكتاب وقد أتاه رسول أبي مسلم بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لابي مسلم حين ظفر بالرجلين الا يدع بخراسان عربياً الا قتله فانطلق الرسول بالكتاب الى مروان فوضعه في يده . فكتب مروان الى الوليد بن معاوية وهو على دمشق : ان اكتب الى عاملك بالبلقاء فليأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجه به الىّ فأتي اليه وهو جالس في مسجد القرية فأخذ الى دمشق ودخل على مروان فأنبه وشتمه فاشتد لسان ابراهيم عليه ثم قال ياأمير المؤمنين ماأظن مايروي الناس عنك الا حقا في بعض بني هاشم فقال : ادركك الله بأعمالك اذهب به فان الله لا ياخذ عبداً عند أول ذنب اذهب به الي السجن . فقال أبو عبيدة فكنت آتيه في السجن ومعه

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فوالله اني ذات ليلة في سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا مولي لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلا من موالي مروان من الاعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا واصبحنا فاذا عبد الله بن عمر وابراهيم بن محمد ميتان فانكسر لذلك أبو مسلم بخراسان اذ بلغه موت ابراهيم وانكسرت الشيعة واستعلى أمر الكرماني فلما رأى أبو مسلم ذلك قال له انا معك ثم دارت الاحوال بين نصر والكرماني حتى غدر نصر بالكرماني فقتله وصلبه فخاف نصر على نفسه من أبي مسلم

﴿ ذكر ما أمال أصحاب الكرماني الى أبي مسلم ﴾

وذكروا ان أبا مسلم كتب الي نصر: انه قد جاءنا من الامام كتاب فهلم بعرضه عليك فان فيه بعض ما تحب فدخل عليه رجل فقال: ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين. فقال نصر أدخل فالبس ثيابي فدخل بستانا له وقد تقدم الى صاحب دوابه فأتاه بدواب فركب وهرب معه داود ابن أبي داود وهرب معه بنوه وتفرق أصحابه وجاء القوم الى أبي مسلم فاعلموه انه قد خرج ولا يدرون أين توجه

فاستولى أبو مسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه أبا
عون في ثلاثين الفا الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتى
أتى حرّان فتحمل بعياله وبناته وأهله وقد كان يتعصب قبل
بخفا أهل اليمن وأهل الشام وغيرهم وقتل ثابت بن نعيم والسمط
ابن ثابت وهدم مدائن الشام وتحول الى الجزيرة . قال اسماعيل
ابن عبد الله القسري : دعاني مروان فقال يا أبا هاشم وما كان
يكنيني قبلها قد ترى ما حل من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ
بعد بؤس ما الرأي فقلت يا أمير المؤمنين على ما أجمعت قال على ان
أرتحل بموالي وعيالي وأموالي ومن تبعني من الناس حتى أقطع
الدرب ثم أميل الى مدينة من مدائن الروم فانزلها وأكاتب
صاحب الروم واستوثق منه فما يزال يأتيني الخائف والهارب
حتى يلتف أمري قال اسماعيل : وذلك والله الرأي فلما رأيت
ما أجمع عليه ورأيت سوء آثاره في قومي وبلائه القبيح عندهم قلت
له أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي ان تحكم فيك أهل
الشرك وفي بناتك وحرمك وهم الروم لا وفاء لهم ولا تدري
ما تأتي به الايام فان أنت حدث عليك حادث بالروم ولا
يحدث الاخير ضاع أهلك من بعدك ولكن اقطع الفرات

ثم استدعي الشام جنداً جنداً فانك في كنف وجماعة وعزة
ولك في كل جند صارم يسيرون معك حتى تأتي مصر فانها
أكثر أرض الله مالا ورجالا ثم الشام امامك وافريقية خلفك
فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى
مضيت الى افريقية قال صدقت ثم استخار الله وقطع الفرات
فمر بكور من كور الشام فوثبوا عليه فاخذوا مؤخر عسكره
فانتهبوه ثم مر بحمص فصنعوا له مثل ذلك ثم مر باهل دمشق
فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان
على دمشق ثم مضي الي الاردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر
بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضي الي مصر فاتبعه الحجاج بن
زمل السكسكي فقيل له أتتبعه وقد عرفت بغضه لقومك فقال
ويحكم انه اكرمني لمثل هذا اليوم لآخذله وتبعه أيضاً أبو سلمة
الخلال وثعلبة بن سلامة وكان عامله على الاردن وتبعه أيضاً
الرماحس فقال اني لاسير مع مروان حيث جزنا فلسطين فقال
يارماحس انفرجت عني قيس انفراج الرأس ماتبعني منهم أحد
وذلك انا وضعنا الامر في غير موضعه وأخرجناه من قوم
ايدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله ما رأينا لهم وفاء ولا شكراً .

﴿ تولية أبي مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدي أخبرهم عن رجال أدركوا الدولة وصحبوا أهلها قالوا: لما استولى أبو مسلم على خراسان وولى قحطبة الطائي قتال مروان بن محمد وبعث معه ثلاثين الفا من رجال اليمن وأهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو يريد أبا مسلم بخراسان ومعه مائة الف فارس سوى أصحاب الحمولة فهرب من بين يديه أبو العباس وأبو جعفر وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث أبو العباس الى أبي سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان وكان واليا لابراهيم بن محمد على الشيعة بالكوفة فامره ان بلغه أمر فيه قوة لابي مسلم بخراسان ان يظهر أمره بالكوفة ويدعو اليه ويناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك أبو سلمة فلما غلظ أمر أبي مسلم بخراسان واستولى عليها وبعث الجيوش الى مروان أظهر أمره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هاربا.

﴿ ذكر البيعة لابي العباس بالكوفة ﴾ وذكروا ان أبا مسلم لما بلغه ان أبا سلمة قد أظهر أمره بالكوفة ودعا الى محمد وجه رجلا من قواده الى الكوفة في الفي فارس وأمره

ان يسرع السير حتى يأتيها فاقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة فلقي غلاماً اسود لابي العباس فقال له أين مولاك قال هو في دارها هنا قال دلني عليه فدله على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان أبو سلمة يريد صرف الخلافة الى ولد علي بن أبي طالب وكان ينهى أبا العباس عن الخروج ويقول له ان الامر لم يتم وان موالي بني أمية قائمون بالحرب والامر أشد مما كان فقال أبو العباس ان أبا سلمة منعني عن الخروج حتى يولى العمال ويعمل الخراج فقال القائد لعن الله أبا سلمة والله لا اجلس حتى تخرج الى الناس فخرج له مع رجاله الى المسجد ونودي الصلاة جامعة فصعد أبو العباس المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بني أمية وسوء آثارهم وذكر العدل فحض عليه ووعد الناس خيراً ورجالهم الاصلاح وقسمة الفيء على وجهه ثم دخل دار الامارة وجلس الناس فلما بلغ أبا سلمة خروجه أتاه يعتذر فقبل منه وأراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم أبو العباس الذي أراده أبو سلمة من صرفه الخلافة الى ولد على بن أبي طالب .

﴿ حرب مروان بن محمد وقتله ﴾ وذكروا ان قحطبة

ابن شبيب لما انتهى الى بعض كور الشام التقى بمروان فقاتله
فانهزم مروان فاقحم قحطبة في طلب مروان فرسه في الفرات
فحمله الماء فمات فيه وقد أصاب أهل عسكر قحطبة من أموال
مروان وأمتعة عسكره مالا يحصى كثرة فتناول اللواء حميد
ابن قحطبة وعبر الفرات حتى أتى الشام فقيل له ان مروان ترك
الطريق الى دمشق وذهب صالح بن علي بن عبد الله بن عباس
وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من
قرابته لامير المؤمنين فلما اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه
الامر وقال الناس انه خرج باظهار الدعوة لابي العباس من
غير أمره فلما سلم الامر الى صالح بن علي أتاه كتاب أبي مسلم
أن يرجع ابن قحطبة ببعض عساكره الى العراق فيكون فيها
حتى يأتيه أمره فاتى صالح بن علي كتابه بانه قد صير اليه الشام
وما وراءها الى المغرب ويأمره فيه ببعثه الجيوش في طلب
مروان فولي صالح بن على رجلا من الازد يقال له أبو عون
على مصر وأمره بطلب مروان في أرض المغرب وبعثه في
عشرين الفا وكان سليمان بن هشام قد نافر مروان وقاتله مرارا
قبل أن يشتد أمر أبي مسلم فسار اليه في أربعة آلاف وذلك

بعد خروج قحطبة من عند أبي مسلم فنزل به سليمان وكانت
بينه وبين أبي العباس مودة قديمة فبايع أبا مسلم على طاعة أبي
العباس فسربه أبو مسلم وشيعته ثم سيره في طلب قحطبة ممداً
له وقد قاتل مروان قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما نظر
مروان الى دخول سليمان بن هشام في عسكر قحطبة وكثرة
من جاء معه انهزم فمضى سليمان مع حميد بن قحطبة في طلبه
ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولكنه كان نظر في كتب
الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسوّدة لا تجاوز الزاب فقال
ذلك لوزرائه فقيل له ان بمصر زاباً آخر قال فاليها نذهب اذاً ٠
والزاب الذي أراد علمه هو بارض المغرب فاقبل مروان وهو
يريد مصر فالتفت الخيل فانهزم خيل أبي عون وأسر القوم
وصاحب ابراهيم فاتى مروان بالاساري فقال مروان شدوا
أيديكم بالاسرى فقد أجننّا الليل وبات مسروراً ٠ فلما أصبح
جعل يهيء أصحابه للقاء القوم فاقبل سليمان بن هشام وأبو عون
وكان مروان قد أرخى حبال الجسر وتوسط أصحابه فيها هنالك
وهم آمنون فقال أبو عون للقبط هل لهذا النهر من مخاضة
فقالوا له ماعلمنا ذلك ولا بلغنا ان أحداً خاضه قط فقطع عما

قصد واراد. فكتب الى صالح بن علي بذلك ويسأله أن يبعث اليه بمراكب ساحل البحر عاجلا فبينما هو في ذلك، اذ أتاه رجل من القبط فقال له ان أبي كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بامور تكون بعده ويصف لنا موضعا يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الامور وقد اختبرت ذلك الليلة. فسر بذلك أبو عون ثم بعث معه الخيل الى ذلك الموضع بعد ان وصله ووعده خيراً وكان مروان نظر الى الرايات السود بناحية مصر ونظر الى الخيل تعدو النهر ولا يشك انهم لا يجدون سبيلا الى عبوره فلم ينشب أهل عسكر مروان أن نظروا الى خيل أبي عون قد جاوزت النيل فعبأ مروان أصحابه وأهل بيته ثم خطبهم وحضهم على الصبر وقال لهم: ان الجزع لا يزيد في الاجل وان الصبر لا ينقص الاجل. وأقبل القوم فاقتتلوا من وقت صلاة الصبح الى ان مالت الشمس فأصيب عبد الله ومحمد ابنا مروان وبنو ابيه أكثرهم وولد عبد العزيز وصابر القوم فلما لم يبق حوله الا قدر الثلاثين حمل على القوم فاكردهم ورجع فجعل أصحابه يفترقون عنه. فلما رأى ذلك نزل عن فرسه وانشأ يقول متمثلا:

ذل الحياة وهول الممات * وكلا أراه وخيما وبيلا

فان كان لابد من ميتة * فسيري الي الموت سيراً جميلا

فوثب رجل الى فرسه فاخذه فقال له مروان أكرمه فانه أشقر مروان . ثم كسر غمد سيفه وقاتل قتالا شديداً ثم أصيب فنزل أبو عون فامر بضرب قبابه وأمر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين حتى أصيب عامتهم واستأثر منهم من استأسر وكان فيمن أسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكي مؤذنه فاستبقاهما أبو عون وبعث بهما الي صالح بن علي ثم أمر أبو عون بطلب جثة مروان على شاطئ النيل فلما كان من الغد ركب أبو عون وسليمان بن هشام لينظرا مروان فنظرا اليه ثم تحول أبو عون الى سليمان فقال: الحمد لله الذي شفى صدرك قبل الموت من مروان فهل لك يا أبا أيوب ان تذهب الى أمير المؤمنين بكتابي وبما هيأ الله على يديك وشفى به صدرك فيفعل بك خيراً ويعرف من قرابتك ونصحك ما أنت أهله فرضي بذلك سليمان فكتب وسار . فلما قدم سليمان بن هشام على أبي العباس أمير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وأنزله بعض دور الكوفة وفعل به مالم يفعل باحد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف الى مائدة أبي العباس في كل يوم فيتغدى معه ويتعشى وكان كاحد

وزرائه وفوقهم وكان يجلس أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره

﴿ قتل أبي سلمة الخلال ﴾ وذكروا ان أبا العباس لما تمت له الامور واستوثقت استشار وزراءه في قتل أبي سلمة فادار القوم الرأي فيه وكان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين وكان يقيم عنده في كل ليلة الى حين من الليل فاذا أراد الخروج والرجوع الى منزله قربت اليه دابته الى المجلس فيركب منه دون غيره ثم يخرج الى داره . فقالوا له انك ان قتلته ارتاب أبو مسلم ولكن الرأي ان تكتب اليه بأمره اليه فلما قدم الكتاب الى أبي مسلم كتب الى أبي العباس ان كان رابك منه ريب فاضرب عنقه فلما أتاه الكتاب قال له وزراؤه لا تأمن ان يكون ذلك غدراً من أبي مسلم وان يكون انما يريد ان يجد السبيل الى ماتخوف منه ولكن اكتب اليه ان يبعث اليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب اليه بذلك وذكر في كتابه اني لاأقدم ولاأؤخر الا برأيك فبعث اليه برجل يقال له مرّار الضبي فلما قدم على أبي العباس أمر ذلك الضبي ان يقعد له في الظلمة في داخل دار الامارة بالكوفة فاذا خرج ضربه بالسيف ثم يأتيه برأسه فقتله ثم أمر بصلبه

فلما أصبح الناس اذا هم بأبي سلمة مصلوبا على دار الامارة .

﴿ قتل رجال بني أمية بالشام ﴾ وذكروا ان أباالعباس ولي عمه عبد الله بن على الذي يقال له السفاح الشام وأمره ان يسكن فلسطين وان يجد السير نحوها وهناه بماأصاب من أموال بني أمية وكتب الى صالح بن على ان يلحق بمصر واليا عليها. فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الي مصر فأتاها بعد قتل مروان بيومين وان السفاح بعث الى بني أمية وأظهر للناس ان أمير المؤمنين وصاه بهم وأمره بصلتهم والحاقهم في ديوانه ورد أموالهم عليهم فقدم عليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا وكان فيهم عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك وابان بن معاوية بن هشام وعبد الرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بني أمية. فأما عبد الرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به براً واسداه خيراً وأولاه جميلا فقال له: اطعني اليوم في كلمة ثم اعصني الى يوم القيامة. فقال له عبد الرحمن وما أطيعك فيه اليوم فقال له الرجل: ادرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب، النجا النجا فان هذا غدر من السفاح ويريد قتل من بقى من بني أمية فقال له عبد الرحمن

ويحك انه كتاب أبي العباس قدم عليه يأمره فيه بصلتنا ورد أموالنا الينا والحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الوافر . فقال له الرجل: ويحك أتغفل والله لايستقر ملك بني العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف . فقال له عبد الرحمن ماأنا بالذي يطيعك في هذا فقال الرجل أفتأذن لى ان أنظر الى ماتحت ظهرك مكشوفا فقال له وما تريد بهذا فقال له انت والله صاحب الامر بالاندلس فاكشف لى فكشف عبد الرحمن عن ظهره فنظر الرجل فاذا العلامة التى كانت في ظهره قد وجدت في كتب الحدثان وكانت العلامة خالا اسود عظيما مرتفعاً على الظهر هابطا فلما نظر اليه الرجل قال له :النجا النجا والهرب الهرب فانك والله صاحب الامر فاخرج فانا معك ومالى لك ولى عشرون الف دينار مصرورة كنت أعددتها لهذا الوقت . فقال له عبد الرحمن وعمن أخذت هذا العلم فقال الرجل من عمك مسلمة بن عبد الملك فقال له عبد الرحمن: ذكرت والله عالما بهذا الامر أما لئن قلت ذلك اقد وقفت بين يديه وأنا غلام يوم توفي أبي معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهري فنظر الى مانظرت اليه فقال لهشام

جدي وهو يبكي: هذا اليتيم ياأمير المؤمنين صاحب ملك المغرب
فقال له هشام وما الذي أبكاك ياأبا سعيد لهذا تبكي فقال ابكي
والله على نساء بني أمية وصبيانهم كأني بهم والله وقد أبدلوا
بعد أساورة الذهب والفضة الاغلال والحديد وبعد الطيب
والدهن البقل والعقار وبعد العز الذل والصغار . فقال هشام
أحان زوال ملك بنى أمية ياأبا سعيد فقال مسلمة أي والله حان وان
هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها . فقال
له الرجل فاقبض منى هذا المال واخرج بمن تثق به من
غلمانك فقال عبد الرحمن والله ان هذا الوقت مايوثق فيه بأحد
فولى ذاهبا وخرج لايدرى متى خرج فلحق بالمغرب واقبل
القوم من بنى أمية وقد أعد لهم السفاح مجلسا فيه اضعافهم
من الرجال ومعهم السيوف والاجرزة فاخرجهم عليهم فقتلهم
وأخذ أموالهم واستخفى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
وكان عبد الواحد قد بذّ العابدين في زمانه وسبق المجتهدين في
عصره فركب السفاح الى أموال عبد الواحد وكان عبد الواحد
قد اتخذ أموالا معجبة تطرد فيها المياه والعيون فأمره السفاح
أن يصيرها اليه فابي عليه واختفى منه فأخذ رجالا من أهله

فتواعدهم السفاح وأمر بحبسهم حتى دلوه عليه فلما قبضه أمر بقتله ثم استقصي ماله فبلغ ذلك أبا العباس أمير المؤمنين وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبد الواحد أفضل قرشى كان في زمانه عبادة وفضلا . فقال أبو العباس رحم الله عبد الواحد اما والله كان يقاتل المقاتلة ولا ممن يشار اليه بفاحشة وما قتلته الا أمواله ولولا ان السفاح عمّي وذمامه ورعاية حقه على واجب لاقدت منه ولكن الله طالبه وقد كنت أعرف عبد الواحد برا تقيا صواما قواما . ثم كتب الى عمه السفاح الا يقتل أحدا من بنى أمية حتي يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا أول مانقم أبو العباس على عمه السفاح

﴿ ذكر قتل سليمان بن هشام ﴾ وذكروا ان عيسى ابن عبد البر أخبرهم قال كان سليمان بن هشام أكرم الناس على أبى العباس أمير المؤمنين لحسن بلائه مع خطبة وقيامه معه على مروان ابن عمه وكان هو الذى تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك أخص الناس بأبي العباس فبينما هما يوما وقد تضاحكا وتداعبا اذ أتى رجل من موالي أبي العباس يقال له سديف فناول أبا العباس كتابا فيه :

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبها ليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وباس
لاتقيلنّ عبد شمس عثاراً * واقطعن كل نخلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من منابر وكراسي
واذكرن مقتل الحسين وزيداً * وقتيلا بجانب المهراس

فقرأها أبو العباس ثم قال له نعم ونعما عين وكرامة سننظر في حاجتك ثم ناول الكتاب أبا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فتطلع رجل من موالي بني أمية كانت له خاصة وخدمة في بنى العباس فعرف بعض مافي الكتاب فلما خرج من عند أمير المؤمنين مر بسليمان بن هشام في غرفة له بالكوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا أبا أيوب فقال له ماعندي غير ولدي فقال له: إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحي الجزيرة وكتب الي مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم خلق كثير فبعث اليه أبو العباس بعثا يقاتله فانهزم ذلك البعث ثم بعث اليه بعثاً آخر فهزمه أيضاً قال فتنقل سليمان عن ذلك

الموضع الي غيره ثم بعث اليه بعثاً آخر فاسر سليمان وولده فاتى بهما أسيرين الي أبي العباس فامر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا اليهما فامر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده تقدم يا بني على مصيبتي بك فتقهقر الغلام ثم تقدم فقتل ثم قتل سليمان (١) وصلبا على باب دار الإمارة بالكوفة

﴿ خروج السفاح على أبي العباس وخلعه ﴾ وذكروا ان الهيثم بن عدي اخبرهم قال لما ولي السفاح الشام واستصفى أموال بني أمية لنفسه أعجبته نفسه وحسد ابن أخيه على الخلافة فاظهر الطعن على أبي العباس والتنقص له فلما بلغ ذلك أبا العباس كتب اليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجباً وحسداً بما فيه فحبس الخراج ودعا الى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالي بني أمية وأطمعهم وسد ثغورهم وأبدى العزم وأظهره على محاربة أبي العباس فلما انتهت أخباره الى أبي العباس كتب الى أبي مسلم

---

(١) يروى ان سديفا دخل على السفاح وعنده سليمان وقد أكرمه فقال:

لا يغرنك ما ترى من رجال ... ان تحت الضلوع داء دوياً

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان قتلتني ياشيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل .

يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لامر السفاح فقدم أبو مسلم فاقام عنده أياماً ثم خرج الي السفاح ومعه أجناده وقواده فلقي السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره وأخذ أسيراً فقدم به على أبي العباس فلما قدم اليه وأدخل عليه قال: ياعمي أحسنا وواسينا فحسدت وبغيت وقد رأيت تعطفا عليك وصلة لرحمك ان أحبسك حبساً رفيقاً حتى تؤدب نفسك ويبدو ندمك ثم أمر فبني له بيت جعل أساسه قطع الملح فحبسه فيه فلما كان بعد أيام أرسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه وردابا مسلم الى عمله بخراسان فاقام فيها بقية عامه ثم أخرج أبو العباس أبا جعفر والياً على الموسم وخرج أبو مسلم أيضاً حاجا من خراسان

﴿اختلاف أبي مسلم على أبي العباس﴾ وذكروا ان ابا العباس وجه أبا جعفر في ثلاثين رجلا الى أبي مسلم وكان فيهم الحجاج ابن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمي وعبد الله بن الحسين فلما توجه أبو جعفر الى أبي مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به بعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم في كلامه وفعله الخليفة ولم يزل أبو مسلم يتخوف ان يصنع به مثل ماصنع

بأبي سلمة الخلال وكان لا يظهر ذلك لاحد ٠ فلما قدم أبو جعفر
عليه ومعه الثلاثون رجلا وفيهم عبد الله بن الحسين قام اليه
سليمان بن كثير فقال ياهذا انا كنا نرجو ان يتم أمركم فاذا
شئتم فادعوا الى ماتريدون فظن انه دسيس من أبي مسلم
نخاف ذلك فبلغ أبا مسلم ان سليمان بن كثير سامر عبد الله
ابن الحسين بن على فقال لسليمان بلغني انك سامرت هذا
الفتي قال أجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فاتى
عبد الله بن الحسين أبا مسلم فذكر له ذلك وظن انه ان لم
يفعل اغتاله أبو مسلم فبعث أبو مسلم الى سليمان بن كثير فقال
له أتحفظ قول الامام من اتهمته فاقتله قال نعم قال قد اتهمتك
فقال ناشدتك الله قال لاتناشدني وأنت منطو على غش الامام
فأمر فضربت عنقه وكتب أبو مسلم الى محمد بن الاشعث ان
يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم واستعمل أبو العباس
عيسى بن على على فارس فأخذه محمد فهم بقتله فقيل لمحمد ان
هذا لايسوغ لك قال أمرني أبو مسلم ان لا اقدم على أحد
الا ضربت عنقه فقال ما كان أبو مسلم ليفعل شيئاً الا بأمر
الامام فلما قدم أبو جعفر من عند أبي مسلم قال لابي العباس

است بخايفة ولا أمرك بشيء ان لم تقتـل أبا مسلم فقال أبو العباس وكيف ذلك قال لا والله مايعبأ بنا ولا يصنع الاما يريد فقال له أبو العباس اسكت واكتمها

﴿ قتال ابن هبيرة وأخـذه ﴾ وذكروا ان أبا العباس وجه أبا جعفر الى مدينة واسط فقدم على الحسين بن قحطبة وهو على الناس وكتب أبو العباس الى الحسين بن قحطبة ان العسكر عسكرك والقواد قوادك فان أحببت ان يكون أخي حاضرا فاحسن مؤازرته ومكانفته وكتب الى أبي نصر مالك ابن الهيثم بمثل ذلك وذكروا ان ابن هبيرة كان قد نصب الجسور بين المدينتين فقالت اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا نقاتل على دعوة بني أمية أبداً لسوء رأيهم فينا وبغضهم لنا وقالت القيسية لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة الا صعاليك الناس وأهل العطاء . وكان كثيراً مايتمثل ويقول :

الثوب ان أنهج فيه البلى * اعيا على ذي الحيلة الصانع
كنا نرقعها اذا مزقت * فاتسع الخرق على الراقع

وكان من رأي ابن هبيرة ان لا يعطي طاعة لبني العباس وكان رأيه ان يدعو الي محمد بن عبد الله بن الحسين فاطلع على

ذلك أبو العباس وخاف ان يثور اليمانية مع ابن هبيرة في
ذلك. فكاتبهم أبو جعفر وقال في كتابه لهم : السلطان
سلطانكم والدولة دولتكم وكتب الى زياد بن صالح الحارثي
بذلك وكان عامل ابن هبيرة في المدينة وكان عامله قبل ذلك
على الكوفة فأجاب زياد بن صالح وذلك لما خاف ان
يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب الشمس قاموا اليه فلما
صلى المغرب ركب فطاف في مسالحه وأبوابه فرجع عتمة
فتعشى ثم صلى فاقبل على ابن الهيثم فقال والله ماأتخاف غمة
أعظم ولاأهمّ الي منك لانك مع هؤلاء ولست أدري مايكون
بعد اليوم وأرى الامر قد استتب لهؤلاء القوم في المشرق
والمغرب ولكن ان لقيت أبا العباس أعلمته من أمرك مثل
الذي أعلمته من أمري قال ماأخاف تقصيرك ثم قال لست
أثق بولد ولا بغيره ثقتي بك فيما أريد ان أوطده . تأخذ مفاتيح
هذه المدينة حتى تصبح فتأتي بها ابن هبيرة فقلت انظر ماتصنع
في خروجك أتثق بالقوم قال هم قد جرى بيني وبينهم ماأثق
به وأتاني كتاب أبي العباس بكل ماأحب وكتاب أبي جعفر
فقلت ياأبا الربيع أخاف ان لايوفي لك . فلما أدهم الليل وانتصف

قام فصلى ركعات ثم أمر غلمانه فحملوا متاعه على أربعة بغال ثم اخرج أربعة غلمان له وابنه ثابت على برذون له ثم خرج واغلق الباب فلما انتهى الخبر الى ابن هبيرة بكى وقال مايوثق بأحد بعد زياد بن صالح بعد ايثاري اياه واكرامي وتفضيلي له وما صنعت به قلت هو هنا لك والله خير لك منه هاهنا . قال وترى ذلك ؟ قلت نعم قال ثم مشت الكتب والرسل بينهم أي بين أبي جعفر وابن هبيرة حتى صار أمرهم الى ان يلقاه ونهض ابن هبيرة اليهم وتخلى مما بيده لهم .

﴿ كتاب الامان ﴾ وذكروا ان رجلاً من قيس يقال له أبو بكر بن مصعب العقيلي سعى في كتاب الصلح والامان عند أبي جعفر حتى تم له فأتى به ابن هبيرة : وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن على أبي جعفر ولى أمر المسلمين ليزيد بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وأرضها من المسلمين والمعاهدين ومن معهم من وزرائهم ، انى أمنتكم بأمان الله الذي لا اله الا هو الذي يعلم سرائر العباد وضمائر قلوبهم ويعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور واليه الامر كله ، أماناً صادقا

لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم
وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة ومن أمنته في أعلا كتابي
هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق به
الامم الماضية من خلقه وأخذ عليهم به أمره عهداً خالصاً
مؤكداً وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين
واسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل شيء منها
ولا الاحتقار بها، وبها قامت السموات والارض والجبال فأبين
أن يحملنها واشفقن منها تعظيماً لها وبها حقنت الدماء، وذمة
روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل
وأعطيتك ماجعلت له من هذه العهود والمواثيق ولمن معك
من المسلمين وأهل الذمة بعد استئماري فيما جعلت لك منه
عبد الله بن محمد أمير المؤمنين أعز الله نصره وأمره بانفاذه
لكم ورضى به وجعله لكم وعلى نفسه وتسليم ذلك من قبله من
وزرائه وقواده وانصار الحق من شيعته من أهل خراسان
فأنت وهم آمنون بأمان الله لا بأس عليك حدولا نؤاخذ بذنب
أتيته وكنت عليه في خلاف أو مناوأة أو قتل أو زلة أو جرم

أو جناية أو سفك دماء خطأً أو عمداً أو أمر سلف منك أو منهم صغيرا أو كبيرا في سر أو علانية ، ولا ناقض عليك ماجعلت لك من أماني هذا ولم أخنك فيه ولا ناكث عنه وأذنت لك في المقام في المدينة الشرقية الى الاجل الذي سألت ثم أسلك حيث بدالك من الارض آمنا مطمئنا ملوًّا أنت ومن سألته ان يؤذن له في المسير معك ومن تبعك وأهل بيتك والخمسمائة رجل على ماسألت من دوابهم وسلاحهم ولباس البياض لايخافون غدرا ولا اخفارا بك حيث أحببت من بر أو بحر وأنزل حيث شئت من الارض الى ان تنتهي الى منزلك من أرض الشام فأنت آمن بأمان الله ممن مررت بهم من عمالنا ومسالحنا ومراصدنا ليس عليك شيء تكرهه في سر ولا علانية ولك الله الذي لا اله الا هو لا ينالك من أمر تكرهه في ساعة من ساعات الليل والنهار ولا أدخل لك في أماني الذي ذكرت لك غشاً ولا خديعة ولا مكراً ولا يكون مني في ذلك دسيس بشيء مما تخافه على نفسك ولا خديعة في مشرب ولا مطعم ولا لباس ولا أضمر لك عليه نفسي الى ارتحالك من مدينة واسط في دخولك على عسكري والنفو

والرواح اذا بدالك والدخول أي ساعات من ساعات الليل
والنهار أحببت فاطمئن الي ماجعلت لك من الامان والعهود
والمواثيق وثق بالله وبأمير المؤمنين فيما سلم منه ورضى به
وجعلته لك ولمن معك على نفسي ولك على الوفاء بهذه العهود
والمواثيق والذمم أشد ماأخذه الله وحرمه وما أنزل الله تبارك
وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه جعله كتابا مبينا
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونورا وحجة على
العباد حتى القي الله وأنا عليه، وانا أشهد الله وملائكته ورسله
ومن قرئ عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه
العهود والمواثيق واقراري بها على نفسي وتوكيدي فيها وعلى
تسليمي لك ماسألت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك
فيها ، وادخلت في أمانك هذا جميع من قبلي من شيعة أمير
المؤمنين من أهل خراسان ومن لامير المؤمنين عليه طاعة من
أهل الشام والحرب وأهل الذمة وجعلت لك ان لا ترى مني
انقباضا ولا مجانبة ولا ازورارا ولا شيئا تكرهه في دخولك
عليّ الى مفارقتك اياي ولا ينال أحدا معك أمر يكرهه
وأذنت لك ولهم في المسير والمقام ، جعلت لهم أمانا صحيحا

وعهدا وثيقاً وان عبد الله بن محمد ان نقض ماجعل لكم في
أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف الى أمر تكرهه
أو تابع على خلافه أحد من المخلوقين في سر أو علانية أو أضمر
لك في نفسه غير ما أظهر لك أو أدخل عليك شيئاً في أمانه
وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين التماس الخديعة والمكر
بك وادخال المكروه عليك أو نوي غير ماجعل لك من الوفاء
لك به فلاقبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو بريء من محمد بن
علي وهو يخلع أمير المؤمنين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون
حجة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدينة واسط الى بيت
الله الحرام الذي بمكة حافيا راجلا، وكل مملوك يملكه من اليوم
الى ثلاثين حجة بشراء أو هبة أحرار لوجه الله وكل امرأة
له طالق ثلاثا وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة
أو غير ذلك فهو صدقة علي المساكين وهو يكفر بالله وبكتابه
المنزل على نبيه والله عليه فيما وكد وجعل على نفسه في هذه
الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيدا . قالوا وكان من رأي
أبي جعفر الوفاء لابن هبيرة وأصحابه

﴿ قدوم ابن هبيرة على أبي العباس ﴾ وذكروا أن ابن

هبيرة وأصحابه لما جاءهم الكتاب بالايمان ترددوا فيه أربعين يوماً يتدبرونه ويستخيرون الله في الخروج اليهم ثم عزم الله له في القدوم على أبي العباس وأبي جعفر وكان أبو مسلم كثيراً ما كتب لابي العباس: أنه قل طريق سهل يلق فيه حجارة الا أضر ذلك بأهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة وأصحابه. وكان أبو الجهم بن عطية عين أبي مسلم على أبي العباس فكان يكتب اليه بالاخبار وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون رأي أبي مسلم وقد كان ابن هبيرة في تلك الاربعين ليلة يجمع لذلك الكتاب من يعبر الكلام والفقه طرفي النهار فيترددون فيه حتى بلغوا فيه الغاية التي يريدون. ثم خرج ابن هبيرة الى أبي جعفر في الف وثلاثمائة فلما قدم أراد أن يدخل دار الامارة على دابته فقام الاذن فقال مرحباً بك أبا خالد انزل راشداً وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من أهل خراسان مستلئمين في السلاح أعينهم تزهو من تحت المغافر على عواتقهم السيوف مشهورة وعمد الحديد بأيديهم. فأتي ابن هبيرة بوسادة فطرحت له فجلس عليها ثم دعا الحاجب بالقواد فدخلوا على ابي جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال

ادخل أبا خالد قال ومن معي ؟ قال انما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثه أبو جعفر طويلا ثم نهض فركب فأتبعه أبو جعفر بصره حتي انصرف

﴿ قتل ابن هبيرة ﴾ وذكروا أن أبا العباس كتب الى أبى جعفر : أن اقتل ابن هبيرة فراده أبو جعفر بالكتاب فكتب اليه أبو العباس : والله لتقتلنه أو لابعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عليك . وكان ابن هبيرة اذا ركب الى أبى جعفر ركب في ثلاثمائة فارس وخمسمائة راجل فقدم يزيد بن حاتم على أبى جعفر فقال أصلح الله الامير ما ذهب من سلطان ابن هبيرة شيء يأتينا فيتضعضع به العسكر فقال أبو جعفر يا سلام قل لابن هبيرة لا يركب في مثل تلك الجماعة وليأتنا في حاشيته . قال عدي فأصبحنا فخرج ابن هبيرة أيضاً في مثل تلك الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج اليه سلام فقال يقول لك الامير ما هذه الجماعة لا تسير الا في حاشيتك فتغير وجه ابن هبيرة فلما أصبح أتي في نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كأنك انما تأتينا مباهياً فقال ابن هبيرة ان أحببتم أن نمشي اليكم فعلنا فقال سلام ما نريد بذلك استخفافاً

بك ولكن أهل العسكر اذا رأوا جماعة من معك غمهم ذلك فكان هذا من الامير نظراً لك فمكث طويلا جالساً في الرواق فقيل له ان الامير يحتجم فانصرف راشداً فلم يزل يركب يوماً ويقيم آخر لا يجيء الا في رجلين أو غلامه وقد ختموا على الخزائن وبيوت الاموال وجعل القواد يدخلون على أبي جعفر فيقولون ما تنتظر به فيقول ما أريد الا الوفاء له حتى اذا اجتمع أمرهم على قتله بعث الى الحسين بن قحطبة فأتاه فقال لو سرت الى هذا الرجل فأرحتنا منه فقال لا نريد ذلك ولكن ابعث اليه رجلا من قومه من مضر حتى يقتله فتفرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم أبو جعفر ائتوا الى ابن هبيرة فجددوا على بيوت المال الختم وعلى الخزائن وبعث معهما من المضرية والقيسية ان يحضروا الاذن وأريحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا رحبة القصر في مائة رجل فارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد حمل ما بقي في الخزائن فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يخلفون عند كل باب عدة حتى دخلوا عليه فقالوا ارسل معنا من يدلنا على المواضع وبيوت الاموال فقال يا عثمان ارسل

منهم من يريدون فطاف حازم وأصحابه في القصر ساعة وابن
هبيرة عليه قميص له مصري وملاءة موردة وهو مسند ظهره
الى حائط المسجد في رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه
وكاتبه عمر بن أيوب وعدة من مواليه وبنيه وفي حجر ابن
هبيرة ولد صغير . فلما توثقوا من كل شيء أقبلوا نحوه فلما رآهم
قد أقبلوا اليه قال والله ان في وجوه القوم لشراً . فلما دنوا
منه قام أبو عثمان فقال ما وراءكم فنضحه الهيثم بالسيف
فأصاب حبل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل فتفرقوا
عليه فقتلوه ومواليه ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجداً
وقال ويحكم نحوا عني هذا الصبي لايرى مصرعي قال
فضرب حتى مات ساجداً ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها أبا
جعفر ونادى المنادي بواسط أمن الامير خلق الله جميعا الا
الحكم بن بشير وعمرو بن ذرّ قال فضاقت علي والله الارض
بما رحبت حتى خرجت على دابتي مالي هجير الا آية الكرسي
أتلوها والله ماعرض لي أحد حتى تواريت فلم أزل خائفا حتى
استأمن لي زياد بن عبد الله بن العباس فأمنه وهرب الحكم
ابن عبد الله بن بشير الى عسكره وضاقت بخالد بن مسلمة

الارض حتى أتي أبا جعفر فاستأذن عليه فأمنه. وبلغ ذلك أبا العباس فكتب الي أبي جعفر والله لو كانت له الف نفس لاتيت عليها اضرب عنقه فهرب أبو علاقة الفزاري وهشام بن هبيرة وصفوان بن يزيد فلحقهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض على أصحاب ابن هبيرة فقتل من وجوههم نحوا من خمسين ثم أمن الناس جميعا ونادى منادي أبي جعفر من أراد ان يقيم فليقم بالجابية ومن أحب ان يشخص فليشخص وهرب القعقاع ابن ضرار وحميد وعدة حتى أتوا زياد بن عبد الله فاستأمن لهم فامنوا جميعا وقوي ملك بني العباس واستقرت قواعده. فلما قتل ابن هبيرة ونودي في أهل الشام الحقوا شامكم فلا حاجة لنا بكم فسار أهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم ومنهم من أخذ على عين التمر ومنهم من أخذ على طريق المدائن ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل أبو جعفر على واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلا ثم انصرف أبو جعفر الى أبي العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن علي الى الحجاز فقتل من ظفر به من بنى أمية وغيرهم فتوجه الى المثني بن زياد بن عمر بن هبيرة باليمامة فقتله وأصحابه ثم

تبعهم محمد بن عمارة وكان على الطائف فقتلهم وتحول أبو العباس من الحيرة الى الانبار فأمر أبو العباس برأس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان وبها رفع رأس مروان بن محمد وعن يمينه رأس ثعلبة بن سلامة ورأس عثمان بن ابي شعيب عن يساره وانقطعت شيعة بني أمية وطلبوا تحت كل حجر ومدر

﴿ اختلاف أبي مسلم على أبي العباس ﴾ وذكروا ان أبا مسلم كتب الى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه فقدم عليه فتلقاه الناس جميعا ومعه القواد والجماعة والخيل والنجائب ثم استأذن أبا العباس في الحج فقال لولا ان أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال أبو جعفر لابي العباس أطعني واقتل أبا مسلم فوالله ان في رأسه لغدرة . فقال له أى أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه فقال أبو جعفر هو أخطأ بذلك والله لو بعثت سنوراً مكانه لبلغ ما بلغ في مثل الدولة . قال أبو العباس كيف تقتله قال اذا دخل عليك فحادثه فاذا أقبل عليك دخلت فأتيت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال أبو العباس أى أخي فكيف تصنع بأصحابه الذين يؤثرونه

على أنفسهم ودينهم قال يؤول ذلك الى خير والى ماتريد . قال
ياأخي اني أريد ان تكف عن هذا فقال أبو جعفر أخاف ان
لم تنفذه يتفشاك . فقال أبو العباس فدونكه يا أخي قال وكان
مع أبي مسلم من أهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم
يأخذون العطاء عند غرة كل شهر أوفر مايكون من الارزاق
سوي الاعاجم . فلما دخل أبو مسلم على أبي العباس دعا ابو
العباس خصياً له فقال اذهب فاعرف ما يصنع أبو جعفر فأتاه
فوجده مختفيا بسيفه فقال أبو جعفر اجالس أمير المؤمنين
فقال الوصيف قد تهيأ للجلوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك
لابي العباس فرده أيضاً الى أبي جعفر وقال قل له عزمت
عليك ان لاتنفذ الامر الذي عزمت عليه فكف عن ذلك
فسار الى مكة حاجا وللموسم . وخرج أبو مسلم فكان اذا كتب
الى أبي جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لا يهولنك ما في صدر
الكتاب فاني لك بحيث تحب ولكني أحب ان يعلم أهل خراسان
ان لي منزلة عند أمير المؤمنين

﴿ كتاب أبي مسلم الى أبي جعفر وقدهم ان يخلع ويخالف ﴾

وذكروا ان أبا مسلم لما رجع من عند أبي العباس

وقد قيل له بالعراق ان القوم أرادوك لولا ما توقفوا ممن معك من أهل خراسان فلما كان في بعض الطريق كتب الى أبي جعفر : أما بعد فاني كنت اتخذت أخاك اماماً ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان في محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقمعني بالفتنة واستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعاً في قليل قد نعاه الله الى خلقه فمثل الضلالة في صورة الهدى فكان كالذى دلّ بغروره حتى وترت أهل الدين والدنيا في دينهم واستحلات بما كان من ذلك من الله النقمة وركبت المعصية في طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم وأوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت في مشيئة الله ما أحب ثم ان الله بمنه وكرمه أتاح لي الحسنة وتداركني بالرحمة واستنقذني بالتوبة فان يغفر فقديماً عرف بذلك وان يعاقب فبما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد .

فكتب اليه أبو جعفر : أروم ما رمت وأزول حيث زلت ليس لي دونك مرمي ولا عنك مقصر الرأي ما رأيت ان كنت أنكرت من سيرته شيئاً فأنت الموفق للصواب والعالم بالرشاد انا من لا يعرف غير يديك ولم يتقلب الا في فضلك فانا غير

كافر بنعمتك ولا منكر لاحسانك لا تحمل على أمر غيري ولا تلحق ما جناه سواي بي ان أمرتني ان اشخص اليك والحق بخراسان فعلت الامر أمرك والسلطان سلطانك والسلام

﴿ موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر ﴾ وذكروا ان أبا جعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعاً جاءه موت أبي العباس وكان بينه وبين أبي مسلم مرحلة . فكتب الى أبي مسلم انه قد حدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق بن مسلم: فقلت: لابي جعفر وأنا أسايره ونحن مقبلون من مكة أيها الرجل لا ملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال أبو جعفر ظهر غشك وبدا منك ما كنت تكتم بأبي مسلم يفعل هذا قلت نعم فاني أخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال اسحاق فسكت ثم اتيته بعد ذلك من الغد ولا والله ما عرفتها فيه وعاودني بمثل كلامه الاول فقلت لها أكثر أم أقل ان لم تقتله والله يقتلك . قال فهل شاورت في هذا أحداً قلت لا قال اسكت فسكت . فقدم الكوفة فاذا عيسى بن موسى قد سبقه الى الانبار وغلب على المدينة والخزائن وبيوت الاموال والدواوين وخلع عبد الله وتوثب على أبي جعفر ودعا أهل

خراسان فألحقهم باليمن وجعل لهم الجمائل الجليلة والعطايا الجزيلة .
فلم قدم أبو جعفر سلم الامر لعيسي بن موسى وتوثب عبد
الله بن علي على أهل خراسان بالشام فقتلهم ودعا الى نفسه وأتاه
أبو غانم عبدالحميد بن ربعى فقال ان أردت ان يصفولك الامر
فاقتل أهل خراسان وابدأ بي . فلما قدم أبو جعفر من مكة قال
لابي مسلم انما هو أنا وانت والامر أمرك فامض الى عبدالله
ابن على أو أهل الشام فلما سار اليه أبو مسلم سار معه القواد
وغيرهم فلقى عبدالله بن على وأهل الشام فهزمهم وأسر عبدالله
ابن على وبعث به الى أبي جعفر فاستنكر أبو جعفر قعود أبي
مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسي ورجلا معه على القبض
فقال أبو مسلم لا يوثق بهذا ونحوه فوثب وشتم وقال قولا
قبيحا . قال له يقطين بن موسي جعلت فداك لا تدخل الغم على
نفسك ان أحببت رجعت الي أمير المؤمنين فانه ان علم ان هذا
يشق عليك لم يدخل عليك مكروها . ثم قدم أبو جعفر من
الانبار حتي قدم المدائن وخرج أبو مسلم فأخذ طريق خراسان
مخالفا لابي جعفر . فكتب اليه أبو جعفر : قد أردت مذاكرتك
في أشياء لم تحملها الكتب فأقبل فان مقامك عندنا قليل .

فلم يلتفت أبو مسلم الى كتابه. فبعث اليه أبو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي وكان أبو مسلم يعرفه فقال له أيها الامير ضربت الناس عن عرض أهل هذا البيت ثم تنصرف على مثل هذه الحال ان الامر عند أمير المؤمنين لم يبلغ ما تكره ولا أرى ان تنصرف على هذه الحال فيقول أبو مسلم ويحك اني دليت بغرور وأخاف عدوه

﴿ قتل أبي مسلم ﴾ وذكروا ان جريراً لم يزل بأبي مسلم حتى أقبل به. وكان أبو مسلم يقول والله لاقتلن في الروم فأقبل منصرفا فلما قدم على أبي جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن أمر الناس يتلقونه وأذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه وأجلسه معه على السرير وقال له كدت ان تخرج ولم اقض اليك بما تريد فقال قد اتيت يا أمير المؤمنين فليأمرني بأمره قال انصرف الى منزلك وضع ثيابك وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر وجعل أبو جعفر ينتظر به الفرصة فأقام أياما يأتي أبا جعفر كل يوم فيريه من الاكرام مالم يره قبل ذلك حتى اذا مضت له أيام أقبل على التجني. فأتى أبو مسلم الى عيسى ابن موسى فقال اركب معي الى أمير المؤمنين فاني قد أردت

عتابه بحضرتك فقال عيسي انت في ذمتي فأقبل أبو مسلم فقيل
له ادخل فلما صار الى الزقاق الداخلى قيل له ان أمير المؤمنين
يتوضأ فلو جلست فجلس وابطأ عيسي بن موسي عليه وقد هيأ
له أبو جعفر عثمان بن نهيك وهو على حرسه في عدة فيهم
شبيب بن رياح وأبو حنيفة الفقيه فتقدم أبو جعفر الي عثمان
فقال له اذا عاتبته فعلا صوتي فلا تخرجوا وجعل عثمان وأصحابه
في ستر خلف أبي مسلم في قطعة من الحجرة وقد قال أبو جعفر
لعثمان بن نهيك اذا صفقت بيدى فدونك يا عثمان . فقيل لابى
مسلم أن قد جاس أمير المؤمنين فقام ليدخل فقيل له انزع سيفك
فقال ما كان يصنع بى هذا فقيل وما عليك فنزع سيفه وعليه
قباء أسود وتحته جبة خز فدخل فسلم وجلس علي وسادة ليس
في المجلس غيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر . فقال: أبو مسلم
صنع بى يا أمير المؤمنين مالم يصنع باحد نزع سيفى من عنقى
قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم أقبل يعاتبه فعلت وفعلت فقال
يا أمير المؤمنين لمن يقال هذا الىّ بعد حسن بلاءي وما كان
مني ؟ فقال له أبو جعفر : يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة أو
امرأة مكانك لبلغت ما بلغت في دولتنا ولو كان ذلك اليك

ما قطعت فتيلا . ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آمنة ابنة على بن عمي وتزعم انك أبو مسلم بن سليط عن عبد الله بن العباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقاً صعبا قال وأبو جعفر ترعد يده فلما رأى أبو مسلم غضبه قال : يا أمير المؤمنين لا تدخل على نفسك هذا الغم من أجلي فان قدري اصغر مما بلغ منك هذا . فصفق أبو جعفر بيده فخرج عثمان ابن نهيك فضربه ضربة خفيفة فأومأ أبو مسلم الى رجل أبي جعفر يقبلها ويقول : انشدك الله يا أمير المؤمنين استبقني لاعدائك فدفعه برجله وضربه شبيب على حبل العاتق فاسرعت فيه فقال أبو مسلم : واتعساه ألا قوة ألا مغيث وصاح أبو جعفر اضرب لا أم لك فاعتوره القوم باسيافهم فقتلوه فأمر به أبو جعفر فكفن بمسح ثم وضع في ناحية[1] ثم قيل ان عيسى بن موسى بالباب فقال ادخلوه فلما دخل قال يا أمير المؤمنين فأين أبو مسلم قال كان هاهنا آنفاً فخرج فقال عيسى يا أمير المؤمنين

(١) ويروي أن أبا جعفر اقبل على من حضره وأبو مسلم طريح فقال :

زعمت أن الدين لا ينقضي * فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كأساً كنت تسقي بها * أمر في الحلق من العلقم

قد عرفت طاعته ومناصحته ورأي ابراهيم الامام فيه قال له
أبو جعفر: يا أنوك والله ما أعرف عدواً أعدى لك منه هاهو
ذا في البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون . فأقبل اسحاق
صاحب شرطه قال انما كان أبو مسلم عبد أمير المؤمنين وأمير
المؤمنين أعلم بما صنع . فأمر أبو جعفر برأسه فطرح الى من
بالباب من قواد أبي مسلم فجالوا جولة وهموا أن يبسطوا
سيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم من بلادهم
وتغربهم واحاطة العدو بهم فبعضهم اتكأ على سيفه فمات
وبعضهم ناصب وأراد القتال . فلما نظر أبو جعفر الى ذلك أمر
بالعطاء لاصحاب ابي مسلم وأجزل الصلات للقواد والرؤساء منهم ثم
عهد اليهم أن من أحب منكم أن يكون معنا هاهنا نأمر بالحاقه
في الديوان في الف من العطاء ومن أحب أن يلحق بخراسان
كتبناه في خمسمائة ترد عليه في كل عام وهو قاعد في بيته . قال
فكأنها نار طفئت فقالوا رضينا يا أمير المؤمنين كما فعلت فأنت
الموفق فمنهم من رضي بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

﴿ ثورة عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ﴾ وذكروا
أن أبا جعفر لما قتل أبا مسلم واستولى على ملك العراقين والشام

والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسى بن زيد بن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب فقاتله فيما بين الكوفة
وبغداد ولقيه في جموع كثيرة نحواً من عشرين ومائة الف
فأقام أياماً يقاتله في كل يوم حتى هم أبو جعفر بالهزيمة وركب
فرسه ليهرب ثم جعل يشجع أصحابه ويعدهم بالعطايا الواسعة
والصلات الجزيلة فقاتلوا ثم ان أبا جعفر غلبته عيناه وهو على
فرسه فرأى في نومه أنه يمد يديه ورجليه على الارض . فاستيقظ
ودعا عباراً كان معه فاخبره بما رأى فقال له ابشر يا أمير المؤمنين
فان سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل
منهزم، فما كان بأسرع من أن نظر الى عيسى بن زيد منهزما

﴿ هروب مالك بن الهيثم ﴾ وذكروا أن مالك بن
الهيثم خرج هارباً حتى أتي همدان وعليها يومئذ زهير بن
التركي مولى خزاعة . فكتب اليه أبو جعفر: ان الله مهرق دمك
ان فاتك مالك فجاء زهير بن التركي الى مالك بن الهيثم فقال له
جعلت فداك قد أعددت لك طعاماً فلو أكرمتني بدخولك
منزلي فقال له نعم وكان قد هيأ له زهير أربعين رجلا . فلما دخل
مالك قال لزهير عجل طعامك وقد توثق زهير من الباب

وهيأ أصحابه فخرج عليه الاربعون فشدوه وثاقاً ثم وضعوا القيود في رجله ثم قال أبا نصر جعلت فداك والله ما عرفت هذه الدعوة حتي أدخلتني فيها ودعوتني اليها فما الذي يخرجك منها والله ما أخليك حتى تزور أبا جعفر فبعث به اليه فعفى عنه أبو جعفر وولاه الموصل . قال الهيثم : وكان يقال ان عبد الملك بن مروان كان أحزم بني أمية وان أبا جعفر كان أحزم بني العباس وأشدهم بأساً وأقواهم قلباً ألا ترى أن عبد الملك قتل عمرو بن سعيد في داخل قصره وأبوابه مغلقة وأبو جعفر قتل أبامسلم في داخل سرادقه وليس بينه وبين أهل خراسان الا خرقة وقال الهيثم ذكر ابن عياش: ان أبا جعفر قال لحاجبه عيسى بن روضة تقدم الى كل من دخل أن لا يذكر أبا مسلم في شيء من كلامه قال ابن عياش فاغتممت لذلك فوقفت له خلف ستر ومر راكب مع هشام بن عمر وعبد الله فلما طلع عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطه وبيده الحربة ركبت قال أبو الجراح مالك فقلت أسلم على أمير المؤمنين قال دونك فدنوت والنهر بيني وبينه فقلت :يا أمير المؤمنين هنيئاً لك وقفة أقعدت كل قائم فقال بيده على فيه ولم يلتفت كالكاره لما سمع

وأقبل على صاحبيه قال ابن عياش وكان هـذا في سنة خمس
وأربعين ومائة ثم انصرف أبو جعفر الى الحيرة ومعـه عمه
عبد الله بن علي في غير وثاق وعليه الاحراس وقد هيأ له أبو
جعفر بيتاً يحبسه فيه فلما قدم به قيل انه سمه . قال الهيثم : بل
كان أساس البيت الذي حبسه فيه من لبن والحيرة كثيرة
السواقي ندية الارض فيقال انه أمر من الليل بجدول فسرح
حول البيت فتهدم عليه فمات . قال ابن عياش أقبل رجل من
همدان الى أبي جعفر في وفد من العرب فدخلوا عليه فلما
خرجوا وفاتوا بصره قال الآذن عليّ بالهمداني . فلما مثل بين
يديه قال له يا أخا همدان اخبرني عن خليفة اسمه على عين قتل
ثلاثة أسماؤهم على عين فقال الهمداني نعم يا أمير المؤمنين عبد
الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الاشدق اسمه على عين
وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد الاشعث . وأنت
يا أمير المؤمنين اسمك على عين وقتلت عبد الرحمن بن مسلم
أبا مسلم أول اسمه على عين وعبد الجبار الخولاني وسقط البيت
على عمك عبد الله فقال وما يدخل سقوط البيت على عمي لا أم
لك . ثم استعمل أبو جعفر على خراسان أسيد بن عبد الله الخزاعي

وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد ثم ولي بعد أبي عون حميد بن قحطبة ثم ولى المسيب بن زهير حتى مات أبو جعفر المنصور

﴿ قصة سابور ملك فارس ﴾ وذكروا ان أبا جعفر دعا اسحاق بن مسلم العقيلي فقال له حدثني عن الملك الذى كنت حدثتني عنه بحران فقال: نعم أكرمك الله: اخبرني أبي عن حصين بن المنذر ان ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الاكبر كان له وزير ناصح قد أخذ أدباً من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم في الدين فانتصف من أهلها فضلاً وسنا فوجهه سابور داعية الى أهل خراسان وكانوا قوما يعظمون الدنيا جهالة بالدين واستكانة لحب الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم على كلمة من الهدى يكيد بها مطالب الدنيا وكان يقال: لكل ذليل دولة ولكل ضعيف صولة فلما استوسقت له البلاد جعل الى سابور أمرهم وأحال عليه طاعتهم فساس قوماً لا يرامونه الى ماسبق اليهم قبله فلم ينتصف سابور من طاعتهم واستمالة أهوائهم مع ما لا يأمن من زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال على قطع رجائه عن قلوبهم فصمم فقاتلهم ووقف بهم بين الفرقة وتحطب الاعداء، فنادى الرجعة والياس من صاحبهم

فرأوا ان يستتموا الدعوة في طاعة سابور ويتعوضوه من الفتنة فملككهم ثمانين عاماً . فاطرق أبو جعفر مليا ثم قال متمثلا :

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وماعلم الانسان الا ليعلما

﴿ خروج شريك بن عون على أبي جعفر وخلعه ﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما استقامت له الامور واستولى على الملك خرج عليه شريك بن عون الهمدانى وقال ماعلى هذا بايعنا آل محمد على ان يسفك الدماء وان يعملوا بغير الحق فخالف أبا جعفر وتبعه أكثر من ثلاثين الفا فوجه اليه أبو جعفر زياد بن صالح الخزاعي فقاتله شهوراً ونهى أبو جعفر أن يسبي أحد منهم أو يقتل أحد من رجالهم لانه كان فيهم قوم اخيار ورجال أشراف وكان خروجهم ديانة وانكاراً للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا . وكتب اليهم : وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فالله الله على دمائكم احقنوها .

﴿ اجتماع شبيب بن شيبة مع أبي جعفر قبل ولايته وبعدها ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة قال حججت عام هلك هشام بن عبدالملك فبينما أنامريح ناحية المسجد اذ طلع علي من بعض أبوابه

فتى أسمر رقيق السمرة موفر اللمة، خفيف اللحية رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان عليه ابهة الاملاك، في زى النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون، يعرف الشرف في تواضعه والعفو في صورته واللب في مشيته فما ملكت نفسي ان نهضت في أثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف. فلما قضي طوافه قصد المقام ليركع وانا أرعاه بصرى ثم نهض منصرفا فكأن عيناً أصابته فكبا كبوة دميت منها أصبعه فدنوت منه متوجعاً لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع علىّ ثم شققت حاشية ثوبي فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا علي وانقدت له حتي أتي بناء باعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلى يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين. ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال: لم يخف على مكانك منذ اليوم فمن تكون؟ فقلت شبيب ابن شيبة التميمي فقال: الاهثمى؟ فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومي بأبين وصف وأفصح لسان فقلت: أصلحك الله أحب المعرفة وأجل عن المسألة. فتبسم وقال: لطف أهل العراق

انا عبدالله بن محمد بن علي بن عباس فقلت بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وأدلك على سلفك وقد سبق الى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي لك قال فاحمد الله يا أخا تميم فانا قوم يسعد بحبنا من يحبنا ويشقى ببغضنا من يبغضنا ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله ورسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوي الله علي أدائه فقلت له أنت توصف بالعلم وانا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل أهله كثير وفي نفسي أشياء أحب ان اسأل عنها أفتأذن فيها جعلت فداك قال نحن أكثر الناس مستوحشون وارجو ان تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت علي مارجوت فهات على بركة الله . فقدمت اليه من وثائق الايمان ماسكن اليه فتلا قول الله « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » ثم قال سل فقلت ماترى في من على الموسم . وكان عليه يوسف بن محمد الثقفي خال الوليد بن يزيد فتنفس الصعداء ثم قال : عن الصلاة خلفه تسأل أم استنكرت ان يتأمر على آل الرسول من ليس منهم ؟ قلت عن كلا الامرين أسأل قال إن هذا عند الله عظيم . أما الصلاة ففرض الله على عباده فأدّ فرضه عليك في كل وقت فان الذي ندبك لحج بيته

ومجاهدة عدوّه وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه
انه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة لك
ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك. ثم
كررت عليه السؤال فما احتجت الى ان أسأل عن أمر ديني
أحدا بعده ثم قلت له يزعم أهل العلم بالكتاب انها ستكون
لكم دولة لا شك فيها تطلع مطلع الشمس وتظهر بظهورها
فاسأل الله خيرها ونعوذ به من شرها قال نخذ بحظ لسانك
ويدك منها ان أدركتها قلت أو يتخلف عنها أحد من العرب
وأنتم سادتها قال نعم قوم يأبون الا وفاءً لمن اصطنعهم ونأبي
الا طلبا لحقنا فننصر ويخذلون كما نصر أولنا بأولهم وخذل
لمخالفتنا من خذل منهم . فاسترجعت قال هوّن عليك الامر
سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس
ما يكون منهم بحاجز انا عن صلة ارحامهم وحفظ اعقابهم فقلت
كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم فقال نحن قوم
حبب الينا الوفاء وان كان علينا وبغض الينا الغدر وان كان
لنا وانما يشذ عنا منهم الاقل ، فأما انصار دولتنا ونقباء شيعتنا
وأمراء جيوشنا فهم ومواليهم معنا فاذا وضعت الحرب أوزارها

صفحنا للمحسن عن المسيء ووهب للرجل قومه ومن اتصل
بأسبابه فتذهب الثابرة وتخمد الفتنة وتطمئن القلوب فقلت
ويقال انه يبتلى بكم من أخلص لكم المحبة: فقال: قد روى ان
البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره . قلت لم أرد هذا
قال فما الذي تريد قلت توقعون بالولي وتخطئون العدو فقال: من
يسعد بنا من الاولياء أكثر ومن يسلم معنا من الاعداء أقل
انما نحن بشر ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور
فنوقع بمن لا نريد، وان لنا الاحساناً يجازي الله به مداواة ماتكلم
ورتق ما تثلم فنستغفر الله بما يعلم وما أنكر من الا يكون
الامر على مابلغك ومع الولي التعزز والادلال والثقة والاسترسال
ومع العدو التحرز والتذلل والاحتيال، وانك لمسؤول ياأخا بني تميم
قلت اني أخاف الا أراك بعد اليوم قال لكن ارجو أن أراك
وتراني قريبا ان شاء الله قلت عجل الله ذلك ووهب لي السلامة
منكم فاني محبكم . فتبسم وقال: لابأس عليك ما أعاذك الله من
ثلاثة قلت وما هي ؟ قال : قدح في الدين وهتك للملوك
وتهمة في حرمة واحفظ عني ماأقول لك :أصدق وان ضرك
الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تخالطن لناعدوا وان

أحظيناه ، فانه مخذول ولا تخذلن وليا وان أقصيناه ، واصبحنا
بترك المباكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذاقطعوك ولا
تسخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الاعمال ولا
تتعرض للاموال وانا رائح من عشيتي هذه فهل من حاجة
فنهضت لوداعه فودعته . ثم قلت أوقت لظهور الامر ومتى
قال الله الموقت والمنذر فخرجت من عنده فاذا مولى له يتبعني
فأتاني بكسوة من كسوته وقال لي يأمرك أبو جعفر ان تصلي
في هذه ثم افترقنا فوالله مارأيته الا وحرسيان قابضان عليّ
يدفعاني الى بيعتي في جماعة من قومي لنبايعه . فلما نظر الى أثبتني
وقال للحرسيين : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم
حرمته وأخذت بيعته فاكبر الناس ذلك من قوله . ثم قال
لي أين كنت أيام أبي العباس أخي فذهبت أعتذر فقال: امسك
فان لكل شيء وقتاً لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك
وحق مشايعتك واخترمني رزقا يسعك أو خطة ترفعك أو عملا
ينهضك . فقلت انا لوصيتك حافظ فقال وأنا لها أحفظ إني انما
نهيتك ان تخطب الاعمال ولم انهك عن قبولها ان أعرضت
عليك . فقلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الي فقال

وذلك أحب الى الك وهو أجم لقابك وأودع لك واعفى ان
شاء الله فهل زدت أحداً في عيالك بعد . وقد كان سألني عنهم
فعجبت من حفظه فقلت زدت الفرس والخادم فقال قد الحقنا
عيالك بعيالنا وخادمك بخدامنا ولو لم يسعني حملت لك على
بيت المال فهل تحملك مائتا دينار لكل غرة أو نزيدك فقلت
ياأمير المؤمنين ان شطرها ليحملني العامين قال فانها لك في
كل غرة فاقبضها من عاملي في أي بلد أحببت وان شئت فقد
ضممتك الى المهدي فانه أفرغ لك مني وأرضاه لك ان شاء الله .

﴿حج أبي جعفر ولقائه مالك بن أنس وما قال له﴾ ذكروا
أن أبا جعفر أمير المؤمنين لما استقامت له الامور واستولى
على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك في سنة ثمان وأربعين
ومائة فلما كان بمنى أتاه الناس يسلمون عليه ويهنئونه بما أنعم
الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم
وعلمائهم ممن صاحبه وألفه معه على طلب العلم ورواية الحديث
فكان فيمن دخل عليه منهم مالك بن أنس . فقال له أبو جعفر
يا أبا عبد الله اني رأيت رؤيا فقال مالك يوفق الله أمير المؤمنين
الى الصواب من الرأى ويلهمه الي الرشاد من القول ويعينه

على خير الفعل فما رأى أمير المؤمنين ؟ فقال أبو جعفر: رأيت
أني أجلسك في هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام
واحمل الناس على علمك واعهد الى أهل الامصار يوفدون
اليك وفدهم ويرسلون اليك رسلهم في أيام حجهم لتحملهم
من أمر دينهم على الصواب والحق ان شاء الله . وانما العلم
علم أهل المدينة وأنت أعلمهم فقال مالك : أمير المؤمنين أعلا
عيناً وأرشد رأياً واعلم بما يأتي وما يذر وان أذن لي أقول
قلت ، فقال أبو جعفر فنعم فحقيق أنت أن يسمع منك ويصدر
عن رأيك فقال مالك يا أمير المؤمنين ان أهل العراق قد قالوا
قولا تعدوا فيه طورهم ورأيت أني خاطرت بقولي لانهم أهل
ناحية وأما أهل مكة فليس بها أحد وانما العلم علم أهل المدينة
كما قال الاميروان لكل قوم سلفاً وأئمة . فان رأى أمير المؤمنين
أعز الله نصره اقرارهم على حالهم فليفعل فقال أبو جعفر
أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفاً ولا عدلا
وانما العلم علم أهل المدينة وقد علمنا أنك انما أردت خلاص
نفسك ونجاتها فقال مالك أجل يا أمير المؤمنين فاعفني يعفو الله
عنك فقال أبو جعفر قد أعفاك أمير المؤمنين وايم الله ما أجد

بعد أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه

﴿ دخول سفيان الثوري وسليمان الخواص على أبي جعفر وما قالا له ﴾ وذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنى في العام الذي حج فيه سفيان الثوري وسليمان الخواص قال أحدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغي الذي كان يزاحمنا بالامس في مجالس العلم عند منصور والزهرى فنكلمه ونأمره بحق وننهاه عن باطل فلعل أن يقع كلامنا منه موقعاً ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص انى لاخشى أن يأتي علينا منه يوم سوء . فقال الثوري : ما أخاف ذلك فان شئت فادخل وان شئت دخلت . فدخل سليمان الخواص فأمره ونهاه ووعظه وذكره الله وما هو صائر اليه ومسؤل عنه . فقال له ابو جعفر انت مقتول ماتقول في كذا وكذا لشيء سأله عنه من باب العلم فاجابه . فلما خرج قال سفيان الثوري ماذا صنعت قال امرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضاً كان في رقابنا أديناه مع انه لا يقبل وسألني عن مسئله فأجبته قال سفيان ما صنعت شيئاً فدخل سفيان الثوري فأمره ونهاه فقال له هاهنا أبا عبد الله اليّ اليّ ادن مني فقال اني لا اطأ ما لا

املك ولا تملك فقال ابو جعفر يا غلام ادرج البساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شيء وهو يقول «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» فدمعت عينا ابي جعفر. ثم تكلم سفيان دون أن يستأذن فوعظ وأمر ونهى وذكر وأغلظ في قوله فقال له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان وان كنت مقتولا فالساعة فسأله أبو جعفر مسألة فأجابه. ثم قال سفيان: فما تقول أنت يا أمير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير اذنهم وقد قال عمر في حجة حجها وقد انفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه: ما ارانا الا وقد اجحفنا ببيت المال. وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك وأول كاتب كتبه في المجلس عن ابراهيم عن الاسود عن علقمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: رب متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً. فقال له ابو عبيد الكاتب: امير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فقال له سفيان اسكت فانما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون. ثم خرج سفيان فقال ابو عبيد الكاتب: ألا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ما

اعلم احداً احق بالقتل منه فقال أبو جعفر: اسكت يا أنوك فوالله ما
بقي على الارض احد اليوم يُستحي منه غير هذا ومالك بن أنس

﴿ دخول ابن ابي ذؤيب ومالك بن انس وابن سمعان
على ابى جعفر ﴾ وذكروا عن مالك بن أنس قال: لما ولى
ابو جعفر الخلافة ورقى اليه الملاَّقون المشاؤن بالنميمة عني
بكلام كان قد حفظ علي فاتاني رسوله ليلا فقال اجب امير المؤمنين
وذلك بعد مفارقتي له وخروجي عنه فلم اشك انه القتل ففزعت
من عهدي واغتسلت وتوضأت ولبست ثياب كفني وتحنطت
ثم نهضت فدخلت عليه في السرادق وهو قاعد على فراش قد
نظم بالدر الابيض والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر، حكى لي
انه كان من فرش هشام بن عبد الملك كان قد أهداه اليه صاحب
القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدري ما قيمته والشمع يحترق بين
يديه وابن ابى ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه وهو ينظر
في صحيفة في يده فلما صرت بين يديه سلمت فرفع رأسه فنظر
اليّ وتبسم تبسم المغضب ثم رمى بالصحيفة واشار لي الى موضع
عن يمينه أقعد فيه فلما قعدت وأخذت مقعدي وسكن روعي
رفعت رأسي أنظر تلقائي فاذا انا بواقف عليه درع وبيده سيف

قد شهره يلمع له ما حوله فالتفت عن يميني فاذا انا بواقف عليه جزر من حديد ثم التفت عن يساري فاذا انا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره وهم اجمعون قد صغوا اليه ورمقوا بابصارهم خوفاً منهم ان يأمر في احد امراً فيجده غافلا . ثم التفت الينا قال : أما بعد معشر الفقهاء فقد بلغ امير المؤمنين عنكم ما اخشن صدره وضاق به ذرعه ، وكنتم احق الناس بالكف من السنتكم والأخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم . قال مالك فقلت : ياامير المؤمنين قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا أن تُصِيبُوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » فقال ابو جعفر على ذلكم أي الرجال انا عندكم أمن ائمة العدل ام من أئمة الجور ؟ فقال مالك فقلت ياامير المؤمنين انا متوسل اليك بالله تعالى وأتشفع اليك بمحمد صلى الله عليه وسلم وبقرابتك منه الا ما اعفيتني من الكلام في هذا قال قد اعفاك امير المؤمنين . ثم التفت الى ابن سمعان فقال له ايها القاضي ناشدتك الله تعالى أي الرجال انا عندك فقال ابن سمعان : أنت والله خير الرجال يا امير المؤمنين تحج بيت الله الحرام

وتجاهد العدو وتؤمن السبل وتأمن الضعيف بك أن يأكله القوي وبك قوام الدين فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة . ثم التفت الي ابن ابي ذؤيب فقال له ناشدتك الله أي الرجال انا عندك؟ قال: أنت والله عندي شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وأهلكت الضعيف وأتعبت القوى وامسكت اموالهم فما حجتك غداً بين يدي الله . فقال له ابو جعفر ويحك ما تقول اتعقل أنظر ما امامك قال : نعم قد رأيت اسيافاً وانما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله . ثم خرجا وجلست قال اني لاجد رائحة الحنوط عليك قلت اجل لما نمى اليك عني ما نمى وجاءني رسولك في الليل ظننته القتل فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفني فقال ابو جعفر سبحان الله ما كنت لاثلم الاسلام واسعى في نقضه او ما تراني أسعى في أود الاسلام واعزاز الدين عائذاً بالله مما قلت يا اباعبدالله انصرف الى مصرك راشداً مهدياً وان احببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك احداً ولا يعدل بك مخلوقاً . فقلت ان يجبرني امير المؤمنين على ذلك فسمعاً وطاعة وان يخيرني امير المؤمنين اخترت العافية . فقال : ما كنت لاجبرك ولا اكرهك اذاً ب

معاً فأمكافؤا . قال فبت ليلتي فلما اصبحنا أمر ابو جعفر بصرر دنانير
في كل صرة خمسة آلاف دينار ثم دعا برجل من شرطته فقال
له تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة أما مالك بن
أنس ان أخذها فبسبيله وان ردّها لا جناح عليه فيما فعل وان
اخذها ابن ابي ذؤيب فأتني برأسه وان ردها عليك فبسبيله
لا جناح عليه . وان يكن ابن سمعان ردها فأتني برأسه وان
اخذها فهي عافيته . فنهض بها الى القوم فأما ابن سمعان فأخذها
فسلم وأما ابن ابي ذؤيب فردها فسلم وأما أنا فكنت والله
محتاجاً اليها فأخذتها . ثم رحل ابو جعفر متوجهاً الى العراق

﴿ كتاب عبيد الله العمري الي ابي جعفر ﴾ وذكروا
ان ابا جعفر لما قفل من حجه سنة ثمان واربعين ومائة سأل عن
عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
وهو الفقيه المعروف بالعمري فقيل له انه لم يحج العام يا امير
المؤمنين ولو حج لكان أول داخل عليك فلا تقبل عليه احداً
يا امير المؤمنين ولا يقدح فيه عندك الا باطل او كذاب
فانه من علمت . فقال ابو جعفر والله ما تخلف عن الحج في عامه
هذا الا علماً منه باني حاج فلذلك تخلف ولا والله ما زاده ذلك

عندي الا شرفاً ورفعة واني من التوقير به والاجلال له بحال لا اخال احداً من الناس بذلك لشرفه في قريش وعظيم منزلته من هذا الامر والموضع الذي جعله الله فيه والمكان الذي انزله به . فلما قدم ابو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمري : فيه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله ابي جعفر امير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت من شاء . أما بعد فاني عهدتك وامر نفسك لك مهم وقد اصبحت وقد وليت امر هذه الامة احمرها وأسودها وأبيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله يا ابا جعفر ، واني أحذرك يوماً تفني فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته واذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه ، وانا كنا نحدث ان امر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة واني اعوذ بالله ان تنزل كتابي سوء المنزل فانى انما كتبت به نصيحة والسلام . ﴿فأجابه أبو جعفر المنصور﴾

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين الى عبيدالله بن عمر بن حفص سلام عليك أما بعد فانك كتبت اليّ تذكر انك عهدتني وأمر نفسي الى مهم فاصبحت وقد وليت أمر هذه الامة بأسرها وكتبت تذكر انه بلغك ان أمر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة ولست ان شاء الله من أولئك وليس هذا زمان ذلك انما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض ، صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرني ماحذرت به الامم من قبلي وقدماً كان يقال : اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار . وكتبت تتعوذ بالله ان تنزل كتابك سوء المنزل وانك انما كتبت به نصيحة ، فصدقت وبررت فلا تدع الكتب اليّ فانه لا غنى بي عن ذلك والسلام

﴿ اجتماع أبي جعفر مع عبدالله بن مرزوق ﴾ وذكروا ان أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فنحوا عن البيت ثم طاف أسبوعه

فوثب اليه عبدالله بن مرزوق: وقال: من جرأك على هذا فلببه
بردائه وهزه وقال له: من جعلك أحق بهذا البيت من الناس
تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه؟ فنظر أبو جعفر في وجهه فعرفه
فقال عبدالله بن مرزوق؟ قال نعم. فقال من جرأك على هذا
ومن أقدمك عليه فقال عبد الله بن مرزوق: وما تصنع بي
بيدك ضراً أو نفع، والله ما أخاف ضرك ولا أرجو نفعك حتى
يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك الى فعله. فقال له
أبو جعفر انك أحللت بنفسك وأهلكتها فقال عبدالله بن
مرزوق: اللهم ان كان بيد أبي جعفر ضري فلا تدع من الضر
شيئاً الا أنزلته على وان كان بيده منفعتي فاقطع عني كل منفعة
منه، أنت يا رب بيدك كل شيء وأنت مليك كل شيء. فامر
به أبو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار
ويبعث اليه بالليل يبيت عنده ويسامره يلبث نهاره بالسجن
اجمع ثم يسامره بالليل ليظهر للناس انه سجن من اعترض عليه لئلا
يجترئ الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلاناً أفلا
يسعني. فكان دأبه هذا معه زماناً طويلاً حتى نسي أمره وانقطع
خبره ثم خلي سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات أبو جعفر

وولي ابنه المهدي . فلما حج المهدي فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله
ابن مرزوق مثل ذلك أيضاً فاراد قتله فقيل له : يا أمير المؤمنين
انه قد فعل هذا بأبيك فكان من صنيعه أن حمله الى بغداد فسجنه
بالنهار وسامره بالليل وأنت أحق من أخذ بهديه واحتذى على
مثاله وورث اكروماته . فحمله المهدي معه فمات ببغداد رحمه الله

﴿ ذكر ما نال مالك بن أنس من جعفر بن سليمان ﴾

وذكروا انه هاج بالمدينة هيج في ابتداء أيام أبي جعفر
فبعث اليها أبو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس
ليسكن هيجها وفتنها ويجدد بيعة أهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً
على أهل الخلاف لهم فاظهر الغلظة والشدة وسطا بكل من
ألحد في سلطانهم وأشار الى المنازعة لهم وأخذ الناس بالبيعة .
وكان مالك بن أنس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً
وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه في علمه أو عمله أو فهمه
أو ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ولم يزل منذ نشأ
كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللب والنبل
ووصل له ذلك بالدين والفضل عرف منه ذلك صغيراً وظهر
فيه كبيراً واستلب الرئاسة ممن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة

الله عليه وسموها به على كل سام فاستدعي ذلك منهم الحسد
له والجأهم ذلك الى البغي عليه ، فدسوا الى جعفر بن سليمان من
قال له ان مالكا يفتي الناس بان ايمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم
لمخالفتك واستكراهك اياهم عليها وزعموا انه يفتي بذلك أهل
المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه . فعظم
ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف أن ينحل عليه ما أبرم من
بيعة أهل المدينة وهمّ ان يبدر فيه بما عافاه الله منه وأنعم على
المسلمين ببقائه فقيل له : لا تبدر فيه ببادرة فانه من أكرم
الناس على أمير المؤمنين وآثرهم عنده ولا بأس عليك منه فلا
تحدث شيئاً الا بامر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بامر
لا يخفى على أهل المدينة . فدس اليه جعفر بن سليمان بعض من
لم يكن مالك يخشى أن يؤتى من قبله ولا من منه يؤتى الحذر
فسأله عن الايمان في البيعة فافتاه مالك بذلك طمأنينة اليه
وحسنه فيه . فلم يشعر مالك الا ورسول جعفر بن سليمان
فيه فاتوا به اليه منتهك الحرمة مذال الهيبة فامر به فضرب
سبعين سوطاً فلما سكن الهيج بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك

ألم الضرب حتى أضجعه .

﴿ انكار أبي جعفر المنصور لضرب مالك ﴾ وذكروا انه لما بلغ أبا جعفر ضرب مالك بن أنس وما أنزل به جعفر ابن سليمان أعظم ذلك اعظاماً شديداً وأنكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به الى بغداد على قتب . وولي على المدينة رجلا من قريش من بني مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء وذلك في شهر رمضان من سنة احدى وستين ومائة . وكتب أبو جعفر الى مالك بن أنس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فابى مالك وكتب الى أبي جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له ببعض العذر اليه . فكتب أبو جعفر اليه ان وافني بالموسم العام القابل ان شاء الله فاني خارج الى الموسم

﴿ دخول مالك على أبي جعفر بمنى ﴾ وذكروا ان مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى أبا جعفر بمنى أيام منى فذكروا ان مطرفاً أخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك قال : قال لي مالك لما صرت بمنى أتيت السرادقات فاذنت بنفسي فاذن لي ثم خرج الي الاذن من عنده فادخلني فقلت للاذن اذا انتهيت بي الى القبة التي يكون فيها أمير المؤمنين

فاعلمني فمر بي من سرادق الى سرادق ومن قبة الى أخرى
في كلها أصناف من الرجال بايديهم السيوف المشهورة والاجزرة
المرفوعة حتى قال لي الاذن هو في تلك القبة ثم تركني الاذن
وتأخر عني فمشيت حتى انتهيت الى القبة التي هو فيها فاذا هو
قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه الى البساط الذي دونه واذا
هو قد لبس ثياباً قصده لا تشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي
عليه وليس معه في القبة الا قائم على رأسه بسيف صلت . فلما
دنوت منه رحب بي وقرب ثم قال هاهنا الي فأومئت
للجلوس فقال هاهنا فلم يزل يدنيني حتى أجلسني اليه والصقت
ركبتي بركبتيه . ثم كان أول ما تكلم به أن قال : والله الذي لا اله
الا هو يا أبا عبدالله ما أمرت بالذي كان ولا علمته قبل ان
يكون ولا رضيته اذ بلغني (يعني الضرب) قال مالك فحمدت
الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم
ثم نزهته عن الامر بذلك والرضاء به . ثم قال يا أبا عبدالله لا
يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين اظهرهم واني أخالك
أماناً لهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة
عظيمة فانهم ما علمت أسرع الناس الى الفتن وأضعفهم عنها

قاتلهم الله أنى يؤفكون. وقد أمرت أن يؤتى بمحمد والله من
المدينة على قتب وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة في امتهانه ولا
بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه . فقلت له
عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم منك قال أبو جعفر
وأنت فعفى الله عنك ووصلك. قال مالك ثم فاتحني فيمن مضى
من السلف والعلماء فوجدته اعلم الناس بالناس ثم فاتحني في العلم
والفقه فوجدته اعلم الناس بما اجتمع عليه وأعرفهم بما اختلفوا
فيه حافظاً لما روى واعياً لما سمع: ثم قال لي: يا أبا عبدالله ضع
هذا العلم ودونه ودون منه كتباً وتجنب شدائد عبدالله بن عمر
ورخص عبدالله بن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد الى اواسط
الامور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم لتحمل
الناس ان شاء الله على علمك وكتبك ونبثها في الامصار ونعهد
اليهم ان لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها . فقلت له أصلح الله
الامير ان أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في علمهم
رأينا فقال أبو جعفر يحملون عليه وتضرب عليه هاماتهم
بالسيف وتقطع طي ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها

فسيأتيك محمد ابني المهدي العام القابل ان شاء الله الى المدينة
ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك ان شاء الله . قال
مالك فبينما نحن قعود اذ طلع له بُنيّ صغير من قبة بظهر القبة
التي كنا فيها فلما نظر اليّ الصبي فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال
له ابو جعفر تقدم ياحبيبي انما هو أبو عبدالله فقيه اهل الحجاز
ثم التفت الي فقال يا أبا عبدالله أتدري لما فزع الصبي ولم يتقدم
فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك مني اذ لم يرَ به أحداً
غيرك قط فلذلك قهقر . قال مالك ثم أمر لى بالف دينار عيناً
ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابني بالف دينار ثم استأذنته فاذن
لى فقمت فودعني ودعا لى ثم مشيت منطلقاً فلحقني الخصى
بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وان
عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها الى غلامه .
فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيت عنها بمنكبي كراهة
احتمالها وتبرءاً من ذلك فناداه ابو جعفر بلغها رحل ابي عبدالله

﴿ما قال ابو جعفر لعبد العزيز بن ابي رْواد﴾ وذكروا
ان ابا جعفر لما دخل في الطواف بالبيت لقى عبد العزيز بن ابى
رواد في الطواف فقبض على يده ثم قال له اتعرفني قال لا الا

ان قبضتك قبضة جبار فقال له انا ابو جعفر امير المؤمنين فسلني
من حوائجك ما شئت اقضها قال اسألك برب هذا البيت ان
لا ترسل اليّ بشيء حتى آتيك طوعاً فقال له ابو جعفر ذلك لك
فاقبل يمشي بمشيته في طوافه وكان شيخاً كبيراً ضعيفاً فتأنف بقربه
وثقل عليه كلامه فقال أسألك بحرمة هذا البيت الا تنحيت عني
فتنحى عنه ابو جعفر وخلى سبيله ٠ وكان عبد العزيز بن ابي رواد
هذا لا يرفع رأسه الى السماء تخشعاً لله فاقام كذلك اربعين سنة

﴿ قدوم المهدي الى المدينة ﴾ وذكروا ان مالك بن أنس
لما اخذ في تدوين كتبه ووضع علمه قدم عليه المهدي بن ابي
جعفر فسأله عما صنع فيما امره به ابو جعفر فاتاه بالكتاب وهي
كتب الموطأ فامر المهدي بانتساخها وقرئت على مالك فلما تم
قراءتها امر له باربعة آلاف دينار ولابنه بالف دينار

﴿ موت ابي جعفر المنصور واستخلاف المهدي ﴾

وذكروا انه لما كانت سنة ست وستين ومائة قدم ابو جعفر مكة
فلما قضى حجه احتضر ثلاثة ايام ثم توفي في اليوم الرابع وولي
ابنه محمد المهدي وكان معه يومئذ بمكة اخوه جعفر ببغداد وكان
قد عهد اليه ابو جعفر فلما قدم المهدي الى بغداد اتاه رجل فقال

له ادرك اخاك جعفر فانه قد هم بمنازعتك وهو يريد خلعك فاخذ في السير ومعه الجنود والاموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب ووجوه قريش . فلما قدم العراق اعتذر اليه جعفر مما رفع اليه عنه وحلف له انه ما نوى ولا اراد منازعته ولا اشار الى خلافه ولا همّ به فقبل منه المهدي ذلك وعفى عنه وكان كريماً سخياً حليما . فلما كان سنة سبع وستين ومائة قدم حاجاً فدخل المدينة زائراً لقبر النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه مالك فحضه على الاحسان الى اهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل اهلها وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : امرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب (وهي المدينة) تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد [1] ثم قال يا امير المؤمنين أفليس هؤلاء أهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهدي بلي والله ياأبا عبد الله حتى لاأجد الا مثل هذا ومد يده ليأخذ من الارض شيئاً فلم يجده

---

(١) المعنى : امرني ربي بالهجرة الى قرية تأكل القرى تظهر عليها وتتغلب على انحائها وان اهلها تغلب أهل سائر البلاد . يقال اكلنا بني فلان غلبناهم وظهرنا عليهم وتنفي الناس أي الخبيث منهم

ثم قال صدقت فيهم وبررت وحضضت على الرشد فأنت أهل ان يطاع أمرك ويسمع قولك فأمر له بخمسة أبيات مال والبيت عندهم خمسمائة ألف وأمر مالكا أن يختار من تلامذته رجالا يثق بهم ويعتمد عليهم يقسمونها على أهل المدينة ويؤثرون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيت أبي بكر وعمر وعثمان ثم أهل بيوت المهاجرين والانصار ثم الذين اتبعوهم باحسان ففعل فاغنى أهل المدينة عامهم ذلك

﴿ ذكر استخلاف هارون الرشيد ﴾ وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة توفي المهدي وذلك انه خرج يوما الى بعض المنازل ومعه أهله وبعض بنيه وكان قد ذكر ان يستخلف ابنه عبد الله بعده ثم غفل عن ذلك وتركه فحمل عبد الله الحرص والطيش الى ان دس على أبيه بعض الجوارى المتمكنات منه بسمه وبذل لها على ذلك الاموال ومناها أماني الغرور . فلما سمته ووصل اليه السم عرف المهدي انه قد قتل فدعا كاتبه فقال له عجل واكتب عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وأمراء الاجناد واكتب بذلك الى ولاة الامصار وكان الرشيد أصغر بنيه وكان ابن

أمة لا يطمع في خلافة ولا يظن بها فأدخله على نفسه وهو
يجود بها والرشيد لا يعلم انه مستخلف. فقال له المهدى: أى بني
والله ما أردت استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك وقد
كان قال لى جدك أبو جعفر وانت يومئذ قد ترعرعت في
أول رؤية رآك: ان ابني هذا الاعين سيلي هذا الامر ويسير فيه
سيرة صالحة فقلت يا أبت أتظن ذلك قال ماهو بالظن ولكنه
اليقين ويكون ملكا بضعا وعشرين سنة وتقتله الحمى الربع
فاندفع الرشيد باكيا فقال له ما يبكيك يافتى: قال: يا أبت انك والله
نعيت لى نفسي وعرفتني متى أموت ومما أموت قال هو ذاك فشمر
واجتهد وجد وخذ بالحزم والكرم ودع الاحن وانظر أخاك عبد
الله فلا يناله منك مكروه فقد عفوت عنه فقال الرشيد يا أبت
وتعفو عنه وقد اتى ما ذكرت وصنع ما وصفت قال يا بني وما
عليّ ان اعفو عمن اكرمني الله على يديه وارجو ان يغفر لي بصنيعته
بي ان شاء الله، عليك يا بني بتقوى الله العظيم وطاعته فاتخذها
بضاعة يأتيك الربح من غير تجارة. أوصيك باخوتك خيراً
وأهل بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم أقبل حسناتهم
وتجاوز عن سيآتهم واغفر زلاتهم واوصيك باهل الحرمين

خيراً فقد علمت منهم وابناء منهم، اجزل لهم العطاء واحسن
لهم الجزاء يكافئك الله في الآخرة والاولى . ثم توفي المهدي
من يومه ذاك واستخلف الرشيد(١) وخرج الى الناس يبايعهم
بوجه طلق ولسان سلط فبايعوه ببغداد وذلك يوم الخميس من
المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة في
المسجد الجامع فلم يختلف عليه احد ولا كره خلافته مخلوق
فاحسن السيرة واحكم امر الرعية وكان اوحد اهل بيته ولم
يشبهه احد من الخلفاء من اهله رحمه الله

﴿ قدوم هارون الرشيد المدينة ﴾ وذكروا انه لما كانت سنة
اربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجاً الى مكة فقدم المدينة
زائراً قبر النبي عليه السلام فبعث الى مالك بن أنس فاتاه فسمع
منه كتاب الموطأ وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق
والشام واليمن ولم يختلف منهم احد الا وحضر الموسم مع الرشيد

(١) وروي عن الثقات وهو الصواب : ان المهدي عزم على خلع
ابنه موسى الهادى والبيعة للرشيد بولاية العهد وتقديمه عليه فبعث اليه
وهو بجرجان فى القدوم عليه فامتنع وضرب الرسول فسار المهدي بريده
فمات في الطريق . ثم بويع بعده للهادي ثم من بعده استخلف الرشيد
ولم يكن له ابن اسمه عبدالله ولعله أراد به موسي والله أعلم

وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذي وضع وكان قارئه
يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما تم قراءته قال هارون لفقهاء
الحجاز والعراق : هل انكرتم شيئاً من هذا العلم ؟ قالوا : ما انكرنا
شيئاً الا ما ذكر من امر الدماء والتدمية في القتل فان هذا
من انكر ما يكون من العلم وابطله . يقول الرجل قتلني فلان
فيقبل منه ويحلف اولياؤه على القاتل خمسين يميناً ثم يقتل واهل
أوليائه لم يحضروا ولم يكونوا بمصره فيعرض بهم الحنث في
الايمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل في ربع دانق
يدعيه الا بينة تقوم ان هذا لهو الضلال . وقد قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه بن عباس حيث قال :
لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء قوم واموالهم ولكن
البينة على المدعى واليمين على من انكر . قال الرشيد ويحكم ان في
كتاب الله ما يصدق ذلك ولا اخال ابا عبدالله أخذه الا من
كتاب الله فاستثبتوه فارسل اليه فاقبل فقال هارون ياابا عبد
الله ان اصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم أثنان في الانكار عليك
فيما وضعت في موطئك من التدمية وتصديق قول من ادعى
وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانقاً الا

ببينة تقوم له فاخبر القوم وأوضح لهم حجتك في ذلك وانا معك عليهم فاني لا اعلم بعد امير المؤمنين احداً اعلم منك . فقال مالك يا امير المؤمنين ان مما يصدق القسامة ما في كتاب الله من القتل والاخذ بالدم الذي كان في بني اسرائيل قال الله عز وجل « اضربوه ببعضها » فذبحت البقرة ثم ضربوه بعضو من اعضائها فحيي القتيل ثم تكلم فقال فلان قتلني فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلمو فالذين أسلموا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله في المرجوم اليهودي الذي زنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه ان يهودياً لقي جارية من جواري الانصار في بعض انقاب المدينة وعليها اوضاح من ذهب وورق فاخذ الاوضاح منها وشدخ رأسها بين حجرين فأدركت الجارية وبها رمق فاتهم بها اليهود فاتى بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهي لا تتكلم حتى اتى بصاحبها الذي قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذي قتلك فأومأت برأسها أن نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدخ رأسه بين حجرين فهذا

يا أمير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله صلى لله عليه وسلم والخلفاء. فقنعوا منه بذلك وصاروا الى الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتأويل ما تأول من القرآن الكريم. ثم قال له مالك: ان اباك يا أمير المؤمنين بعث اليّ في هذا المجلس كما بعث اليّ وحدثته بما حدثتك به في شأن أهل المدينة وما يصيرون عليه من البلاء وشدة الزمان وغلاء الاسعار صبراً على ذلك واختياراً لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون: ذلك ابي وانا ابنه وسوف أفعل ما فعل وأمر لاهل المدينة بعشرة ابيات مال ضعفي ما امر لهم المهدي. وكان ابو يوسف القاضي مع الرشيد يومئذ فسأله ان يجمع بينه وبين مالك ليكلمه في الفقه فقال الرشيد لمالك كلمه يا ابا عبد الله فأنف من ذلك مالك وتنزه عنه وقال لهارون ها هنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين ونخصمه فيما يتكلم به ويذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين اضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي فبعث اليه الرشيد فقال له كلمني بما بدا لك اجاوبك فقال ابو يوسف القاضي يا أمير المؤمنين ان هؤلاء يعني مالك واصحابه

يقضون بغير ما في كتاب الله يقول الله عز وجل « وأشهدوا ذَوَي عدلٍ منكم » وقال « وأشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا تسمع ان الله تعالى ذكر الا شاهدين وأربعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى به وانما يدور هذا الحديث الذي روي فيه سهيل عن ابي صالح عن ابيه ثم نسيه سهيل فكان يحدث ويقول حدثني ربيعة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسيه سهيل بطل الخبر واثبت أصله فلا معنى لذكره قال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضي به عليّ بالكوفة. فقال ابو يوسف: انا اكلمك بالقرآن وأنت تكلمني بافعال الناس اتراك تعرفني بهذا وبما قضى به عليّ وغيره فقال المغيرة فأنت كافر بنبي قضي باليمين مع الشاهد أو مؤمن به فسكت ابو يوسف فحجه المغيرة. فسر بذلك الرشيد وأمر للمغيرة بالف دينار. ثم ارسل الرشيد الى مالك فقال ما تقول في هذا المنبر فاني اريد ان انزع ما زاد فيه معاوية بن ابي سفيان وارده الى الثلاث درجات التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا تفعل يا امير المؤمنين فانما

هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير فان نقضته تفكك
وذهب أكثره ومع هذا انه يا امير المؤمنين لو اعدته الى
ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة يأتي بعدك احد
فيقول او يقال له ينبغي لمنبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان
يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل
من المدينة كلما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أعلم انه تركه له عليه الصلاة والسلام بها لا نعل ولا شعر ولا
فراش ولا عصاة ولا قدح ولا شيء مما كان له ها هنا من آثاره
الا وقد انتقل . فاطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك برأي مالك بن
أنس وكان ذلك رحمة من الله لاهل المدينة وتثبيتاً لمنبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم

﴿ مسير الرشيد الى الفضل بن عياض ﴾ وذكروا
ان الرشيد كان كثيراً ما يتأثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق
وهو لا يعرف . وكان قد قسم الايام والليالي على سبع ليال : فليلة
للوزراء يذاكرهم أمور الناس ويشاورهم في المهم منها وليلة
للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال
المسلمين ويرتب لهم ما ظهر من صلاح أمور المسلمين وليلة

للقواد وأمراء الاجناد يذاكرهم أمر الامصار ويسألهم عن
الاخبار ويوقفهم على ما تبين له من صلاح الكور وسد الثغور
وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه وكان من
أعلمهم . وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعظ برؤيتهم
ويستمع لمواعظهم ويرق قلبه بكلامهم . وليلة لنسائه وأهله
ولذاته يتلذذ بدنياه ويأنس بنسائه . وليلة يخلو فيها بنفسه لا
يعلم أحد قرب أو بعد ما يصنع ولا يشك أحد انه يخلو فيها
بربه يسأله خلاص نفسه وفكاك رقه . فبينما هو يوماً في مجلس
محمد بن السماك وقد قصد لرؤيته يسمع لموعظته ولا يعلم أحد
بمكانه فسمع بعض أهل المجلس يذكر الفضل بن عياض
ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه فاشتهى النظر اليه وتاقت نفسه
الى رؤيته ومحادثته فتوجه من العراق الى الحجاز قاصداً اليه
ومعه عبدالله بن المبارك فقيه أهل بغداد وعالمهم وكان الفضل
ابن عياض يسكن العراق فلما قربا من موضعه قال عبدالله بن
المبارك يا أمير المؤمنين ان الفضل ان عرفك وعرف مكانك
لم يأذن لك عليه ويسفر عنك فقال هارون تستأذن أنت عليه
وتخفي مكاني عنه حتى يأذن بالدخول . فاستأذن عليه ابن

المبارك قال الفضل من بالباب قال ابن المبارك قال مرحباً
يا أخي وصاحبي فقال ابن المبارك ومن معي يدخل فقال الفضل
ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لا أذن لا حاجة
لي برؤية أحد من قريش فقال له ابن المبارك انه من العلم
والعناية والفقه فيه بمكان فقال له الفضل أو ما علمت ان ابليس
أفقه الناس فقال له ابن المبارك انه سيد قريش في زمانه هذا
وفوقهم وانما عنّ انه فوقهم في الدنيا وسيدهم فقال له الفضل
فان كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس
بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له ابن المبارك يا أبا الحسن
أتدري من هذا قال لا أدري فقال له هذا هارون بن محمد
الرشيد أمير المؤمنين فنظر اليه الفضل بن عياض ساعة ثم قال
هذا الوجه الجميل يسأل غداً عن أمة محمد ويؤاخذ بها ان كان
العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه ان هذا لهو الفضل المبين ،
وكان الرشيد من أجمل الناس خلقاً وأحسنهم نطقاً وأبلغهم لساناً
وأعذبهم كلاماً ، وأكثرهم علماً وفهماً . ثم جعل الفضل بن عياض
يعظه ويخوفه حتى بكى هارون بكاءً شديداً : قال : ابن المبارك ما
رأيت أحداً يبكي بكاء الرشيد يومئذ ثم أفاق من بكائه فجعل

الفضل يذكر مثالبه ومثالب أهل بيته ورداءة سيرتهم وخلافهم
الحق ثم لم يدع شيئاً يعيبه به ولا أمراً ينتقصه فيه الا واجهه
به فقال له الرشيد يا أبا الحسن أما لك ذنوب تخاف أن تهلك
بها ان لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما
جعلك باحق أن ترجو المغفرة مني وأنا على دين يقبل الله فيه
الحسنات ويعفو عن السيآت ومع ذلك فاني والله ما كنت
لأخير بين شيء وبين الله الا اخترت الله تعالى على ما سواه ،
الله الشاهد على قولي والمطلع على نيتي وضميري وكفى به
شهيداً . وأنا مع هذا ألى من الاصلاح بين الناس والجهاد في
سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مالا تايه أنت
فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني فسكت الفضل ساعة
ثم قال ما ظلمك من حجك ثم قام هارون للخروج فقال
الفضل يا أمير المؤمنين اني أخشى أن يكون العلم قد
ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد أجل انه ما قلت فلما
قدم الرشيد العراق كان أول ما ابتدأ فيه النظر ان كتب الى
الامصار كلها والى أمراء الاجناد أما بعد فانظروا من التزم
الاذان عندكم فاكتبوه في الف من العطاء ومن جمع القرآن

وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب فاكتبوه في الفي دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » وهم أهل العلم .
قال ابن المبارك : فما رأيت عالماً ولا قارئاً للقرآن ولا سابقاً للخيرات ولا حافظاً للمحرمات في أيام بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم ويروي الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدى عشرة سنة

﴿ ذكر الحائك المتطفل ﴾ وذكروا ان الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار بالرقة قال لوزيره عمرو بن مسعدة ما زلت تكلمني وتستلطفني في الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا درهماً

فاخرج اليه من ساعتك هذه حتى تحل ساحته ثم لا تدع
له حرمة الا انتهكتها ولا اكرومة الا امتهنتها ثم لا تسمع له
حجة يرفعها ولا تقبل منه كلمة ينهيها ، إن اعتذر فلا تقبل له
عذراً ، وان قال فلا تقبل له قولا فشر قائل وأكذب متظلم
فقلت في نفسي أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج
ولكن لم أجد بداً من طاعة أمير المؤمنين اذ كانت ولايته
بسببي فقلت أخرج يا أمير المؤمنين قال فاحلف انك لا
تلبث في بغداد الا يوماً فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد
ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول
اذا رجل يصيح يا ملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب
الى الشط فقال يا سيدي هذا رجل شحاذ وان قعد معك
آذاك فلم يلتفت اليه وامرت الغلمان فادخلوه فقعد فلما
حضر الغداء دعوته فكان يأكل أكل جائع بنهامة الا انه نظيف
الاكل فلما رفع الطعام اردت ان يقوم ويغسل يديه في ناحية
فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له
يا هذا ما صناعتك قال لي حائك فقلت في نفسي هذه شرٌّ من
الأولى ما ألوم غير نفسي اذ لم أقبل ممن نصحني وصرت اواكل

الحوكة فقلت توضأ يا أخي فتوضأ ثم قال لي جعلت فداك قد سألتني عن صناعتي فما صناعتك أنت فقلت في نفسي هذه شر من الاولى وكرهت ان اذكر الوزارة وقلت اقتصر على الكتابة فقلت له كاتب فقال ان الكتابة على خمسة اصناف كاتب رسائل يحتاج ان يعرف الفصل من الوصل والصدور ورقيق الكلام والتهاني والتعازي والترهيب والترغيب والمقصور والممدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلي الناس ونعوتهم وكاتب قاضي يحتاج ان يكون عالماً بالشروط والاحكام عارفاً بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرطة يحتاج ان يكون عالماً بالجروح والقصاص والديات فقيها في احكام الدماء عارفاً بدعوى التعدي وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فايهم انت اعزك الله ؟ قال : فوالله ماقضى كلامه حتى صار أعظم الناس في نفسي وأحبهم الي وصار كلامه عندي اشهى من الماء البارد العذب على الظمآن . فقلت له اصلحك الله تقدم الي وادن مني اكلمك واقعدك المقعد الذي يقعده مثلك فلولا ان من البر يكون

عقوقاً لا قعدتك مقعدي هذا: قال: مقعدي الذي انا به أولى بي.
فقلت امتع الله بك انا كاتب رسائل قال فاخبرني لو كان لك صديق
تكتب اليه في المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت
أمه كيف كنت تكتب اليه تهنئه أم تعزيه؟قلت: والله ما أدري
كيف الوجه في هذا وهو بالتعزية أولى منه بالتهنئة قال صدقت كيف
كنت تعزيه فقلت والله ما اقف على ماتقول قال: فلست بكاتب
رسائل فأيهم أنت؟قلت كاتب خراج قال فما تقول أصلحك الله
وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاء قوم يتظلمون
من بعض عمالك فاردت ان تنظر في امرهم وتنصفهم اذا كنت
تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم
براح فاردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف
في العمود وانظر الى مقدار ذلك قال اذاً تظلم الرجل قلت
فامسح العمود على حدته قال اذاً تظلم السلطان قلت والله ما
أدري قال لست بكاتب خراج فايهم أنت قلت كاتب جند قال
فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما احمد احدهما مقطوع
الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلي كيف كنت تنعتهما
وتحليهما فقلت: كنت اكتب أحمد الأعلم واحمد الإعلم قال

فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذاك الف درهم فيقبض هذا عطاء ذاك وذك عطاء هذا فتظلم صاحب الالف . قلت والله ما أدري قال فلست بكاتب جند فايهم أنت قلت كاتب قاضي قال فما تقول في رجل خلف سرية وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة التي مات الرجل أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذه ابني وقالت هـذه ابني كيف كنت تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟ فقلت والله ما أدري . قال فلست بكاتب قاضي فايهم أنت فقلت كاتب شرطة قال فما تقول في رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة كيف كنت تفرق بينهما فقلت ما أعلم قال فلست بكاتب شرطة . فقلت: أصلحك الله قد سألت ففسر لي ماذكرت : فقال: أما الذي تزوجت أمه فتكتب اليه : أما بعد فان أحكام الله تجري بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك في قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام . وأما البراح فتضرب واحداً وثلثاً في مساحة المعطوف فمن ثم بابه . وأما احمد واحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا احمد

الاعلم والمقطوع الشفة السفلي أحمد الاشرم، وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان أخف فهي صاحبة البنت . وأما صاحب الشجة فان في الموضحة خمساً من الابل وفي المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلثاً فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثاً .
فقلت أصلحك الله فما اتى بك هاهنا قال ابن عم لي كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فألفيته معزولا فقطع بي فأنا خارج اضطرب في المعاش . قلت الست قدذكرت انك حائك؟ فقال: جعلت فداك انما احوك الكلام ولست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وأدخل الحمام وطرحت عليه من ثيابي فلما صرت الي الأهواز كلمت فيه الرجحي فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي فلما صرت الى امير المؤمنين ألفيته قد توقد علي ناراً وامتلأ غيظاً وقد حلف بالمشي الى الكعبة ان ينالني منه يوم سوء لطول مقامي واشتغالي عنه بالرجل فلما دخلت عليه قال ما كان من خبرك في طريقك وما الذي شغلك بعد امري لك ان لا تلبث ببغداد الا يوماً واحداً ويمينك على ذلك؟ فاخبرته خبري حتى حدثته بحديث الرجل وقصتي معه قال لقد جئتني باعظم الفوائد فلاي شيء يصلح ويحك قلت هو

والله يا امير المؤمنين أعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة . فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور وأولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبهم فكنت والله القاه في المواكب العظيمة فينحط عن دابته ساعياً حتى يقبل على يدي يقبلها فأحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك نلتها: ويقول :

فلو ان للشكر شخصاً يرى * اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه فتعلم أني امرؤ شاكر

قال عمرو بن مسعدة: ثم قال لي هارون ويحك لما ابطأت على حلفت بالمشي الى الكعبة ان ينالك مني يوم سوء ولا والله ما هذا جزاؤك لدي فما الرأى فقلت يا أمير المؤمنين انت أعلى عيناً وأولى من بر يمينه فقال والله ما اريد ذلك قلت فليكفر امير المؤمنين يمينه فان النبي عليه السلام قال : من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر وليأت الذي هو خير . فقال : ويحك ان العلماء لم يروا الكفارة في هذا وانما تأولوا قوله عليه السلام في الايمان بالله تعالى وقد اجمعت على المشي والمضي الى الكعبة راجلا فقلت انى لك بذلك وكيف تصل راجلا قال لا بدّ من

ذلك فقال عمرو يا امير المؤمنين فامهل عاملك هذا وتأنّ حتى
اسهل لك طريقاً واجدد لك مراحل واوقت لك مواقيت
يسهل عليك ذلك ان شاء الله قال ذلك لك . فامر عمرو
بالانهار فعرجت عن مسيلها وبالآكام والجبال فسويت وبالخنادق
والاودية فردمت حتي صارما بينه وبين مكة كالراحة الموزونة
وصارت الانهار والاودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل
قد حدد له عند كل مرحلة حداً وابتني في كل مرحلة داراً وكانت
المرحلة بريداً قدرها اثنا عشر ميلا ثم امر بالمراحل ففرشت
بالبسط الرهاوية ونصب له جداراً بالستور وسمكها باكسية
الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة قد
اقام فيها الفرش الممهدة وقد احاطها الظلال الممدة بالرواقات
الكثيفة فيها أنواع الطعام والشراب وألوان الفواكه . فلما
تم صنعه ذلك وابرم أمره قال يا أمير المؤمنين قد تم ما أردته .
وكمل ماحاولته فانهض على اسم الله العظيم . وكانت زبيدة
زوجته التي قد أغرته عليه وحملته على اليمين لمعاقبته فخرج الرشيد
ماشيا ومعه دابته وزبيدة فكانت المرحلة تفرش والستور
تنصب والسمك ترفع فيمشي ثلاثة أميال ثم ينزل في قبة أمامها

رواق فينال راحته ويصيب مااشتهى من لذة في مأكل ومشرب
ثم ينهض ثلاثة أخرى فينزل على مثل ذلك فاذا استكمل
مشى أربع فراسخ نزل في قصر قد شيد له ودار قد بنيت فيها
حمام طيب ينال فيها راحته مع أهله ويصيب لذته مما شاء وكيف
شاء ثم يكسر فيه يوما ثم يخرج في اليوم الثاني الى مثل ذلك
قد شايعه في طريقه الوزراء والقواد وأمراء الاجناد والعلماء
والفقهاء والجنود والعساكر قد صاروا منه بمعزل يحاذونه في
طريقه واذا نزل في الرواق صار الخصيان حوله بحيث يسمعون
كلامه ولا يرون شخصه فلا يشتهي شيئا من معرفة أخبار
الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يامر فيه بايصاله لحيث
شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالي فيأتيه الجواب من
يومه على النجائب من مسيرة ثمانية أيام ويأتيه الجواب من
يومه من مسيرة شهر ونحوه على أجنحة الحمام، يعلق الكتاب
في جناحه فيرتفع في الجوّ ارتفاعا يغيب شخصه عن من في
الارض وينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لا يستقر
نزوله حتي يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما أحب ثم
يسرح غيره فيرتفع في الجو حتى يوازي وطنه وموضعه من

بعد تلك الاماكن التي عليها طريق أمير المؤمنين فيؤخذ
الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لايهتمون بغير ماقلدوا
ولا يتشاغلون بغير ماحملوا فلم يزل كذلك ماشيا حتى وصل
الى مكة في ثلاثة أشهر فقضى حجه وشهد مناسكه ومشاعره
ثم انصرف قافلا الى بغداد وذلك فى آخر شهر ذى الحجة من
سنة ثمانين ومائة . فلما هم بالانصراف وذكر القفول الى
العراق رفع اليه أهل مكة كتابا يسألونه فيه ان يولى عليهم
قاضيا عدلا فادخلهم على نفسه فقال ان شئتم فاختاروا منكم
رجلا صالحا أوليه قضاءكم وان أحببتم بعثت اليكم من العراق
رجلا لاآلوكم فيه الا خيرا فخرجوا فاختاروا رجلا فاختلفوا
فيه فاختارت طائفه منهم رجلا واختارت أخري رجلا آخر
فلما اختلفوا ارتفعوا الى الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم
هارون ادخلوا عليّ هذين الرجلين اللذين اختلفتم فيهما فاذا
برجلين أحدهما شيخ من قريش والآخر غلام حدث من
الموالي فلما نظر اليهما الرشيد قال للشيخ ادن مني فدنا منه فقال
له الرشيد : أيها القاضى ان بيني وبين وزيري هذا خصومة
وتنازعا فاقض بيننا بالحق فقال الشيخ: قصا عليّ قصتكما فقصا

عليه فقال الشيخ تقيم البينة ياأمير المؤمنين على ماذكرته أو
يحلف وزيرك هذا فقال له هارون ان أخي لا يدافعني ماأقول
ولا ينكر الا قليلا مما ادعى فلم يزالا يترددان القول بينهما
ويتنازعان حتى قضى القاضى لامير المؤمنين على الوزير فقال
له قم فقام عنه . ثم دعا بالغلام الحدث الذي دعته الطائفة
الاخري فدخل عليه فقال له ادن مني فدنا منه فقال لههارون
ان بيني وبين وزيري تنازعا وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض
بيننا بالحق . قال لهما: ان مقعدكما مختلف ومجلسكما متنائى
واخشى اذا اختلف مجلسكما ان يختلف قولكما فاذا تفاضل
مجلس الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس
الارفع ألحق بحجته وادحض لحجة صاحبه وكان اصغاء الحاكم
الى صاحب المجلس الارفع أكثر واليه أميل ولكن تقومان
من مجلسكما هذا الذى قد استعليتما فيه فتجلسا بين يدي ثم
أسمع منكما قولكما واقضي لمن رأيت الحق له ثم لا ابالي على
من دار منكما . فقال الرشيد صدقت وبررت في قولك فقام
الرشيد وقام عمرو بن مسعدة حتى صارا بين يديه جالسين فلما
جلسا بين يديه ذهب الرشيد ليتكلم فقال له القاضي لو تركت

هذا يتكلم فانه أسن منك فقال الرشيد ان الحق اسن منه
فقال القاضي بلي ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لحويِّصة ومُحيِّصة كبّر كبّر. يريد ليتكلم عمكما لانه أسن منكما
واكبر فتكلم عمرو بن مسعدة ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة وترافعا
الحجة بينهما حتى رأى القاضي ان الحق لعمرو فقضى له به على
الرشيد فلما قضى عليه قال لهما عودا الى مجلسكما فعادا فعجب الرشيد
من قضائه وعدله واحتفاظه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال ان هذا
أحق بقضاء القضاة من الذي استقضيناه فقال عمرو بلي والله
ولكن القوم أحق بقاضيهم الا أن يأذنوا فيه فدعا الرشيد
برجال مكة فأدخلهم على نفسه واجزل لهم العطاء وأحسن على
قاضيهم الثناء ثم قال لهم هل لكم أن تأذنوا اوليه قضاء القضاة
فيسير الى العراق يقضي بينهم فقالوا نعم يا أمير المؤمنين أنت
احق به نؤثرك على انفسنا. فارسل اليه الرشيد فقال انى قد
وليتك قضاء القضاة فسر الى العراق لتقضى بينهم وتولى
القضاة في البلدان والامصار من تحت يدك وتوليتهم اليك
وعزلهم عليك فقال القاضي ان يجبرني أمير المؤمنين على ذلك
فسمعاً وطاعة وان يخيرني في نفسي اخترت العافية وجوارهذا

البيت الحرام فقال الرشيد ماينبغي لي ان ادع المسلمين وفيهم مثلك لا أوليه عليهم فخذ على نفسك فاني مصبح على ظهر ان شاء الله . فخرج الرشيد ومعه الفتى حتى قدم العراق فولاه القضاء وجعل اليه قضاء القضاة فلم يزل بها قاضياً حتى توفي وذلك بعد ثلاثة اعوام من توليته . فلما توفي اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم عليه . فسأل عن قاضي يوليه قاضي القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشرة رجال من خيار الناس وعلمائهم وأشرافهم فلما رفعت اليه التسمية امر بهم فادخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فامر به فقدم اليه فلما صار بين يديه قال له: ما اسمك ؛ قال معشوق قال فما كنيتك قال: ابو الهوي . قال فما نقش خاتمك قال: دام الحب دام وعلى الله التمام . فقال له قم لا قمت ثم دعا بالآخر وكان قد تفرس فيه ما تفرس في صاحبه فقال له ما نقش خاتمك فقال «مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» فقال له اخرج . فدعا الرشيد يحيي بن خالد بن برمك وكان ممن رفع اليه اسماءهم فعنفه بهم وقال رفعت اليّ اسماء المجانين قال له والله ما في العراقيين أعقل من الرجلين اللذين

سألت ولا أفضل منهما فقال ويحك اني اختبرت منهما جنوناً
قال يحيي انهما والله كانا كارهين لما دعوتهما اليه وانما ارادا التخلص
منك قال ويحك اعدهما على فطلبا فلم يوجدا .

﴿ ذكر الاعرابي مع هارون الرشيد ﴾ وذكروا ان
أعرابياً قدم على هارون الرشيد مستجدياً فاراد الدخول عليه
فلم يمكنه ذلك فلما رأى انه لم يؤذن له اتى عبد الملك بن الفضل
الحاجب فقال له توصل كتابي هـذا الى امير المؤمنين وكان
الرشيد قد عهد الى حاجبه ان لا يحبس عليه كتاب احد قرب
أو بعد فاعطاه الاعرابي كتاباً فيه أربعة أسطر . السطر الاول
فيه : الضرورة والامل قاداني اليك . والثاني : العدم يمنع من الصبر
والثالث : الانقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء . والرابع : فاما
نعم مثمرة واما لا يائسة مريحة . فلما وصل الكتاب الى الرشيد
قال : هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقة فليدخل
فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحويجاتك تقض كلها
فقال الاعرابي : تأمر لي يا أمير المؤمنين بكلب اصيد به فضحك
الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تأمر لي يا
أمير المؤمنين بدابة اركبها فقال الرشيد قد امرنا لك بدابة

تركبها فقال تأمر لي يا أمير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له الرشيد قد أمرنا لك بغلام. قال الاعرابي : تأمر لي ياأمير المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد أمرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال الاعرابي لا بد لهؤلاء من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدار قال الأعرابي ياأمير المؤمنين يصيرون فيها عالة وعليّ كلالة لا بد لهم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيد قد اقتطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة فقال الاعرابي وما الغامرة ياأمير المؤمنين قال الرشيد غير معمورة تأمر بعمارتها فقال الاعرابي انا أقطعتك الف الف جريب من أرض أخوالي بني أسد بالحجاز تأمر بعمارتها فضحك الرشيد وقال قد أقطعتكها عامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حوائجك كلها ياأعرابي. فقال نعم وبقيت حاجتي العظمى فقال له الرشيد ارفعها تقض فقال أقبل رأسك ياأمير المؤمنين فقال له الرشيد هذا لا سبيل اليه فقال الاعرابي أتمنعني حقا هو لي وتدفعني عما بذلت لي ياأمير المؤمنين فقال الرشيد هذا الامر لا يكون ياأعرابي ولا سبيل الى مثل هذا فقال الاعرابي لا بد من ان

أصل الي حقي الا أن أغصبه فقال له الرشيد ياإعرابي اشتري
منك هذا الحق الذي وجب لك فقال له الاعرابي هذا الحق
مما لا يشتري وهل في الارض من المال مايكون ثمنا لهذا أو
عوضا منه لا والذي نفسي بيده مافي الدنيا صفراء ولا بيضاء
يشتري بها هذا فقال الرشيد تبيعه ببعض ماتراه من الثمن فانه
لا يكون ولا يتوصل اليه فقال له الاعرابي فاذا قد أبيت فاعطني
مما أعطاك الله فامر له بمائة الف دينار فأتي بها اليه فقال الاعرابي
ما هذه فقيل له هذه مائة الف دينار تأخذها فقال الاعرابي
هي للغرماء عليّ وهم أولى بها مني . فضحك الرشيد ثم أمر له
بمائة الف أخرى فقال ما هذه فقيل له مائة الف ثانية والاولى
للغرماء وهذه لك فقال الاعرابي هذه لضعفاء أهلي يصلهم
بها أمير المؤمنين فبما اوسع على نفسي فأمر له الرشيد بمائة الف
ثالثة فقيل له هذه مائة الف ثالثة توسع بها على نفسك في
معيشتك ارضيت يا اعرابي فقال نعم رضيت فرضي الله عنك
يا أمير المؤمنين وابني فضالة يقرأ السلام عليك ويسألك مائة
الف يستعين بها في نكاحه ويتزين بها في دنياه وانه قد جمع
القرآن وعرف شرائعه واحكامه وعلم ناسخه ومنسوخه وتفنن

في ضروب من العلم واحكم انواع الادب وقد جمع الدواوين
والكتب وتبحر في فهم الحديث والاثر، فداخذ من كل علم
اهذبه ومن كل ضرب امحضه الى لب لبيب وعقل رصين وعلم
ثابت ونظر عجيب وفضل ودين يصوم النهار كله ويقوم الليل
اكثره وقد صار في كثير من الاهل والعيال وعدد من البنين
والصبيان فقال الرشيد اولست تذكر يا اعرابي انه يريد
الاستعانة على النكاح والتوسع في المعاش ثم اراك تصفه بكثرة
العيال وعدد البنين والصبيان فقال الاعرابي يا أمير المؤمنين
انه ذو ثلاث نسوة من حرائر النساء وتسعة من سرائر الاماء
وهو ذو خمسة من الولد من كل حرة وذو سبع بنات من كل
امة ويبتغي نكاح الرابعة الحرة استتماماً لما امر الله به في التنزيل
المحكم واباح في كتابه الناطق بكلامه الصادق فقال الرشيد
يا اعرابي لقد سألت كثيراً فهلا سألت مائة الف درهم فيعطاها
قال الاعرابي فاعطه يا أمير المؤمنين تسعين الف دينار واحطط
عنك عشرة آلاف دينار فقال الرشيد والله لقد سألت كثيراً
وحططت قليلا قال الاعرابي انما سألتك يا أمير المؤمنين على
قدرك وحططت على قدري فاختر ما شئت فقال الرشيد يا

اعرابي انما تريد مغالبتي لاغلبتنى اليوم فامر له بمائة الف دينار ذهباً فقال له امير المؤمنين ارضيت يا اعرابى فقال ما بقي لي شيء يا امير المؤمنين الا الحملان والكسوة وطرائف الكوفة وتحف البصرة وجوائز الضيافة وحقها فقال الرشيد وما يصلح لك من الحملان يا اعرابى . فقال: اقصد ما يكون دابة للجمال واخرى للحملان وثلاثة للاسترسال ولابني مثل ذلك ومن الكسوة ما لا بد منه من ثياب المهنة والاستشعار وما لا غنى عنه من الوطاء والدثار مع زائغ الثياب التى تكون للجمال والجماعات والاعياد ولابنى وبني ابني مثل ذلك . فدعا الرشيد بجعفر بن يحيي وقال ارحني من هذا وأمر له بما سأل من الحملان وما اراد من ثياب المهنة والجمل واغدق عليه من التحف والطرائف ما ترضيه بها واخرجه عني فخرج جعفر فامر له بما سأل واعطاه ما اراد . ثم انصرف الاعرابى راجعاً الى الحجاز باموال عظيمة لا يوصف اكثرها ولا يعرف اقلها وكل هذا يقل عند ما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

﴿ قتل جعفر بن يحيي بن برمك ﴾ قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثني سهل بن هارون : قال : والله كان سجاعو الخطب ومحبرو

القريض اعيالا على يحيي بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيي .
ولو كان كلام يتصور دراً ، ويحيله المنطق السري جوهراً لكان
كلامهما والمنتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد
في بديهته وتوقيعاته في اسافل كتبه عيين ، وجاهلين اميين
ولقد عبرت معهم و ادركت طبقة المتكلمين في ايامهم
وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل الا فيهم ولم تكن مقصورة
الا عليهم ولا انقادت الالهم وانهم محض الانام ، ولباب الكرام
وملح الايام عتق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق وسهولة
لفظ ونزاهة نفس واكتمال خصال حتى لو فاخرت الدنيا
بقليل أيامهم والمأثور من خصالهم كثير أيام من سواهم من
لدن آدم أبيهم الى نفخ الصور وانبعاث أهل القبور حاشا أنبياء
الله المكرمين وأهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم ، ولا
عولت في الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم
وكريم اعراقهم وسعة آفاقهم ورفق ميثاقهم ومعسول مذاقهم
وسنا أشراقهم ونقاوة أعراضهم وطيب اغراضهم واكتمال
خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم في جنب محاسن المأمون
كالنفثة في البحر ، وكالخردلة في المهمه القفر . قال سهل : اني

لمحصل أرزاق العامة بين يدى يحيي بن خالد في داخل سرادقه
وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقدها جهلا بكفه اذ غشيته
سامة وأخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك ياسهل طرق النوم
شفري عيني وأطلت السنة خواطري فما ذاك ؟ قلت : طيف
كريم ان أقصيته أدركك وان غالبته غلبك وان قربته روحك
وان منعته عنتك وان طردته طلبك . فنام أقل من فواق بكيه
أو نزح ركيَّة ثم انتبه مذعوراً فقال يا سهل لامر كان ذهب
والله ملكنا وذل عزنا وانقطعت أيام دولتنا فقلت وما ذاك
أصلح الله الوزير . قال كأن منشداً أنشدني :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته عن غير روية ولا اجالة فكر :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فوالله مازلت أعرفها فيه وأراها ظاهرة منه الى الثالث
من يومه وانى لفي مقعدي ذلك بين يديه اكتب توقيعات
في أسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه قد كلفنى اكمال معانيها
باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا ساعياً اليه حتى أومأ مكبا
عليه فرفع رأسه وقال مهلا ويحك ماأكتتم خيرا ولا أستر

شراً قال له قتل أمير المؤمنين الساعة جعفراً قال أو فعل قال نعم فما زاد أن رمي بالقلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل : فلو انكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم . وضم يحيي وبقية ولده والفضل ومحمداً وخالداً بنيه وعبد الملك ويحيي وخالداً بني جعفر بن يحيي . والعاسي ويزيداً ومعمراً بني الفضل بن يحيي . ويحيي وجعفراً وزيداً بني محمد بن يحيي . وابراهيم ومالكا وجعفراً وعمرو بني خالد بن يحيي ومن لف لفهم أو هجس بنفسه أمل فيهم . قال سهل وبعث الىّ الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فدخلت ولبست ثياب أحزاني وأعظم رغبتي الى الله الاراحة بالسيف والا نعيت كما نعي جعفر . فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر في تعرض ريقي والتماية في طريقي وشخوصي الى السيف المشهور ببصري فقال لي هارون : ايها يا سهل من غمط نعمتي واعتدى وصيتي وجانب موافقتي أعجلته عقوبتي . فوالله ما وجدت جوابها حتى قال ليفرخ روعك وليسكن جاشك

ولتطب نفسك واتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك قربت منك وأبقت عليك بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك ، فاقتصر على الاشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر : وهو يقول :

من لم يؤدبه الجميل * ففي عقوبته صلاحه

قال سهل: فوالله ما أعلمني أني عييت بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت في شكره والثناء عليه الا على تقبيل يديه وباطن رجليه: ثم قال لي: اذهب فقد أحللتك محل يحيى ابن خالد ووهبتك ما ضمته ابنيته وحوى سرادقه فاقبض الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله . قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس فأحصيت جباءهما فوجدت عشرين الف الف دينار . ثم قفل الى بغداد راجعاً وفرق البرد الى الامصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر فنصبت مفصلة على ثلاثة جذوع رأسه في جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط وبعض جسده في جذع آخر في آخر الجسر الاول وأول الجسر الثاني وباقيه في جذع على آخر الجسر الثانى مما يلي بغداد . قال سهل فلما

دنونا من بغداد طلع الجسر الذي فيه وجه جعفر لنا أولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس . فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه وأنا عن يمينه وعبدالملك بن الفضل عن يساره فلما نظر اليه الرشيد كأنه قنئ شعره وطلى بنور بشره أربد وجهه وأغضى بصره قال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين فقال الرشيد: واغرورقت عيناه حتى لمرفنا الجهش في صدره : من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ، ومن أراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحاته . علي بالنضاحات قال سهل فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو : يقول : أما والله لئن ذهب أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل وأمر بضم أموالهم فوجد من العشرين الف الف التي كانت مبلغ جبايتهم اثنى عشر الف الف مكتوب على بدورها صكوك مختومة تفسيرها رقيا حبوابا فما كان منها حباء على غريبة أو استطراف ملحة تصدق يحيي بها وأثبت ذلك في ديوانها على تواريخ أيامها وساعات أعطياتها فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة . وقبض من سائر أموالهم ثلاثين الف الف وستمائة الف وستين

الفاً الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم
والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يصف أقله ولا يعرف
اكثره الا من أحصى الاعمال وعرف منتهى الآجال .
وأبرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدي فوالله ما علمته
عاش ولا عشن الا من صدقات من لم يزل متصدقاً عليه
وصار من مَوْجدة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على
آخر ملكه . وكانت أم جعفر بن يحيى فاطمة بنت محمد بن
الحسن بن قحطبة بن شبيب قد أرضعت الرشيد مع جعفر
وكان ربي في حجرها وغذي برسلها لان أمه ماتت عن مهده
فكان الرشيد يشاورها مظهراً لاكرامها والتبرك برأيها وكان
قد آلى على نفسه وهو في كفالتها ان لا يحجبها وأن لا تستشفعه
لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه الا مأذوناً
لها ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فكت
ومبهم عنده فتحت ومنغلق منه فرجت . قال واحتجب الرشيد
بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة ومتت بوسائلها
اليه فلم يأذن لها ولا امر بشيء فيها فلما طال ذلك بها خرجت
كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية في مشيتها حتى صارت بباب

قصر الرشيد فدخل عبدالملك بن الفضل الحاجب: فقال: ظئر امير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شماتة الحاسد الى حنين الوالد وشفقة أم الواحد فقال له الرشيد ويحك يا ابن الفضل او ساعية فقال نعم اصلح الله امير المؤمنين حافية فقال: ادخلها يا عبدالملك فرب كبد كريم غذتها وكربة كشفتها وفرجة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فوالله ما شككت في شيء قط ما شككت يومئذ في طلابها واسعافها بحاجتها . فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفياً حتى تلقاها بين عمد المجلس فاكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم اجلسها معه فقالت: يا أمير المؤمنين: أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفاً لك الاعوان ، يحردك بنا البهتان ويوسوس لك بأذانا الشيطان وقد ربيتك وأخذت برضاعي لك الامان من دهري . فقال لها وما ذلك يا أم الرشيد . قال سهل: فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخراً ما كان اطمعني منه في بره بها اولا . قالت له ظئرك يحيي وأبوك بعد ابيك ولا ارشحه باكثر مما عرفه به امير المؤمنين من نصيحته له واشفاقه عليه وتعرضه للحتف في شأن موسى أخيه فقال: يا أم الرشيد: قدر سبق وقضاء حم وغضب من الله نزل قالت يا أمير المؤمنين يمحو

الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . فقال الرشيد صدقت فهذا مما لا يمحوه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين وكيف عنك يا أمير المؤمنين . قال سهل فاطرق الرشيد يسيراً ثم قال :

واذا المنية انشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما أنا ليحيي بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قيل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فاطرق هارون قليلاً ثم قال :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وهو يقول :

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني * يمينك فانظر أي كف تبدل

قال الرشيد رضيت فقالت يا أمير المؤمنين فهبه لله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترك شيئاً لله لم يوجده الله . فاكب الرشيد ملياً ثم رفع رأسه وهو يقول : لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ثم قالت أذكرك يا أمير المؤمنين بأليتك ان لا استشفعتك الا شفعتني فقال وانا

اذكرك يا أم الرشيد بأليتك ان لا شفعت لاحد تعرض لدنيا . قال سهل فلما رأته صرح بنعها ولا ذعن مطلبها اخرجت له حقاً من زمردة خضراء فوضعته بين يديه فقال الرشيد ما هذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فاخرجت منه خذاءه وحفضه وذؤابته وثناياه وقد غمس ذلك بمسك نثير في الحق فقالت يا أمير المؤمنين استشفع اليك واستعين بالله وبما صار مني من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك وخثرك فاخذ الرشيد جميع ذلك فلثمه ثم استعبر وبكي بكاء شديداً وبكي أهل المجلس ومضى البشير الى يحيي فلم يظن الا ان البكاء رحمة عليه ورجوع الرشيد عنه فلما افاق من بكائه رد جميع ذلك في الحق وقال لها لحسناً ما حفظت الوديعة فقالت فأهل للمكافأة انت يا أمير المؤمنين فسكت وضم الحق ودفعه اليها وقال « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها» قالت وقال عز وجل «واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم» فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد قالت ما أقسمت لى به يا أمير المؤمنين ان لا يحجبك عني حاجب فقال لها يا أم الرشيد احب ان تشتريه محكمة فيه قالت انصفت يا أمير المؤمنين وقد

فعلت غير مستقبلة لك ولا راجعة عنك قال بكم قالت برضاك
عن من لم يسخطك قال: ياأم الرشيدأمالي عليك من الحق مثل
الذي لهم ؟قالت: بلى يا أمير المؤمنين انك لاعز عليّ وهم احب
اليّ . قال لهافتحكمي في ثمنه بغيرهم قالت بلى قدوهبتكه وجعلتك
في حل منه وقامت عنه فبقي الرشيد مبهوتاً ما يحير لفظة
قال سهل وخرجت عنه فلم تعد اليـه ولا والله ان رأت عيني
لعينها عبرة ولا سمعت أذني لنعيها انةً . قال سهل وكان
الامين رضيع يحي بن جعفر فمت اليه يحي بن خالد بذلك
فوعده استيهاب أمه اياهم ثم شغله اللهو عنهم . فكتب اليه
يحيى وقيل انها لسليمان الاعمى أخي مسلم بن الوليد :

يا ملاذي وعصمتي وعمادي * ومجيري من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء في كل قلب * زاد فيـه البـلاء كل مزاد
انمـا أنت نعـمة أعقبتهـا * أنعم نفعهـا لكل العباد
وعد مولاك أتممنه فأبهى الدر * ما زين حسـنه بانعقـاد
ما أظلت سحائب اليأس الا * خلت في كشفها عليك اعتمادي
إن تراخت يداك عني فواقاً * أكلتني الايام أكل الجراد

وبعث بها اليه فبعثها الامين الى أمه زبيدة فاعطتها الرشيد وهو

في موضع لذاته وفي اقبال من أريحيته وتهيأت للاستشفاع وهيأت جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض حبوته حتى وقع في أسفلها : عظيم ذنبك أمات خواطر العفو عنك . ورمى بها الى زبيدة فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه . قال واعتل يحيي فلما أشفى دعا برقعة فكتب في عنوانها ينفذ امير المؤمنين الرشيد ابقاه الله عهد مولاه يحيي ابن خالد وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم لموضع الفصل وأنت على الاثر والله الحكم العدل . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدي توصله الى امير المؤمنين فانه ولي نعمتي واحق من نفذ وصيتي . فلما مات اوصل السجان عهد يحيي الى الرشيد فلما قرأه استمد فكتب ولا ادرى لمن الرقعة . فقلت يا أمير المؤمنين ألا أكفيك قال كلا اني اخاف عادة الراحة ان يقوي سلطان العجز فيحكم بالغفلة ويقضي بالبلادة . قال سهل فوقع فيها : الحكم الذي رضيت به في الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك في الدنيا وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه ثم رمى بالكتاب الي . فلما رأيته علمت انه ليحيى وان الرشيد اراد ان يؤثر الجواب عنه . قال سهل قلت لبعض من اثق بوفائه واعتقد

صدق اخائه من خصيان القصر المتقدمين عند أمير المؤمنين
والمتمكنين من كل ما يكون لديه :ما الذي يعني جعفر بن يحيى
وذويه عند أمير المؤمنين وما كان من ذنبه الذي لم يسعه عفوه
ولم يأت عليه رضاه ؟فقال: لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان
والله جعفر على ما عرفته عليه وفهمته عنه من اكتمال خصال
الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحذور الا ان القضاء
السابق والقدر النافذ لا بد منه كان من أكرم الخلق على أمير
المؤمنين وأقربهم منه وكان أعظمهم قدراً وأوجبهم حقاً فلما علم
ذلك من حسن رأي أمير المؤمنين فيه وشديد محبته له استأذنته
أخته فاختة بنت المهدي شقيقته في اتحاف جعفر ومهاداته فاذن
لها وكانت قد استعدت له بالجواري الرائعات والقينات الفاتنات
فتهدى له كل جمعة بكراً يفتضها الى مايصنع له من ألوان
الطعام والشراب والفاكهة وأنواع الكسوة والطيب كل ذلك
بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمانا ومضت به
اعواماً فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى
استعدت له ولم يرع جعفر الا بفاختة ابنة المهدي في القصر
كأنها جارية من الجواري اللاتي كن يهدين له فأصاب منها

لذته وقضي منها حاجته ولا علم له بذلك . فلما كان المساء وهم
بالانصراف أعلمته بنفسها وعرفته بأمرها واطلعته على شديد
هواها وافراط محبتها له فازداد بها كلفاً وبها حبا ثم استعفاها
من المعاودة الى ذلك وانقبض مما كان يناله منها من جواريها
واعتذر بالعلة والمرض فاعلم جعفر أباه يحيي فقال له يابني اعلم
أمير المؤمنين ما كان معجلا والا فاذن لى فاعلمه فاني أخاف
علينا منه يوم سوء ان تأخر هذا وبلغه من غيرنا واعلامك له
في هذا الوقت يسقط عنا ذلك الذنب فهي أحق بالعقوبة منك
قال جعفر لا والله لا أعلمته به أبدا فالموت على أيسر منه وارجو
ان لا يطلعه الله عليه فقال له يحيي لاتظن هذا يخفى عليه فاطعني
اليوم واعلمه فقال جعفر والله لا أفعل هذا أبدا ولا أتكلم به
وبالله أستعين فلم يرع الرشيد أن رفعت اليه جارية من جواريها
رقعة واعلمت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد باستعفاء
جعفر لما كان من اتحافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه
فغفل عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاد له الا كرامة
ولا لديه الا حرمة ورفعة حتى قرب وقت الهلاك ودني
منقلب الحتف والله أعلم * تم بعون الله تعالى مابه ابتدأنا وكمل

وصف ماقصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب أيامهم وانتهينا الي أيام الرشيد ووقفنا عند انقضاء دولته اذ لم يكن في اقتصاص أخبار من بعده ونقل حديث مادار على أيديهم وكان في زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضى أمرهم وصار ملكهم الى صبية اغمار غلب عليهم زنادقة العراق فصرفوهم الى كل جنون وادخلوهم الى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا بلهوهم واستغنوا برأيهم . وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شأنه معظما للخير وأهله محباً لله تعالي ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة أخذته الحمي التي أخبر بها جده أبو جعفر المنصور وهو في المهد صغيراً فعرف انه قد دنى أجله وحان هلاكه فاجتمع اليه أطباء العراق يعالجونه ثم استعان بأطباء الروم والهند واستجلبهم من الآفاق فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أعوام ولا أقلعت عنه ولا يزيده العلاج الا شدة . فلما دخلت سنة أربع وتسعين ومائة أثرت به وانهكت بدنه واشتد ألمه وتمادى به وجعه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكان ابنها منه محمد الامين هجرته وتغاضت

عنه وأكربها ذلك وأغمها حتى ظهر ذلك عليها وأثر الغم في
وجهها فدخلت عليه تعاتبه في ذلك أشد المعاتبة وتؤاخذه أعنف
المؤاخذة : فقال لها الرشيد: ويحك انما هي أمة محمد ورعاية من
استرعاني الله تعالى مطوقا بعنقي وقد عرفت ما بين ابني وابنك
ليس ابنك يازبيدة أهلا للخلافة ولا يصلح للرعاية . قالت ابني
والله خير من ابنك واصلح لما تريد ليس بكبير سفيه ، ولا صغير
فهيه ، أسخى من ابنك نفساً واشجع قلبا: فقال هارون: ويحك
ان ابنك قد زينه في عينيك مايزين الولد في عين الابوين فاتق
الله فوالله ان ابنك لأحب الي الا انها الخلافة لا تصلح الا لمن
كان لها أهلا وبها مستحقا ونحن مسؤولون عن هذا الخلق
ومأخوذون بهذا الانام فما أغنانا ان ناقى الله بوزرهم وننقلب
اليه باثمهم فاقعدي حتى أعرض عليك ما بين ابني وابنك . فقعدت
معه على الفراش فدعا ابنه عبدالله المأمون فلما صار بباب المجلس سلم
على أبيه بالخلافة ووقف طويلا وقد طأطأ برأسه وأغض ببصره
ينتظر الاذن حتى كادت قدماه ان ترما ثم اذن له بالجلوس فجلس
فاستأذن بالكلام فامر له . فتكلم فحمد الله على ما من به عليه
من رؤية ابيه ويرغب اليه في تعجيل الفرج مما به ثم استأذن

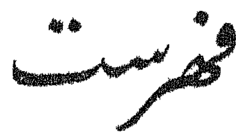
في الدنو من ابيه فدنا منه وجعل يلثم اسافل قدميه ويقبل باطن راحتيه، ثم انثنى ساعياً الى زبيدة فاقبل على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم انحنى الى قدميها ثم رجع الى مجلسه فحمد الله اليها فيما منّ به عليها من رضى ابيه عنها وحسن رأيه فيها ويسأله تعالى العون لها على بره وأداء المفروض عليها من حقه ويرغب ان يوزعها شكره وحمده : فقال الرشيد: يابني اني اريد ان اعهد اليك عهد الامامة واقعدك مقعد الخلافة فاني قد رأيتك لها أهلا وبها حقيقاً ، فاستعبر عبد الله المأمون باكياً وصاح منتحباً يسأل الله العافية من ذلك ويرغب اليه ان لا يريه فقد ابيه : فقال : له يا بنى اني ارانى لما بى وأنت احق وسلم الامر لله وارض به واسأله العون عليه فلابد من عهدي يكون في يومي هذا . فقال عبد الله المأمون : يا أبتاه اخي احق مني وابن سيدتى ولا اخال الا انه اقوى على هذا الامر مني واشد استطلاعاً عرض الله لك ما فيه الرشاد والخلاص وللعباد الخير والصلاح ثم اذن له فقام خارجاً ، ثم دعا هارون بابنه محمد فاقبل يجر ذيله ويتبختر في مشيته فمشى داخلا بنعليه قد انسى السلام وذهل عن الكلام نخوة وتجبراً وتعظما واعجاباً فمشي

حتى صار مستوياً مع ابيه على الفراش: فقال هارون: ما تقول اي بني فاني اريد ان أعهد اليك؛ فقال: يا أمير المؤمنين ومن أحق بذلك مني وأنا أسن ولدك وابن قرة عينك فقال هارون اخرج يا بني. ثم قال لزبيدة كيف رأيت ما بين ابني وابنك؛ فقالت: يا أمير المؤمنين ابنك احق بما تريد واولى بما لديك فقال هارون فاذا اقررت بالحق وانصفت مما رأيت فانا اعهد الى ابني ثم الى ابنك بعده. فكتب عهد عبدالله المأمون ثم محمد الامين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفي الرشيد رحمه الله وعبد الله المأمون خارج عن العراق وكان وجهه أبوه بالجيوش الى بعض الفرس لشيء بلغه عنهم فلظ بمحمد الامين قوم من شرار أهل العراق فقيل له معك الاموال والرجال والقصور فادفع في نحر أخيك المأمون فانك أحق بهذا الامر منه واعانته على ذلك أمه زبيدة فقدم أخوه عبد الله بغداد ومعه الجيوش قد أخذ بيعتهم فنهض اليه الامين قاصداً ومعه الجيوش فلم يرجع ولم يتانع ولم يختلف عليه أحد ثم انه غدر بأخيه الامين لما بلغه عنه. فنهض المأمون الى القصر فدخله فأخذ أخاه وشد وثاقه وحبسه وأشار الى أمه لما أعانته عليه فهرب محمد من

الحبس فبعث المأمون في طلبه فأخذ وقتل والله تعالى أعلم •

﴿ خاتمة ﴾

تم بعون الله وحسن توفيقه طبع هذا الكتاب الجليل بعد بذل الجهد في تصحيحه وتهذيبه • وقد وقع الينا منه ثلاث نسخ قديمة العهد بعيدة زمن الكتابة ولكنها مع ذلك لم تسلم من عبث النساخ فكان فيها من التصحيف والتحريف شيء عظيم خصوصا ماعثرنا عليه في أثنائه من الجمل المنثورة والقطع المبتورة والفصول المتباينة حتى اضطررنا ان نرجع في أكثرها الى عراض الكتب وأمهات التاريخ بحيث استخلصنا هذه الجوهرة النفيسة من بين تلك الاغلاط كما يستخلص الذهب من الثرى ولقد تكبدنا في ذلك العناء الذى تفتر عنده الهمم ولا غرض لنا غير خدمة العلم وإحياء آثار السلف • ولذلك فان نسختنا هذه ليست كما كانت سيما وقد أثبتنا عليها حلا لطيفا وشرحا موجزا وزدنا ماوجدنا في الكتب منسوبا لهذا الكتاب فحقوق طبعها بهذا الوجه محفوظة لنا • والله نسأل التوفيق الى أقوم طريق •



﴿ كتاب الامامة والسياسة ﴾

(للامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)

(تمت)

﴿ الخطأ والصواب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢	٨	صاحبك	صاحبك
٤	١٠	متوكا	متوكئاً
٩	١٤	مؤثرون	مؤثرين
١٦	٤	أقره	أقوى
١٦	١٦	قيس بن سعد	بشير بن سعد
٢٧	٣	لتوحيد	لتوجيه
٣٩	٩	سمعت	سمعت
٦٩	١٦	يسقد	يستقد
١٣٦	٣	هل ثمه	ثمه هل
١٣٧	٣	الرده	الربذة
١٤٦	٦	افضى	اقضى
١٦٠	٧	سروه	سروره
٢٠٨	١٣	شيب	شعث
٢١٤	٦	تعطيه	نعطه
٢٥٦	١٢	يديه ورجليه واذنيه	يداه ورجلاه واذناه
٢٧٤	١٥	على الآباء	عن الآباء
٢٨٢	١	الحسن	الحسين

فهرست

﴿ الجزء الثاني من كتاب الامامة والسياسة ﴾

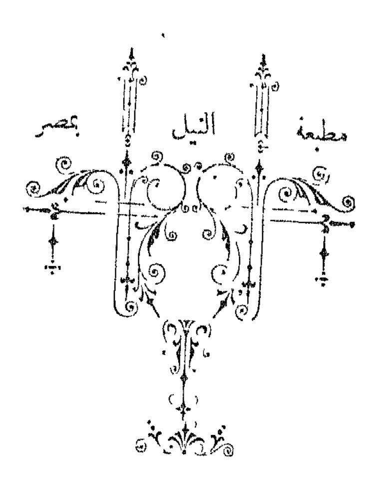
(تمت)



﴿ الجزء الثاني ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	١٧	اجسلك	اجالسك
٩	٢	من رأيته	ابن زاية
١٧	٦	مدرة	مدوره
١٨٣	١	الى لحاضر	انى لحاضر
١١٦	٩	انذراً	اندياً
٢٦٦	٦	بصري	ببصرى
٢٧٠	١	أصبحنا	اصحبنا
٣٢٠	٢	يعقدها جهلا	يعقد بها حملا
٣٢٠	٣	سامة	سآمة




مطبعة النيل بمصر

DUE DATE

Date	No.	Date	No.

١٥٠٣٨